

أبو مسلم الخراساني

تأليف
جرجي زيدان

دار الجيل
بيروت - لبنان

روايات
تاريخ الإسلام

أبو مسلم الخراساني

تشتمل على سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية وسعي أبي مسلم الخراساني في تأييدها ، الى قتله في خلافة المنصور ، مع وصف عادات الخراسانيين وأخلاقهم وغير ذلك

تأليف
جرجي زيدان

دار الجيل
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

أبطال الرواية

* **ابراهيم الامام**	: صاحب الدعوة العباسية
* **ابو مسلم الخراساني**	: عبد الرحمن بن مسلم
* **ابو العباس عبد الله بن محمد**	: اول الخلفاء العباسيين
* **ابو جعفر المنصور**	: ثاني الخلفاء العباسيين
* **نصر بن سيار**	: امير خراسان
* **دهقان مرو**	: احد الامراء الفرس
* **جلنار**	: ابنة دهقان مرو
* **مروان بن محمد**	: آخر الخلفاء الامويين
* **خالد بن برمك**	: قائد عباسي
* **ابو سلمة الخلال**	: ممول الدعوة العباسية

مراجع رواية أبو مسلم الخراساني

هذه هي المراجع التي اعتمد عليها المؤلف في تأليف الرواية ووقائعها التاريخية :

★ تاريخ الطبري

★ تاريخ ابن الاثير

★ تاريخ ابن خلكان

★ تاريخ ابن الاصطخري

★ تاريخ التمدن الاسلامي

★ مروج الذهب للمسعودي

★ معجم الادباء لياقوت

★ الاحكام السلطانية

\- ١ -

جلنـار

كانت بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر قبل الفتح الاسلامي مؤلفة من المدن والقرى ، وكان رجال الحكومة يقيمون في المدن ويجعلون فيها كل قوتهم ، وأما القرى فكانت في حوزة جماعـــة من أشراف الفرس يعرفون بالدهاقين على نحو ما كانت عليه حال قرى اوربـــا في عصر الاقطاع •• حين كانت البلاد في أيدي الامراء والأشراف ، وكل امـــير منهم يحكم مقاطعة تعرف باسمه ، يحرسها جنده ويحرثها رجاله وهو فيهم الحاكم المطلق • وكان الدهقان ورجاله يحكمون اهل القرى من سكان البلاد الاصابيين ، ويعاملونهم معاملة الأرقاء • وكان هؤلاء خليطا مـــن الشعوب الآرية يمتازون بضخامة البدن وبروز الصدر •

وقد بقي الدهاقين في قرى خراسان وجاراتها بعد ان فتحها العرب ، فقد جرت عادة هؤلاء كلما فتحوا مدينة على ان يقيموا بها حامية منهم• اما القرى فكانوا يقرون فيها الدهاقين على نحو ما كانوا عليه في دولة الفرس ، واستعانوا بهم في اعمال الادارة ولاسيما في اقتضاء الخراج ،

لما كان لهؤلاء من النفوذ العظيم بين اهل البلاد الاصليين . وكـــان الدهاقين من الجهة الاخرى ينتفعون بتقربهـــــم من الفئة الحاكمة ، ويجتزئون مما كانوا يجمعونه من الخراج .. فتضاعفت ثروتهم وازداد نفوذهم . على انهم كانوا يتفاوتون ثروة ونفوذا ، فمنهم صاحب القرية او المزرعة الصغيرة ، وصاحب الرساتيق العديدة والبلاد الواسعة . وكثيرا ما كانوا يتولون الحكومة كالامراء . لكن بني أمية كانوا يسيئون الى اولئك الدهاقين احيانا ، اساءتهم الى غير العرب . وقد ظل الدهاقين على المجوسية ديانة الفرس القدماء ، وانقضت ايام بني أمية ولم يسلم منهم الا القليلون .

وكان اعظم دهاقين خراسان ، في أوائل القرن الثاني للهجرة ، دهقان كانت اكثر ضياعه بجوار مدينة مرو ، عاصمة خراسان في ذلك العهد ، فغلب عليه الانتساب الى تلك المدينة فكان يسمى «دهقان مرو» . وكان له ابنة اسمها جلنار غلبت شهرتها على شهرته ، وقد ذاع ذكرها في الناس حتى اصبحت مضرب أمثالهم جمالا وتعقلا وأنفة ، فكثر خطابها مـــن الدهاقين والامراء .. ولكنها لم تكن تميل الى احد منهم ، ولم يكـــن ابوها يعارضها .

وكان دهقان مرو هذا ، يقيم بمزرعة له على بضعة أميال من العاصمة وله قصر فخم تأنق في بنائه ، وأنشأ حوله الحدائق وفيها الاشجار المثمرة وأصناف الرياحين والازهار ، وسرح فيها الطيور الداجنـــة والطاووس والديكة الهندية وغيرها ، وأقام حول القصر والحديقة سورا عاليا منيعا كأسوار القلاع . وجعل خارج السور منازل رجال الحاشية والاعوان ، وبينها أعشاش يقيم بها الحراثون والخدم .

ولم يكن يقيم معه بالقصر الا ابنته ونساؤه وخدمه ، ولم يكن له ولد ذكر وهذا القصر مبني على نمط خاص يحسبه المقبل عليه هيكلا مـــن

هياكل النار التي كان الفرس يصلون فيها قبل الاسلام • ولعله كـــان كذلك من قبل ، فلما أسلم اصحابه حولوه الى قصر للسكن وأنشأوا حوله الحديقة والسور • ولذلك كان المقبل عليه يرى اساطين ضخمة في صدره من الرخام ، عليها نقوش فهلوية وصور بعض الابطال وبعـض نصوص الادعية او الصلوات المجوسية • وتحيط هذه الاساطين برحبة ارضها من الرخام مرتفعة عن ارض الحديقة ، وفي سقفها نقوش ملونة تمثل اساطير المجوس من مواقع حربية او حوادث دينية • وكانوا يسمون تلك الرحبة قاعة الاساطين او القاعة الكبرى • ووراء القاعة غرف كبيرة مفروشة بأثمن الاثاث من الديباج والابرسيم على الطربز الفارسي •

وفي ليلة من ليالي رجب المقمرة من سنة ١٢٩ هـ كان الدهقان جالسا في قاعة الاساطين هذه ، وقد فرشت بالسجاد ، ووضعت عليه الوسائد المزركشة بالذهب ، وفي وسط القاعة شبه منضدة من خشب الصندل المرصع بالاصداف الملونة ، وعلى المنضدة تمثال صغير من الذهب لفارس فارسي عليه الدرع ، وعلى رأسه الخوذة والى جنبه السيف ، وعيناه وعينا جواده من الحجارة الكريمة • وعلقوا في سقف القاعة مصابيح يتوسطها مصباح كبير ، وقد اناروها في تلك الليلة كالعادة ، ولكن القمر أغناهم عن نورها •

وكان الدهقان متصدرا القاعة على وسادة من الحرير ، وعليه قباء من الديباج الاحمر ، وعلى رأسه قلنسوة من الجلد الملون تغطيها عمامة صغيرة من نسيج الكشمير يغلب فيها اللون الابيض • وكان القباء مبطنا بالفرو لانهم كانوا في فصل الربيع • وكان الجو باردا ، فالتف الدهقان بقبائه حتى غطى الفرو عنقه ومعظم لحيته • وكان كبير الوجه جاحـــظ العينين ضخم الانف أشقر الشعر ، وقد خالطه الشيب قليلا فيحسبـه الناظر اليه في الخمسين من عمره وهو فوق الستين • وبعد ان جلس

هناك وحده نحو ساعة ، نهض فجأة ودخل غرفة ابنته ، فبغت الخدم لقيامه ووقفوا احتراما له •

وكانت جلنار قد ذهبت الى غرفتها بعد العشاء وبعثت الى ماشطتها، فجاءتها وأعانتها على خلع ثيابها ونزع حليها ، ثم جلست بجانب فراشها تحدثها ريثما تنام • وانما عجلت جلنار بالذهاب الى الفراش لكي تخلو بماشطتها وتفضي اليها بما في نفسها ، وهي على جانب عظيم من الجمال مستديرة الوجه ، ممتلئة الجسم ، طويلة القامة معتدلتها ، بيضاء البشرة مع حمرة تتلألأ تحت البياض ، سوداء الشعر مسترسلته نجلاء العينين كحلاءهما ،، تفيض جاذبية وحلاوة • وكان لها في مقدم الذقن فحصة ، واذا ابتسمت ظهر على جانبي فمها فحصتان هما «الغمازتان» •

فلما نزعت عنها الماشطة ثيابها ، ألبستها قميصا من الحرير الوردي ، وحلت شعرها وسرحته بمشط من العاج فاسترسل على كتفيها ، ثـــم ضفرته ضفيرة واحدة • وكانت الماشطة من اهل الذكاء والتعقل ، اصلها سرية ابتاعها الدهقان في جملة جوار بيض من بعض تجار الرقيق الذين يتجرون بالمماليك ، من بلاد الترك وما اليها • ولكنها تمكنت بذكائها ولباقتها من اكتساب ثقة الدهقانة جلنار ، فجعلتها ماشطتها • والماشطة ذات شأن كبير في بيوت الدهاقين ، لان نساءهم يفضين بأسرارها اليها ويعتمدن عليها في كثير من المهام • فاذا كانت من اهل الذكاء والدهاء ، ملكت زمام القصر وسيرت الدهقان والدهقانة وفق ما تريد •

وكانت ماشطة جلنار ، واسمها ريحانة ، قــــد ملكت ثقة سيدتها ، فأحبتها خصوصا بعد وفاة امها •• فأصبحت محط آمالها وخزانة اسرارها، فلما انتهت جلنار من تبديل الثياب استلقت على فراش من ريش النعام ، غطاؤه اطلس سماوي اللون ، فغرقت فيه • واتكأت بذراعها اليسرى على وسادة مزركشة • وأسندت خدها على كفها وتغطت باللحاف الى أسفل

الكتف ، وأرسلت يدها اليمنى فوقه وقد نزعت من معصمها أكثر الحلي الا الاساور ، وانحسر الكم عن زندها فظهرت بضاضته • فتوسدت ووجهها الى ريحانة ، وكانت هذه قد لفت رأسها وعنقها بخمار من نسيج الكشمير ، ولبست دراعة مستطيلة تحتها سراويل منتفخة على نمط لباس الفرس في تلك الايام ، وليس عليها شيء من الحلي •

جلست ريحانة بالقرب من جلنار مستغربة ما رأته من سكوتها وانقباضها اثناء تبديل الثياب ، وكانت عادتها ان تمازحها في مثل تلك الساعة ، على انها جارتها في السكوت تأدبا ، حتى مع علمها ببعض ما يجول في خاطر سيدتها من الافكار • فلما اتكأت جلنار اشارت الى ريحانة ان تغلق باب الغرفة ، ففعلت •• وعادت الى مكانها ومدت يدها الى شعر جلنار وجعلت تلاعبه بين اناملها ، ثم مرت بيدها على رأسها وهي تنظر الى وجهها وتبتسم كأنها تستفهم عن سبب سكوتها • وكانت جلنار تعرف العربية كأكثر اهل فارس في ذلك العصر ، لانها لسان الفئة الحاكمة •• لكنهم كانوا يتفاهمون فيما بينهم بالفارسية لغة آبائهم ، فقالت لها بالفارسية : «ما قولك في ابي ؟» • فقالت : «انه يريد لك الخير •• »

قالت : «صدقت ولكني اراه شديد الرغبة في زواجي» •

قالت : «أتلومينه على ذلك •• وأي اب لا يريد ان يزوج بناته ••؟ وأنت من نعم لمولى ، في رغد من العيش ، وأبوك اكبر دهاقين خراسان وليس له سواك • وكلما جاءك طالب رفضته • أفيلام ابوك اذا غضب ؟»

فتنهدت جلنار ولم تعد تستطيع السكوت فقالت ويدها تصلح عنق قميصها : «وهل تظنينني أكره الزواج ؟• ولكني ارى ابي لا ينظر في زواجي الى غير فائدته وأنت تعلمين ذلك» •

فتجاهلت ريحانة وقالت : «لا اراه كما تقولين يا مولاتي فانه انما

اراد زواجك بابن اكبر أمراء العرب في خراسان ، ولا يخفى عليك ان هذا الامير لا يطلب شيئا الا ناله لانه الحاكم وكلمته نافذة ، ومن تقرب منه اكتسب مثل هذا النفوذ» •

فقاطعتها جلنار قائلة : «وهذا ما اقوله •• ان ابي يريد تزويجي بابن الكرماني امير هذا الجند لينال حظوة عنده ، وليكثر دخله من جباية الخراج • ثم ان الكرماني هذا لم يتم له الامر بعد ، فهو ليس الامير الحاكم وانما يتطلع الى ذلك •• وما أدرانا انه يناله ؟»

فقالت : «أما نيله الامارة فأنا ضامنة ذلك لما أعلمه من قوة جنده . فهو يحاصر الان مرو عاصمة خراسان وقد ضيق على اميرها نصر بن سيار حتى فر من امامه ، ولا يلبث ان يستسلم فيصير الكرماني صاحب الامر والنهي في خراسان وتصيرين انت اميرة خراسان» •

قالت : «اراك تهذين وتتخبطين • أأتزوج ابن الكرماني على امل ان يغلب ابوه امير خراسان ويقوم مقامه ؟ وما أدرانا ان الخليفة في الشام لا يرسل جندا يحارب الكرماني هذا ويقهره • فكيف تكون حالنا ؟»

فابتسمت ريحانة ، وقالت : «أما بصدد الخليفة في الشام ، فكوني على يقين من انه لا يحرك ساكنا لاشتغاله بما حوله عما هو بعيد • فقد علمت من خادمك الضحاك انه لما تولى الخليفة الحالي مروان بن محمد . قامت الناس عليه حتى اهله ورجاله ، وقد قضى زمنا يحارب ويجاهد في بلاد الشام فلم يستطع اخضاعها الا بشق الأنفس ، فهو لن يقوى على استرجاع خراسان اذا تغلب عليها رجل مثل الكرماني» •

* * *

قالت جلنار : «لقد ذكرتني بالخادم المضحك خفيف الروح ، وأراه يعرف اللغة الفارسية جيدا مع انه عربي ، كما انه رغم ضحكه المتواصل

وخفة روحه بعيد النظر ذو دهاء واخلاص . اين هو الان ؟. ادعيه لعلنا نستفيد شيئا من حديثه» .

وهمت ريحانة بالنهوض ولكنها سمعت خفق نعال امام باب الغرفة . فعرفت ان الدهقان مار من هناك ، فوقفت حتى يمر فاذا به وقف بالباب ثم فتحه ودخل ملتفا بالقباء كما تقدم ، فأسرعت ريحانة الى الباب وخرجت احتراما لسيدها . وأما جلنار فبقيت في الفراش ، وظهرت البغتة في وجهها ولكنها كانت رابطة الجأش فتجلدت ورحبت بأبيها . فأقبل حتى وقف بجانب فراشها ، ثم انحنى وأمسك ذقنها بين انامله كأنه يداعبها . اما هي فلم تكن تجهل غرضه ، فظلت صامتة حتى كلمها قائلا : «اراك تحبين الرقاد المبكر يا جلنار ؟»

قالت : «كنت متعبة ، فاستلقيت على الفراش لارتاح وأنا لا اشعر بالنعاس» .

قال : «هلم بنا الى القاعة الكبرى ، فان الجلوس فيها يشرح الصدر لما تطل عليه من الازهار والرياحين ، ونحن في ابان الربيع فضلا عن نور القمر الساطع» .

فلم يسع جلنار الا الاذعان لرغبة ابيها ، فنهضت وتزملت بملاءة كبيرة من نسيج الكشمير — يغلب فيها اللون العنابي — غطت اثوابها ، ومشت معه حتى وصلا الى القاعة فجلسا على وسادتين متحاذيتين ، وجلنار تتوقع من ابيها حديثا لا يرضيها . فلما استقر بهما الجلوس قال الدهقان : «رأيتك يا جلنار في هذا المساء على غير ما عهدتك ، فما الذي حملك على ذلك ؟»

فأطرقت وقالت : «اني أطوع لك من بناتك يا مولاي» .

قال : «فما بالك سكت لما ذكرت لك ان امير العرب ارسل يخطبك لابنه ؟ ألا تعلمين ان مصاهرة هذا الامير مدعاة الى الاغتباط والفخر ؟»

قالت : «وأي امير تعني يا أبتاه ؟»

قال : «أعني الكرماني قائد قبائل اليمنية الذي يحاصر مدينة مـرو الان ، او هو فتحها على ما بلغني وقد فر (نصر) منها» •

قالت : «اني لا أفعل الا ما تأمرني ، لكني لا أثق بفوز هذا الامير• وقد رأيتك لما بعث نصر بن سيار امير المدينة ليخطبني منك لابنه ، لم تجبه مع انه صاحب حكومة خراسان» •

قال : «وهذا يدلك على ما أريده لك من اسباب الهناء ، لان نصرا هذا لا يلبث ان يغلب على امره ويخرج من البلاد مدحورا لضعف حاميته وانحطاط قوة دولة بني أمية على الاطلاق ، فقد اصبح اهل خراسان كافة ناقمين عليها بعد ما ظهر لهم من ايثارها العرب على الفرس ، وبعد فرضها عليهم الضرائب الفادحة وطلب عمالها الجزية حتى من المسلمين ! »

قالت : «لا أجهل استبداد هذه الدولة ، ولكنها لا تزال في نظري اقوى من رجال لا دولة لهم ولا حكومة مثل الكرماني • فانه أشبه برجل ثائر على حكومته ، وشأنه في ذلك شأن جماعة الخوارج الذين يجتمعون على الدولة ثم يتفرقون ويقتلون ، وآخرهم شيبان الذي رأيناه بالامس محاصرا لمرو • ورد على ذلك ان الكرماني ليس معه من الاحزاب الا القبائل اليمنية من العرب ، وأما سائر القبائل المضرية فهم مع نصر بن سيار ، وربما عدلوا قوة اليمنية او فاقوها • وهل نسيت حزب الشيعة القائم الان في بني العباس وامامهم ابراهيم بن محمد •• ألم نكن نحن في جملة الفرس الذين عاهدوا دعاة العباسية على نصرتهم وأكثر احزابهم من اهل خراسان» •

قال : «صدقت ، لقد عاهدنا الشيعة وساعدناهم ، ولكن يظهر لي انهم يقولون ولا يفعلون • فقد مضى عليهم أعوام منذ دعونا الى نصرتهم سرا ، فأمددناهم بالاموال مرارا ، ولكنهم لا يزالون الى الان يتكتمون•

وأما الكرماني هذا فانه جمع الجند ولا يلبث ان يستولي على مرو ، واذا هو فتحها اصبح امير خراسان ، ثم يفتح سواها وتصير دولة قوية تقوم مقام دولة بني آمية • وأكبر شاهد على ذلك انه تغلب بالامس على الحارث بن سريج وقتله وشتت جنده ، ثم غلب في مرو وفر نصر منها •• فالكرماني صاحب الامر والنهي الان •• فأطيعيني وأنت الرابحة ، واذ كان الامير صهرنا اصبحت كلمتنا العليا ، وأصبحت انت اميرة خراسان كلها • ومع ذلك فاني وعدته بك من قبل ، وقد بعث الي بالمهر مع الرسول » •

فسكتت جلنار وأطرقت ، فاعتبر ابوها سكوتها رضاء ، وأراد ان يتحقق من ذلك فصفق ، فلما جاءه احد الغلمان قال له : «ادع الضحاك العربي» •

* * *

أقبل الضحاك العربي خادم جلنار الى حجرتها ، وكان طويل القامة رقيق البدن محدودب الظهر قليلا لطوله ، وكان لا ينفك ضاحكا لغير ما سبب كأن به شيئا من البله • ورغم صغر وجهه وخفة شعر لحيته وشاربيه ، كان يضع على رأسه عمامة ضخمة تجعل منظره مضحكا • وكان الدهقان قد اشتراه من بعض تجار الرقيق ، ثم احتفظ به لانه عربي ويندر بيع مثله في تلك الايام ، ولانه كان خفيف الروح ، خبيرا بفنون الاحاديث ، وكثيرا ما دعاه وسأله عن بعض المسائل العربية ، فكان يجيب دائما اجابة الخبير ، وان خلط الجد بالهزل • فلما أنس الدهقان الانقباض في ابنته اراد ان يسليها فاستقدمه • فلما دخل القى التحية ثم أمال عمامته الى جانب رأسه فأصبحت بكبرها وانحرافها ذات منظر غريب ، ووقف يضحك ويهقه بلا سبب ظاهر •

فلما رأته جلنار ، ضحكت لانها كانت تستأنس به كثيرا وتتوقع ان تستخدمه في بعض شؤونها ، لما تحققته من جده في معرض المزاح . ثم سأله الدهقان : «متى يثبت سلطان بني أمية في خراسان ؟» . فأجاب على الفور : «متى شاب الغراب يا مولاي !»

فالتفت الدهقان الى ابنته وابتسم كأنه يقول لها : «ألم اقل لك ذلك؟» ثم التفت الى الضحاك وقال : «كيف تقول ذلك والامويون لا يزالون اهل سلطان وعند خليفتهم في الشام الجند والاعوان ؟ ألا تظنه ينجد هذه المدينة وينقذها من اصحاب الكرماني ؟»

فقهقه الضحاك قهقهة عالية وقال : «مسكين نصر بن سيار ، لقد بح صوته وهو يستنجد بني أمية وينذرهم بسوء المغبة ان لم ينجدوه ، وقد بلغني انه استعان في اقناع الخليفة بالشعر فنظم له قصيدة قال له فيها :

«ارى بين الرماد وميض نار — وأخشى ان يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى — وان الحرب مبدؤها كلام
فقلت من التعجب : ليت شعري — أأيقاظ أمية ؟ ام نيام ؟ »

قال الدهقان : «وماذا كان جواب الخليفة ؟»

قال : «كتب اليه يقول : (الشاهد يرى ما لا يراه الغائب) . ولم يسعفه بشيء» .

فنظر الدهقان الى ابنته واكتفى بتلك النظرة تأييدا لقوله . ولكنها لم تقتنع . ولم يكن تمنعها لغرض سياسي او طمع في سلطان ، ولكنها كانت ذات قلب يحب ويبغض ، فاذا كانت قد سلمت قيادها الى ابيها فانها لم تسلم قلبها لابن الكرماني ، ولاسيما انها كانت ترى ان هناك من هو اكثر استحقاقا لمحبتها ، وهو رجل رأته في مجلس ابيها مرة فأحبته ،

ولكنها لم تجرؤ على التصريح بذلك ، لانها لم تكن تعلم هل هذا الرجل يحبها ام قلبه مشغول بغيرها •

وأشار الدهقان الى الضحاك فخرج مهرولا ، فلما خلا الدهقان الى ابنته قال لها : «سأرد رسول الكرماني في الغد بجواب الرضا» • ولما وجدها اطرقت وسكتت لم يعبأ بذلك لاعتقاده انها صنعت ذلك من قبيل الحياء •

على انها كانت خلال سكوتها قد سمعت طنطنة اجراس عن بعد ، ثم سمعت نباح الكلاب •• فأدركت ان هناك طارقا غريبا • وما لبث ابوها ان ادرك ذلك ايضا ، فقال لها : «لعل هناك قافلة سائرة على ضوء القمر» • ثم جعلت اصوات الاجراس تقرب ونباح الكلاب يشتد ، بينما الدهقان وابنته في صمت وكل منهما في شاغل •

- ٢ -

ابو مسلم الخراساني

لم يمض على ذلك قليل حتى سمع الدهقان وابنته جلنار هدير الجمال وصهيل الخيل وضوضاء الناس • ثم جاء بعض الغلمان مهرولين، وقالوا : «ان قافلة كبيرة وقفت بجانب القرية تطلب النزول بدار الاضياف » •

فقال الدهقان : «من اين هم قادمون ؟• وما عددهم ؟» • فقال احد الغلمان : «انهم يزيدون على مائة نفس ومعهم الجمال والخيل، ولا ندري

من اين قدموا» • فقال : «لا أظنهم يبغون الاقامة جميعـــا عندنا •• فادعوهم للنزول» • فخرج الغلمان ، وبعد قليل جاء احدهم وقال : «ان رجال القافلة يطلبون مقابلة مولانا الدهقان» •

قال : «فليدخلوا» •

فوقفت جلنار تهم بالرجوع الى غرفتها ، فأمسكها ابوهـــا وقال : «انتظري حتى نرى من يكون هؤلاء» •

وما أتم كلامه حتى أقبل رجلان ، قد تزمل كل منهما بقباء اسود ، وتلثم بلثام اسود ، ووراءهما رجلان يحملان حزمة طويلة يسندانها من طرفيها على أكتافهما ، فلما وصلا الى باب القصر انزلاهـــا الى الارض ووقفا • أما الاثنان الاولان فدخلا دخول الامراء ، وحيي احدهما الدهقان بالفارسية • فلما سمع صوته أجفل وخيل اليه انه سمع ذلك الصوت من قبل ، ثم اقترب الرجل من الدهقان ، فما كاد يتبين وجهه على ضـــوء المصباح حتى هتف مرحبا به قائلا : «عبد الرحمن ؟»

فلما سمعت جلنار هذا الاسم ، اختلج قلبها ، ونظرت الى وجـــه القادم وهو ملثم فلم تعرفه ، ولكنها رجحت ان يصدق ظنها فيه لقصر قامته وساقيه وعرض صدره ، فظلت جالسة تنتظر ، فلما حسر الرجـــل اللثام بعد ان سمع الدهقان يرحب به ، لاح تحته وجه اسمر جميل نقي البشرة أحور العينين عريض الجبهة حسن اللحية طويل الشعر ، فأدركت جلنار انه عبد الرحمن بن مسلم ــ وقد سمي بعد ذلك أبا مسلـــم الخراساني ــ فامتقع لونها لدهشتها من رؤيته على غير انتظار مع ما في نفسها من حبه •

اما الدهقان فلما فرغ من الترحيب به دعاه الى الجلوس ، فجلس •• ثم دعا ابو مسلم رفيقه للجلوس بجانبه قائلا : «اجلس يا خالد» • ثم التفت الى الدهقان وقال : «هذا صديقنا خالد بن برمـــك» • فبغت

الدهقان وقال : «ابن صاحب النوبهار ؟!»

فأجاب خالد قائلا : «لقد انقضت ايام النوبهار ، وتخلصنا من عبادة النار لما هدانا الله بالاسلام» •

قال الدهقان : «صدقت ، اهلا بكما ومرحبا» • ثم صفق فجاء بعض الغلمان ، فأمرهم باعداد الطعام للاضياف وتقديم ما تحتاج اليه القافلة من الزاد والعلف •

فاعترضه ابو مسلم بهدوء وسكينة قائلا : «لا تتعب نفسك ولا تشغل رجالك ، فاننا لا نحتاج الى شيء من ذلك ونحن نشكر لك حسن رعايتك » •

فقال : «ومن اين انتم قادمون ؟»

قال : «من الحج» • ولكن ملامح وجهه دلت على انه يعني غير ما يقول ، ففهم الدهقان انه يريد الكتمان كعادته من قبل حين كان يفد على الدهاقين ويطلب المعونة من المال ونحوه سرا انتصارا للشيعة • ولكن عبد الرحمن ما لبث ان قال : «لا تظننا نريد التكتم ، فقد انقضى زمن الاسرار ، وآن لنا ان نظهر دعوتنا • فهل انتم على عهدكم معنا ؟»

فتذكر الدهقان انه صاهر الكرماني ، واذن فقد خالف العهد • وقد كان في جملة من عاهد على نصرة بني العباس ، ولكنه لم يتوقع ثباتهم لتكرار فشل الشيعة في نصرة اهل البيت ، وظن في كلام ابي مسلم مبالغة فأراد ان يتبين الحقيقة ، على ان يكتم امر الكرماني ثم ينضم الى الفئة الغالبة فقال : «وماذا تعني بذهاب زمن الاسرار ؟»

قال : «أعني اننا كنا نأتيكم سرا باسم ابراهيم الامام ، ونستنصركم على بني أمية ريثما يحين الوقت للظهور واخراج دعوتنا من القول الى العمل • اما الان فنبشركم بأن الامام قد امرنا باظهار الدعوة» •

فقال : «هل جندتم الرجال ؟»

قال : «لم نجند احدا ، لاننا لم نبدأ باظهار الدعوة بعد •• وأنت اول من عرف اعتزامنا اظهارها • ونرجو اذا اظهرناها ان يجيبنا كثيرون لان شيعتنا قوية في خراسان ، ومعظم الدهاقين معنا» •

قال : «هذا صحيح ، ومن هم الذين معك في القافلة ؟»

قال : «هم النقباء ، وعددهم سبعون نقيبا اختارهم الإمام من شيعته، ووجههم لدعوة الناس الى بيعته ، وحمل السلاح في نصرته ، وسنفرقهم في خراسان قريبا» •

قال : «وكيف استطعتم المرور بهذا العدد الكبير في البلاد ، دون ان يرتاب العرب في امركم ، مع انهم يسيئون الظن بكل فارسي ؟»

فلما سمع ابو مسلم سؤاله احب ان يفيض في وصف حالهم تثبيتا للدهقان في نصرة الدعوة فيقتدي به دهاقنة كثيرون ، فقال : «انت تعلم يا اعظم الدهاقين ان العرب يفاخروننا بأن النبي منهم ، وقد احتقرونا وأذلونا وعاملونا معاملة الرقيق ، ولو استطاعوا ألا يبقوا منا احدا لفعلوا • مع ان الفئة السائدة منهم الان وهم بنو أمية ليسوا من آل بيت النبي بل هم اعداء اهله ، وقد اضطهدوهم ، وقتلوا آل علي بن ابي طالب ابن عم النبي ، وساموهم العذاب الشديد ، ولا يخفى عليك ان آل بيت النبي لا يرون فرقا في الاسلام بين العربي والعجمي •• بل هم يفضلون العجم على العرب ، ولذلك كانت شيعتهم من الفرس • ثم سلم آل علي حقوق الخلافة الى آل العباس عم النبي ، وكبيرهم الان ابراهيم الامام• فتحول شيعة آل علي في هذه البلاد الى نصرة بني العباس • فالامام الان مقيم في الحميمة بالبلقاء قرب الشام يبث الدعاة ويوجه الانصار • وقد عهد الي منذ عام في ان أتولى رياسة هذا الامر ، وكتب الى اصحابه ان يطيعوني وجعلني اميرا على خراسان وما أفتحه من البلاد • فاستصغر بعض النقباء شأني لاني دون العشرين من العمر وهم شيوخ كبار ، لكنهم

أذعنوا اخيرا • وقد أوصاني الامام يوم ودعته في العام الماضي وصيـة ذات بال هي اساس كل عمل عملته او أعمله في سبيل هذه الدعوة» •

وكان الدهقان يسمع كلام ابي مسلم مأخوذا من رزانته على صغر سنه ، وشعر كأنه في حضرة شيخ كبير او امير جليل لما كان في وجهه من الهيبة والوقار • فلما سمعه يشير الى وصية الامام اصاخ بسمعه ليفهم تلك الوصية •• وكانت جلنار منزوية وكلها عيون وآذان لترى وتسمع•• ولا تسل عن حالها في تلك الجلسة وهي المرة الثانية التي تنظر فيهـا أبا مسلم ، ولم تبق جارحة من جوارحها لم يستول عليها الاعجاب به •

اما هو فقد كان في غفلة عما يتقد في قلب الفتاة • وكان كل همه القيام بالدعوة حق القيام • فلما ذكر الوصية مد يده الى جيبه وقال : «ها أنذا أتلوها عليك كما تلقنتها بالعربية حرفيا» • وأخرج ورقا ملفوفا نشره ، وأخذ يقرأ والحاضرون يسمعون :

«يا عبد الرحمن ، انك رجل من اهل البيت ، فاحتفظ بوصيتي وانظر الى هذا الحي من اليمن فأكرمهم ، وحل بين أظهرهم ، فان الله لا يتم هذا الأمر الا بهم • وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في امرهم • وانظر هذا الحي من مضر فانهم العدو القريب الدار • فاقتل من شككت فـي امره ، ومن كان في امره شبهة ، ومن وقع في نفسك منه شيء • وان استطعت الا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل • فأي غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه ، اقتله» •

فلما انتهى من تلاوة الرق ، لفه وأرجعه الى جيبه وهو ينظر الـى الدهقان ، الذي اغتبط لنقمة الامام على العرب ، لما في نفسه منهم • وما كان رضاه بابن الكرماني صهرا له الا خوفا وطمعا ، ولكنه كان لا يزال ضعيف الثقة بشيعة بني العباس • على انه كتم ذلك وتظاهر بالاعجـاب وقال : «انها وصية حكيم • ويكفي باعثا على تأييد الفرس لها انها تأمر

باذلال العرب وقتلهم ، فما اظن دهقانا او فارسيا يطلع عليها الا كان من المتشيعين لبني العباس» • ثم التفت الى خالد بن برمك وسأله : « أليس كذلك ؟ »

وكان خالد في نحو الاربعين من عمره ، وأبوه برمك (جو البرامكة) صاحب «النوبهار» اي بيت النار في مدينة بلخ • وقد مات مجوسيا في الغالب فخلفه ابنه خالد هذا وهو من اكثر الرجال عقلا ودهاء وبطشا • ثم كان ممن اسلموا من عظماء الفرس وتشيع لآل العباس انتقاما من بني أمية والتماسا للسلطان والنفوذ اذا قامت الدولة بهم • وكان على كونه كهلا قد رضي برياسة ابي مسلم ، وهو شاب لا تزيد سنه على العشرين الا قليلا، وكذلك صنع كهول وأشياخ كثيرون ممن قالوا بدعوة العباسيين، فرضوا بأبي مسلم قائدا لهم نزولا على امر ابراهيم الامام • وكان ابو مسلم يحترم خالدا ويقدره حق قدره ويستشيره في مهام أموره ، ولذلك اختصه بصحبته لما اراد مقابلة الدهقان • فلما سمع خالد سؤال الدهقان، اجابه على الفور قائلا : «لا ريب عندي في ان الفرس سيقومون بنصرة العباسيين ، وعندي انه يجب على كل فارسي ان يقدم نفسه وماله لنصرتهم لان في ذلك رفع شأن الفرس !»

فأراد الدهقان ان يطري أبا مسلم تقربا منه وايهاما له بأنه شديد التمسك بدعوته اخفاء لما سبق من قبوله مصاهرة الكرماني فقال : «لا غرو اذا انتصر الشيعة وفيهم مثلكما من ذوي الحزم والبسالة والتعقل»•

فقال خالد : «ان البسالة والقوة لا يكفيان للقيام بهذا العمل» •

فأدرك الدهقان انه يلمح الى المال ، فقال : «على كل منا ان يقدم مما عنده ، واذا كنا لم نقصر في الماضي حين كانت الدعوة سرية ، فلن نبخل الان » •

فعاد ابو مسلم لاتمام حديثه فقال : «لقد جئنا الى خراسان وقمنا

بالدعوة سرا ، وكنت أختلف الى الامام احمل اليه ما يجتمع عندنا من المال وأتلقى اوامره • فلما كان هذا العام ، دعاني اليه فسرت ومعي النقباء الذين ذكرتهم ، متظاهرين بالحج •

«ولما بلغنا (قومس) اتاني كتاب الامام باسمي واسم سليمان بن كثير وهو من كبار النقباء ومع الكتاب راية النصر» • قال هذا : وأشار الى الحزمة المطروحة امام القصر ثم اخرج الكتاب من جيبه وقرأ : «قد بعثت اليك براية النصر ، فارجع من حيث لقيك كتابي ، وأظهر الدعوة فان الله ناصركم » •

ولاحظ ابو مسلم ان الدهقان يطيل النظر الى الحزمة المطروحة امام القصر ، فأدرك انه يريد رؤيتها ، فأمر الرجلين اللذين كانا يحملانها باحضارها ، ولم تسعها القاعة لطولها فأدخلاها من احد طرفيها وظل الطرف الاخر خارجا • وكانت ملفوفة بقماش اسود وراية سوداء • واللواء معقود على رمح طوله ١٤ ذراعا ، والراية على رمح طوله ١٣ ذراعا • فوقف ابو مسلم اجلالا للواء ، وقال : «ان هذا اللواء يسمى الظل ، والراية تسمى السحاب ، ولونهما الاسود هو الشعار الذي اختاره الامام ابراهيم لشيعته •• فهم من اليوم يلبسون العمائم السوداء والاقبية السوداء وراياتهم ايضا سود كما ترى» •

ووقف خالد والدهقان اجلالا للواء ، وهمت جلنار بالوقوف مجاراة لهم •• فلم تساعدها ركبتاها لما غلب عليها من التأثر بحديث ابي مسلم • وما سمعته من انه قائد الجند ، فأصبح همها منصرفا الى الاطلاع على مكنونات قلبه لعله ينتبه اليها فيرمقها بنظرة تفهم منها ما يطمئن به قلبها ، فوقفت مستندة الى احد الاعمدة ، وتصدرت قليلا حتى انتبه لها خالد فنظر الى وجهها نظرة الاعجاب والاستغراب • اما ابو مسلم فأغضى وكأنه لا يرى شيئا •

ثم سأله الدهقان : «وما المراد باختيار السواد شعارا لبني العباس • هل ارادوا الاشارة الى حدادهم على قتل اهل البيت العلويين ومنهم علي والحسين ، ام ماذا ؟»

فقعد ابو مسلم وهو يشير الى الرجلين ان يعيدا الحزمة ، وقعد خالد والدهقان وظلت جلنار واقفة ، ثم قال ابو مسلم : «ان السواد شعار اهل بيت النبي ، لان راية النبي كانت سوداء واسمها العقاب كما قد تعلم» •

وكان الدهقان يفكر فيما علمه من امر الشيعة ، وخاف على نفسه من ابي مسلم اذا علم ما في ضميره ، ولاسيما ان الامام أوصاه بأن يقتل كل من يشك فيه ، فتظاهر بالتحمس وقال : «لقد ايقنت الان بنوزكم وظهور الفرس ، ولا بد من استنجاد سائر الدهاقين وترغيبهم في الاسلام، لان اكثرهم لا يزالون مجوسا» •

فقال خالد : «اذا اسلم الدهاقين وأنجدونا بأموالهم ورجالهم ، فانما ينجدون انفسهم لانهم ينشئون دولة فارسية ترفع شأن الفرس» •

قال الدهقان : «اني ضامن لكم اسلام معظم دهاقين خراسان ، والاموال كثيرة» • ثم صفق فأتاه غلام ، فأمره ان يدعو خازنه •

فلما سمعه ابو مسلم يدعو خازنه ، أدرك انه يريد ان يؤدي اليه عونا ماليا على عادته في مثل هذه الحال ، فأشار بيده الى احد الرجلين صاحبي الحزمة اشارة فهم غرضه منها ، فخرج مهرولا ثم عاد ومعه رجلان •• تأبط احدهما كيسا كبيرا فارغا ، والاخر قصير القامة مع سن قليل وعليه قباء واسع وعمامة كبيرة يكاد يجر قباءه جرا لقصره ، ووراءه غلام يحمل دواة وقلما ، فلما دخلوا القاعة وقفوا في بعض جوانبها ، فنادى ابو مسلم صاحب القباء قائلا : «تقدم يا ابراهيم وخذ من الدهقان ما جادت به نفسه في سبيل نصرة اهل البيت» •

وجاء خازن الدهقان فأسر اليه هذا كلاما ، فذهب وعاد ومعه غلام يحمل أكياسا من جلد قد أثقلت كاهله حتى وضعها بين يدي الدهقان . فلما أمر ابو مسلم خازنه ابراهيم بتسلم المال تقدم وأخذ في عد الاكياس وهي مختومة وقد كتب على كل منها «ألف دينار يوسفية» فبلغت ٢٠ كيسا ، فأشار الى رفيقه والغلام الاخر فتقدما وتعاونا على نقلها الـــى الكيس الكبير ، وتناول هو القلم والدواة وأخرج من تحت قبائه درجا كتب فيه عدد الاكياس وما تحويه من الدنانير .

وكان ابو مسلم اثناء ذلك مطرقا كأنه يفكر في امر يهمه ، وقد زاده التفكير هيبة وشغله عما حوله . وكانت جلنار قد تعبت من الوقـــوف فقعدت على وسادة بجانب ابيها وهي تختلس النظر الى ابي مسلم ، وكأن خالدا ادرك ذلك منها وفطن لما يجول في خاطرها ، ولكنه كان يعلم زهد ابي مسلم في النساء واشتغال باله بالمشروع الخطير الذي ندب له .

فلما انتهى الخازن من تدوين المال نهض واستأذن ولحظ الدهقان في ابي مسلم الرغبة في الانصراف ايضا فقال له : «اذا كنتم تريدون النوم، فهذه دار قد أمرنا باعدادها لنزولكـــــم» . وأشار الى بعض جوانب الحديقة .

فنهض ابو مسلم ونهض الحضور وقال : «ننصرف الان الى الرقاد ، فان السفر قد أتعبنا هذين اليومين» . قال ذلك ومشى فشيعه الدهقان الى اخر القاعة ، وصفق فجاء بعض الغلمان فأمرهم ان يمشوا بين يدي الامير بالشموع الى المنزل المعد له ففعلوا . وعاد الدهقان الى ابنته وكانت واقفة بجانب العمود وحدها فأدرك مما لحظه من انقباضها انها تفكر في امر زواجها بابن الكرماني ، وانها ترى فيما ظهر من ابي مسلم حجة تدفع بها طلب الكرماني ، فوضع يسراه على كتفها ومشى معها الى غرفتها وقال: «لا اظن هؤلاء الدعاة سيفلحون ، وأرى امرهم هذه المرة صائرا الـــى

الفشل كشأنهم فيما مضى» .

فلم يفتها غرض ابيها من هذا الحديث بعد ما دار بينها وبينه في العشاء فقالت : «اذا كنت تعتقد فشلهم فما بالك تعاهدهم على القيام بنصرتهم وتبذل لهم الاموال ؟»

فضحك ووقف وقبض على لحيته بيمينه ، ويسراه ما زالت على كتفها، وقال بصوت خافت : «اني أفعل ذلك تحوطا . لاننا ان اظهرنا له الجفاء كنا في خطر على حياتنا وأموالنا ولاسيما بعدما سمعنا من وصية ابراهيم الامام ، فانه أمره بقتل كل من يشك فيه . ومع ذلك فنحن غير واثقين الثقة التامة بفشل هؤلاء وان كنت أرجح الفوز للكرماني للاسباب التي ذكرتها لك قبلا . فتظاهرنا بالمسالمة او المساعدة لا يضرنا بل قد ينفعنا . وليس ما نؤديه لهم بالشيء الذي يذكر اذا قيس بما نتوقعه من الكسب اذا كنا في جانب الحزب الفائز» .

فلما انتهى الدهقان من كلامه قالت : «لقد أصبت يا أبتاه ، انك تحاسن أبا مسلم بالاموال والمواعيد ، وتحاسن الكرماني بجلنار» . قالت ذلك وغصت بريقها ، فهرولت الى غرفتها واستلقت على الفراش ، فتبعها ابوها وقال : «يظهر انك متعبة يا جلنار ، نامي واتكلي على الله ، وأنا اعرف تعقلك وحسن تدبيرك ، وأعتقد انك اذا كنت عند الكرماني ، وكنت انا مع ابي مسلم بتنا في مأمن وأصبح الفوز مضمونا لنا على كل حال . نامي يا حبيبتي واستريحي الان» . قال ذلك وخرج وهو يتجاهل مغزى كلامها .

* * *

اما هي فلما خلت بنفسها عادت الى هواجسها ، وتصورت ما هي فيه من الارتباك حتى انها لا تدري أتطيع أباها ام تطيع قلبها ؟ . على انها لو

تحققت ان عند ابي مسلم مثل ما عندها لهان عليها اغضاب ابيها وان كان ذلك مما لا يقدم عليه أمثالها . ولكنها لم تر في شيء من حركاته او اقواله ما يفتح لها نافذة الامل . ولكن الحب كان يعترض عوامل اليأس. ويهون عليها ما ظهر من عدم اكتراثه ، فأخذت تنسب ذلك الى اشتغاله بشؤون الدولة ، ثم تعود الى رشدها فلا ترى له عذرا ، وتقول لنفسها : «لو كان عنده بعض ما عندي لشعرت به !»

قضت في ذلك برهة وقد طار الرقاد من عينيها واستوحشت من الوحدة فتذكرت ماشطتها وودت لو تأتيها تلك الليلة لتشكو لها حالها وتستشيرها في امرها . ثم ما عتمت ان سمعت وقع خطوات بطيئة فعلمت انها خطوات الماشطة فنهضت وفتحت لها . فدخلت هذه وأغلقت الباب ، فدعتها جلنار للجلوس وقالت : «ما الذي جاء بك يا ريحانة على غير انتظار ؟»

قالت : «علمت انك في قلق فجئت لتسليتك» .

قالت : «وكيف علمت ذلك ؟ ومن أنبأك به ؟»

اجابت وقد ضمتها الى صدرها وقبلتها : «أتظنينني غافلة عن أحوالك وما يطرأ عليك من الهواجس ، ولاسيما بعد قدوم هؤلاء الاضياف ؟!»

قالت : «وهل شاهدتهم وسمعت اقوالهم ؟»

قالت : «شاهدت كل شيء ، وسمعت كل كلمة خلسة من وراء الستار» . فما تمالكت جلنار ان قالت : «وهل رأيت أبا مسلم ؟»

قالت : «خفضي صوتك يا مولاتي لان لهذه الجدران آذانا ، نعم شاهدته وشاهدتك ايضا» .

فخجلت جلنار من تسرعها في اظهار عواطفها ، ثم تذكرت ثقتها بريحانة فقالت : «وكيف رأيته يا ريحانة ؟»

قالت : «رأيته لائقا . ولكن تمهلي ولا تعجلي ، ان في العجلة

ندامــة ! »

قالت : «اراك قد ادركت مكنونات قلبي ولم يخف عليك شيء ؟»

قالت : «لم يخف علي شيء ، ولكنني ارى الامر يحتاج الى الحكمة والتؤدة » .

فلم تعد جلنار تقدر على اخفاء عواطفها فقالت : «وما العمل يـــــا ريحانة دبريني برأيك . لقد نفد صبري فاني لا ألبث ان أزف الى ابن الكرماني وأنا لا أريده ولا احبه» .

قالت : «أتحبين أبا مسلم ؟» . وضحكت .

فأطرقت جلنار ولسان حالها يقول : «نعم احبه ؟»

فقالت ريحانة : «وهل يحبك ؟»

فرفعت جلنار نظرها الى ريحانة وفي عينيها دمعتـــــان تترددان بين الأماقي ، وهمت بالكلام فشرقت بريقها وسكتت .

فقالت ريحانة : «انك لا تعلمين وأنا لا أعلم ، فما علينا الا التحري والاستفهام » .

قالت : «من يكشف لنا الحقيقة ؟»

قالت : «ألا تعرفين الضحاك ؟»

قالت : «وهل تظنينه يستطيع خدمتنا في هذا الامر ؟»

قالت : «أظنه أقدر الناس على ذلك اذا اراد . ولا يغرنك ما يبدو من مجونه فانه داهية حازم يعتمد عليه في الامور العظام» .

قالت : «ومن يخاطبه في ذلك ؟ وأخاف ان يفشي سرنا ، او يطلع ابي على امرنا » .

قالت : «كوني في راحة وطمأنينة وأنا أتدبر الامر ، وليس ينقصني شيء سوى المال» .

قالت : «وهل للمال قيمة عندي . اطلبي من خازني ما تريدين وافعلي

ما تشائين ، ثم انبئيني بما يكون» •

قالت : «ينبغي ان نسعى في الامر من الان اذ لا نضمن بقاء هؤلاء الاضياف عندنا الى الغد او بعده» •

فنهضت جلنار من فراشها الى صندوق صغير في بعض جوانب الغرفة وأخرجت منه صرة من الحرير دفعتها الى ريحانة وهي تقول : «هذه خمسمائة دينار أنفقيها كما تشائين ولا تبطئي ، واذا وفقت الى ما أريد فالك المزيد » •

فتناولت ريحانة الصرة ونهضت تقول : «كوني في راحة» • وخرجت تسترق الخطى وتركت جلنار على مثل جمر الغضا •

* * *

لم تكد ريحانة تخرج من الغرفة حتى رأت الضحاك قادما وكأنما كانا على ميعاد • فلما رأته بغتت ولكنها تجلدت وأشارت اليه ان يتبعها الى غرفتها في طرف القصر مما يلي الحديقة ، فلما اراد ان يدخل الحجرة خلفها اصطدم رأسه بالباب لطوله ، فصرخ صرخة افزعتها وأضحكتها ولاسيما حينما سقطت عمامته على الارض فوجدته حليق الرأس ، فبادرت الى اغلاق الباب • ثم ارادت الاستفهام عن سبب حلقه رأسه ، فأسرع هو وأعاد العمامة الى رأسه ، واقترب منها وقال : «يظهر انك تحبينني يا ريحانة بارك الله فيك» • وضحك وعض على شفته السفلى وتشاغل باصلاح عمامته ، ثم ضحك ضحكة البله وجعل يطرق بأطراف انامله على اسنانه • فضحكت ريحانة من قوله وحركته ثم عبست في وجهه عبوسا يخالطه الابتسام وقالت : «اني احبك لخفة روحك وعلو همتك ، ولاسيما اذا أطعتني فيما سأقوله • لكني اسألك اولا هل عندك للسر مكان ؟»

فقال وهو يضحك : «عندي لكل سر مكان ، وللاسرار عندي منازل وطبقات ، واذا كنت في ريب من ذلك قولي فأنصرف» •

فضحكت وقالت : «ألا تكف عن مجونك يا رجل ؟• أعرني أذنك واصغ لما أعرضه عليك بحياة الدهقانة وحرمتها عندك» •

فسكت وأظهر الجد وتأدب في موقفه وقال : «اني طوع أمرك» •

قالت : «أتعرف ضيوفنا الليلة ؟»

قال : «أيهما تعنين ؟ أبا مسلم الخراساني الذي لا يعرف أباه ، ام خالدا بن برمك المجوسي صاحب النوبهار ، ام خازن ابي مسلم ابراهيم اليهودي ؟ »

فضحكت ريحانة واستغربت قوله ان أبا مسلم لا يعرف أباه فقالت: «وماذا تعني بقولك ان أبا مسلم لا يعرف أباه ؟»

قال : «اذا كنت لا تصدقينني فاسأليه» •

قالت : «صدقتك ، وأسألك كيف كان ذلك ؟»

قال : «لو سألته عن نسبه ما عرفه • اما انا فأقول لك ان أباه فارسي يسميه بعضهم بمسلم ، وبعضهم يسميه عثمان ؛ وهو يزعم ان نسبه يتصل ببزرجمهر الحكيم الفارسي المشهور • وهذه عادة كبار القوم عندنا فمن كان منهم دنيء الاصل رفعه جاهه الى طبقات الاشراف • فاذا كان عربيا أوصل نسبه الى ابي بكر او عمر او الحسين • واذا كان فارسيا جعل نفسه من نسل (بزرجمهر) او (أزدشير) او (كسرى أنوشروان) • وأما الذي نعلمه من امر ابي مسلم فهو ان أباه كان من اهل قرية (ماخوان) وتبعد عن (مرو) ثلاثة فراسخ • وكانت هذه القرية ملكا له مع عدة قرى اخرى • وكان في بعض تجارته يجلب المواشي الى الكوفة ، ثم انه ضمن خراج (رستاق فريدين) على عادة الدهاقين في ايام هذه الدولة (بني أمية) فانهم يقاسمون الحكومة أموالها بنفوذهم • فلما حان الوفاء

عجز عن تأدية ما عليه . فقبض عليه العامل وأرسل معه من يشخصه الى الديوان في الكوفة ، وكان عنده جارية يحبها فأخذها معه وهي حامل واحتال على حارسه في الطريق وفر الى (أذربيجان) وهي معه فلما بلغا «رستاق فايق» تركها فيه عند رجل اسمه عيسى بن معقل وذهب الى اذربيجان ، فمات بها . وولدت الجارية صاحبنا ابا مسلم هذا ، فربي في بيت عيسى بن معقل وهو يعد نفسه من اولاده . وكان عيسى هذا وأخوه ادريس في ضمان الخراج ايضا فأصابهما ما اصاب ذاك من تأخير الخراج فقبض عليهما عامل أصبهان وشكاهما الى امير العراقين يومئذ خالد القسري ، فبعث من حملهما الى الكوفة وسجنهما فيها ، وكانا قد أنفذا أبا مسلم قبل القبض عليهما في مهمة فلما رجع وعلم بسجنهما جاء الى الكوفة وجعل يتردد عليهما في السجن . واتفق ان جماعة من النقباء دعاة بني العباس جاءوا الى الكوفة سرا يدعون الناس الى اهل هذا البيت فلقوا أبا مسلم هناك فأعجبهم عقله ومعرفته وكلامه ، وعرف هو امرهم فانضم اليهم وخرج معهم الى مكة ، فقدموه الى ابراهيم الامام هناك فأعجب به وتوسم فيه الخير ، فأبقاه عنده يخدمه . ثم ان الدعاة عادوا مرة ثانية وطلبوا رجلا يقوم بأمر خراسان فدفع اليهم أبا مسلم هذا وهو صغير السن كما ترين وأوصاه بما أوصاه . فهل يعرف أباه» .

فاستغربت ريحانة الحكاية ، ثم عادت الى مهمتها الاصلية فقالت : «آمنا وصدقنا ، والآن لا تخرج عما أكلمك فيه ، انظر (ومدت يدها وأخرجت الصرة ودفعتها اليه) هذه هدية من مولاتك جلنار وأنا أريد ان انوط بك مهمة سياسية» .

فتناول الصرة ضاحكا ووضعها في جيبه وقال : «سمعا وطاعة» .

قالت : «انت تعلم ان مولاتنا الدهقانة مخطوبة لابن الكرماني امير الجند الذي يحاصر مرو ، وستزف اليه قريبا . ولكنني رأيت الليلة ان

أجل الكرماني قصير وان هذا الخراساني سيغلبه ، ولقد لحظت انا انه يميل الى مولاتنا ويرغب في ان يتزوجها ولكنه لم يصرح بذلك ؛ فمهمتك الان ان تبحث عن هذا بدهاء وحسن أسلوب ، ولا تدع احدا يشعر بك .. ولا بد من معرفة ذلك الليلة» .

قال : «هذا علي هين . واذا فرضنا انه لم يحبها بعد فاني أجعله يحبها . ما رأيك ؟»

قالت : «اذا كان ذلك في استطاعتك فان مكافأتك عظيمة جدا . وهذا سر عميق» .

فأطرق الضحاك برهة وقد بدا الجد في وجهه ثم التفت الى ريحانة وقال : «اني ذاهب الساعة فادعي لي بالتوفيق» .

قالت : «امض وفقك الله» .

فقال : «امهليني ريثما أصلح من شأني امام مرآتك» . ووقف امام مرآة من النحاس على الحائط وحمل عمامته وجعل يلفها بأسلوب مضحك وعبث بشعر لحيته وشاربيه حتى تعربس وانتفش . وخلع جبته ولبسها مقلوبة وخلع نعليه ووضعهما في منطقته ومشى حافيا وهو يضحك .

* * *

اما ابو مسلم فقد سار مع خالد ، بين الاشجار والرياحين ، والخدم يسيرون امامهما بالشموع ، حتى وصلوا الى بيت بجانب السور قد أضيء بالمصابيح . فدلوهما على الأسرة المعدة لرقادهما ورجعوا . فلما دخلا اخذ ابو مسلم يخلع ثيابه وسلاحه ويتأهب للرقاد وهو لا يتكلم . وكان خالد في شاغل من امر جلنار وما شاهده من جمالها وما لحظه من نظرها الى ابي مسلم ، وما كان من جمود هذا حتى انه لم يشر اليها بعد ذلك بكلمة . فظل خالد ساكتا وأخذ في خلع ثيابه وسلاحه ، ولم يستغرب

سكوت ابي مسلم لعلمه انه كثير السكوت لا يتكلم الا قليلا ويندر ان يضحك .

- ٣ -

الخازن ابراهيم والأبله

رجع ابراهيم الخازن بالاكياس الى غرفة في ذلك المنزل بعيدة عن غرفة ابي مسلم وخالد . وأمر الغلمان ان يضعوا الاكياس وينصرفوا . وكان ابراهيم يهودي الاصل ، وقد أسلم ابوه رغبة في الكسب لا رغبة في الاسلام ، وشب ابراهيم هذا وهو أشد من ابيه طمعا ، وظل يتزلف ويتملق حتى تقرب من النقباء رجال الدعوة . وكان حاسبا ماهرا فجعله ابو مسلم خازنا له ، وكان يقبض الاموال ويدونها رغبة في الكسب من ذلك . ولم يكن كسبه من التلاعب في عد النقود او سرقة شيء منها لانه لم يكن يستطيع ذلك الا نادرا ، ولكنه كان يكسب بتبديلها . لان النقود في ذلك الحين انواعا كثيرة هنالك ، ومنها ناقص الوزن وكامله لاختلاف ضاربيها . فالنقود التي ضربها الحجاج سنة ٧٥ هـ. كانت ناقصة ، فلما تولى ابن هبيرة ضرب أجود منها ، ولما تولى خالد القسري زاد في تجويدها ، وضرب بعده يوسف بن عمر فأفرط في التشديد والتجويد . فكانت النقود الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية ، وسميت نقود الحجاج بالمكروهة ، فكان ابراهيم اذا قبض مالا من الدهاقين او غيرهم من نصراء الشيعة دونها في دفاتره بعددها .. ولكنه لا يعين

صنفها فاذا كان فيها نقود هبيرية او خالدية او يوسفية أبدل بها نقودا مكروهة فيربح من ذلك شيئا كثيرا • وكان لا يخلو صندوقه من اكياس من النقود المكروهة لاجل الاستبدال عند الحاجة • فلما خلا الى نفسه تلك الليلة ، أغلق باب غرفته وأطفأ المصباح ، واشتغل بابدال تلك النقود خلسة وهو يحاذر ان يسمع رنينها •

وكان الضحاك يعرف ابراهيم هذا ويعرف أباه من قبله • فلما ذهب في المهمة المذكورة ، اعتزم الاستعانة بابراهيم لعلمه بتفانيه في سبيل المال • وأما ابراهيم فلم يكن يعرف الضحاك ولا فهم من امره الا انه رجل مهذار خليع او مجنون •

فمشى الضحاك في الحديقة والقمر قد تكبد السماء ، وجعل يخطر الهوينى وهو ينظر الى السماء كأنه يعد نجومها او كأنه يقرأ صفحة مكتوبة فيها ، حتى دنا من غرفة ابراهيم فوقف ببابها وتباله وأذناه مصغيتان ، فسمع حركة ثم سمع خشخشة • وكان ابو مسلم وخالد قد ناما وانصرف الخدم ، ولم يبق في الحديقة احد ، ولم يعد يسمع غير جعجعة الجمال خارج المحلة من بعد • وظل الضحاك واقفا بباب ابراهيم حتى ظنه فرغ مما هو فيه ، فطرح كيس النقود الذي معه على بلاطة هناك ، فكان لوقعه طنين وخشخشة ظهرا قويين لهدوء الليل •

وكان ابراهيم يعمل في ابدال النقود ويحاذر ان تسمع حركة احتكاكها ، فأصبح لشدة محاذرته يخاف ان يكون لتنفسه صوت • وكان يظن ان كل شيء ساكت هادىء ، فلما سمع وقع كيس الضحاك على البلاط أجفل وبغت ، وظل هنيهة جامدا ينصت لعله يسمع صوتا اخر فلم يسمع • فأقبل الى الباب ففتحه رويدا رويدا خوفا من صريره ، وأخرج رأسه وتلفت فرأى الضحاك على بضع خطوات من غرفته واقفا هناك ويداه خلف ظهره ، وقد ولى وجهه نحو السماء ينظر الى غيوم تتسابق

الى القمر • فتفرس ابراهيم في المكان الذي سمع الخشخشة منه فرأى كيسا حريريا ملونا ، فحدثته نفسه ان يخرج لالتقاطه ولكنـــه خاف ان ينتبه له الضحاك ، ثم تذكر انه ابله لا يفقه شيئا وانه لو كان ممـــن ينتبهون لم يسقط منه الكيس على تلك الصـورة •• فاختلس خطوتين حتى تناول الكيس وهم بالرجوع ، واذا بذلك الابله يقهقه بصوت عال، فارتعدت فرائص ابراهيم وانتفض انتفاض الطير حتى كاد الكيس يسقط من يده ، ولكنه تجلد وتظاهر بأنه خرج من الغرفة لشأن له ونظر الى الضحاك فرآه يمشي نحوه ، وهو يخطر ويطيل خطاه كأنه يتخطى اقنية• فابتدره ابراهيم بالكلام ، وقال : «هل انت تذرع الارض ام تعد نجوم السماء ؟ »

قال وهو ينظر الى السماء : «بل انا آفتش عن نقودي ، فقد كان معي كيس وأظنه وقع هنا» • وآشار الى القمر •

فضحك ابراهيم وتأكد بله الرجل وصمم على اخفاء الكيس ، وقال: «هذا جائز» • وتحول الى غرفته ، ولم يبلغ الباب حتى ادركه الضحاك، وقبض على رقبته قبضة شديدة ، ثم دفعه الى الغرفة دفعا • وكـــان ابراهيم لقصر قامته وجبنه لو اراد الضحاك ان يقبض عليه ويرمي به من فوق السور لفعل • على انه لو كان شجاعا ما استطاع الكلام خوف الفضيحة وايقاظ النائمين ، اذ ربما استيقظ ابو مسلم او خالد او غيرهما ممن يخاف الفضيحة لديه اذا رأى ان يدخل غرفته فيكشف امره ، لان الاكياس كانت لا تزال مفتحة والنقود مبعثرة • وزد على ذلك ان الذنب يصغر النفس ويذلها ويجعل السيد عبدا • ولكن ابراهيم لم يكن ليفتح باب غرفته في تلك الساعة لو لم يسمع طنين الدراهم ، فلما رأى الكيس على الارض ظن انه يلتقطه ويرجع لساعته • فلما رأى نفسه بين يـــدي الضحاك وقد دخل معه الغرفة ارتبك في امره ثم اظهر انه يمزح فقال :

«هذا كيسك قد سقط علي من السماء فخذه» •

فوقف الضحاك وتناول الكيس بأطراف انامله ، ثم تركه فسقط على الارض فخشخش •• فأسرع ابراهيم فالتقطه وقال : «أليس هـــذا كيسك ؟ »

قال وهو يضحك : «لا أعرفه الا على النور فهلا اضأت شمعة ؟»

فقال : «تعال ننظر اليه على ضوء القمر» • وأمســك بيده وأراد اخراجه ، فاذا هو ثابت في مكانه كالشجرة المغروسة لا يتزحزح • فقال له : «اذا كنت تظن نقودك قليلة فأنا ازيد لك عليها» •

فنظر اليه وأحنى رأسه كالساجد وقال : «ولكنني لا آخذ الا نقودا يوسفية » •

فلما سمع ابراهيم ذلك خفق قلبه : لان ضميره بكته وظن ان ذلك الابله مطلع على اسراره • والمجرم يخاف خياله ويحسب ان الطبيعة تراقب اعماله ، ولكنه عاد الى عقله واستبعد اطلاع هذا الابله على سره وقال : «هي نقود يوسفية • نعم» •

قال : «ألم تبدلها بعد ؟» • وضحك •

فتحقق ابراهيم ان الضحاك مطلع على امره ، وربما كان قادما اليه بدسيسة • ولكنه لجأ الى المغالطة وأراد اخراجه من الغرفة ليبعده عــن مكان الشبهة فلم يستطع ، فقال له : «تفضل •• اجلس» • وظن انــه سيخالفه فيخرج ، فاذا به قد قعد على الارض وأمسك بيده وأجلسه ، فجلس وهو لا يدري ماذا يعمل ، وقد ركبه الخوف فأطاعه ليرى ما يبدو منه • ولم تكن الغرفة في ظلمة حالكة لان ضوء القمر كان ينفذ اليها من الباب ، وكانت الاكياس والنقود ظاهرة • فالتفت الضحاك اليها وقال : «هل أعينك على جمع هذه الاكياس وهل امحو منها لفظة (يوسفيــــة) وأكتب لك مكانها (حجاجية) ، فان ذلك أولى من ظهور الخيانة» •

فاقشعر بدن ابراهيم ، وقال له : «قل لي بالله من انت وما غرضك؟، فانك لست ابله كما تتظاهر . من انت ؟»

فقال له : «انا الضحاك . ألا تعرفني ؟.. هذه عمامتي وهذه جبتي وهذه نعالي ثم ماذا ؟»

فقال : «لا تخدعني بالمزاح ، صرح ولك مني ما تشاء» .

قال : «انا الضاحك المبكي ، فعسى ألا تكون باكيا وأنت خازن هذه الحملة ! »

قال : «قلت الك صرح واخبرني عن حقيقة امرك ، ولك ما شئت» .

قال : «لا تهمك حقيقة امري . واني استر ذنبك لقاء حاجة تقضيها لي!»

فسر ابراهيم وأحس بانفراج كربه وقال : «اطلب ما شئت فاني فاعل ما تريد » .

قال : «هل لك دالة على أبي مسلم ؟»

فأطرق ابراهيم وظهر عليه الارتباك وقال : «ليس ابو مسلم ممن تؤخذ عليه الدالة لانه شديد غضوب يندر ان يضحك . ولا يتكلم الا قليلا ، وجلساؤه يخافون غضبه لانه يقتل لاقل شبهة . واظنك سمعت وصية الامام التي تلاها على مولاك الدهقان الليلة . وهو يوصيه فيها بأن يقتل كل من يشك فيه . فمن كان هذا شأنه فلا سبيل الى الدالة عليه . اما اذا كان الك غرض عنده ، فاني ابذل ما في وسعي للوصول اليه» .

قال : «لقد نطقت بالصدق ، ولو قلت لي غير ذلك لاتهمتك وشككت فيك . وعند ذلك يحق لي ان أنفذ وصية الامام فيك» . وضحك ثم قال :

«ومرادي ان اسألك سؤالا اخر . هل عندك للسر مكان ؟»

قال : «بئر عميقة .. لا تخف» .

قال : «لا اخاف منك لان روحك في يدي ، وليس اسهل علي من

ان ألقي الشك في قلب ابي مسلم • ويكفي ان أذكر له مسألة النقـود اليوسفية» • ثم نهض بغتة ويده في منطقته ، فأخرج منها النعلين ولبسهما ووقف • فعجب ابراهيم لعمله وخاف ان يعود جنونه فتحدثه نفسه ان يشكوه الى الامير في تلك الساعة ، فنهض معه وأظهر الاهتمام به وقال : «ما بالك يا اخي ؟ قل ما هو السر ؟»

قال : «نسيته في البيت فأنا ذاهب لاستدعائه» • وضحك •

فضحك ابراهيم مجاراة له ، ولكنه ازداد خوفا من ذلك التباله ، ولم يعلم كيف يسترضيه ، فقال له : «بالله كف عن المزاح واخبرني ، وحياتي في يدك •• فلا تخف وأنا انما أريد قضاء حاجة لك» •

فمشى الضحاك فتبعه ابراهيم حتى خرجا من الغرفة ، فلما استقبلا ضوء القمر التفت الضحاك وقال : «هل يحمل ابو مسلم اهله معه اذا سافر ؟ »

قال : «تعني هل يصحب امرأته في سفره ؟ كلا انه يتركها فـي منزلها وحولها !الارصاد والعيون لانه شديد الغيرة ولا يدع لها سبيـلا للخروج من البيت ، ولا يدع احدا يدخل قصره غيره • وفي قصره كوي يطرح لنسائه منها ما يحتجن اليه • وبلغني انه يوم زفت اليه امرأته أمر بالبرذون الذي ركبته فذبح وأحرق السرج لئلا يركبه احد بعدها !»

فقطع الضحاك كلامه قائلا : «تقول (لنسائه) كأنه تزوج عدة نساء ؟»

قال : «كلا انه لم يتزوج اثنتين معا قط ، وهو يكره الزواج ويعده جنونا • ومن اقواله المأثورة : (الزواج جنون ، ويكفي الانسان ان يجن في السنة مرة) • فمن كان هذا اعتقاده لا يهتم بالنساء ، ولكني اردت بنسائه اللواتي في قصره من الجواري والحواضن ونحوهن مما تقتضيه مظاهر الامارة» •

فلما سمع الضحاك قوله اطرق ، وكأنه ثاب اليـه رشده • وأدرك

ابراهيم ان ذلك السؤال لم يكن عبثا ، فاستأنس بهدوئه فقال له : « ان امر هذا الرجل غريب جدا لم اسمع بمثله، ولعل هذه الخلال من اسباب نجاحه لانه ينقطع عن كل شيء في سبيل القيام بدعوته .. فتراه لا يضحك ولا يمزح ولا يلهو بشيء قط» .

قال الضحاك : «وصلنا الى السر . بلغني انه لما شاهد مولاتي الدهقانة الليلة شغف بها وكأنه اراد ان يتزوجها . وبما ان مولاتي مخطوبة لامير اخر ، فاذا كان ابو مسلم يريدها لنفسه فاني استطيع تحويل الخطبة اليه . هذا سر بيني وبينك ، فهمت ؟»

قال ابراهيم : «لا تخف يا اخي فقد اوسعتني تجذيرا . أما انه رأى الدهقانة وأحبها فهذا امر بعيد ، وهو لا يرفع بصره الى النساء لانه غيور ويعرف قدر الغيرة . اما اذا كان الامر على خلاف ذلك فأرجو ان تصرح» .

فألقى الضحاك يده على كتف ابراهيم، وهو يخفض بصره ليراه لقصره وقال : «أظنك تعني ان الدهقانة احبته وكأنها أحبت الاقتران به . فهب ان هذا هو الواقع فما قولك ؟»

قال وهو يرفع بصره نحوه : «ان ذلك يحتاج الى استرضاء ابي مسلم . واسترضاؤه ليس بالامر السهل لانه يكره الزواج كما قلت لك» .

قال : «اذن انت لا ترجو قبوله» .

قال : «لا ارجوه ولا انا قانط منه ، فالامر يحتاج الى روية وسعي» . قال ذلك وأمسك بمنطقة الضحاك وقال : «اسمع ، انك تجعل نفسك مهذارا وأنت ادهى مني . قد خطر لي خاطر ، أظنه يؤدي الى تحقيق غرضك . لا يستطيع احد ان يفاتح أبا مسلم في امر الزواج الان ، ولكنني ارى ان نسترعي انتباهه الى الدهقانة بأن نذكر له مثلا انها شديدة الغيرة على اهل الشيعة متفانية في نصرتهم ، وانها تحب ان تخدمه فيما يؤيد دعوته وينصره على اعدائه . فاذا اجتمع بالدهقانة بعدئذ ثم

رأى منها ما يدل على نصرته حقيقة فلعله يحبها . هذا ما اراه وقد اكون مخطئا» . قال ذلك وهز منكبيه ، فقال الضحاك : «هذا هو الصواب .. فهل تستطيع ان تتوسط في امر اجتماعهما ؟ على اني اقول هذا من عندي ، وأخاف ألا تقبله مولاتي» .

قال : «اني في خدمتك بقدر ما استطيع» .

وكانت سحنة الضحاك قد اكتسبت اثناء الحديث طابع الجد ، وكاد المجون ان يذهب عنها . فلما سمع قول ابراهيم عاد الى مجونه ، فالتقط ذيل جبته وأدارها حول ابراهيم فاختفى فيها اقصره ، فأجفل وانسحب من تحتها فوقعت عمامته على الارض فالتقطها وهو يضحك ، فقال له الضحاك : «والله انك رجل لطيف ومتواضع ، فانك خازن الامير وتتحمل مجون خادم مهذار مثلي» .

قال : «لا أظنك مهذارا يا اخي ، ولا بد لك من شأن . والآن ألا تأخذ الكيس بما فيه ؟»

قال : «ليس هو لي ، وانما سقط من القمر وأنت التقطته . فاحتفظ به لنفسك ، واذا وفيت بوعدك فلك عندنا من هذه الأكياس ما يغنيك عن استبدال الدرهم بالدرهم سرا حتى تخاف خادما مهذارا .. هل فهمت ؛ السلام عليكم» . قال ذلك وتناول نعليه بيديه وهرول مسرعا الى ريحانة، وقد تغير الطقس وتلبدت الغيوم وهبت الرياح وفيها رائحة الشتاء ؛ وكانوا في أوائل الربيع حين ينقلب الطقس على غير انتظار .

* * *

لبثت جلنار في غرفتها تنتظر بفارغ الصبر ، وقد تعاظم قلقها واضطرابها لما تتوقعه من فشل المهمة التي ذهبت فيها ريحانة . فكانت اذا سمعت اي حركة ، خفق قلبها ، وحدثتها نفسها ان تخرج من الغرفة لعلها

تلهو بشيء او تسمع من ريحانة او الضحاك ما يقوي عزمها او يطمئن قلبها . وفجأة سمعت جعجعة جمل في الجهة الاخرى من القصر فاستأنست بصوته لانه من معسكر حبيبها ، ثم ازدادت الجعجعة .. فهمت بالخروج لترى ما هناك ، ثم وقفت وأصغت فلم تعد تسمع صوتا فعادت الى الفراش ، ولكنها سمعت وقع خطوات خفيفة فاستغربت ذلك ، ثم سمعت نقرا خفيفا على الباب فنهضت وفتحته وقلبها يدق دقا شديدا ، فاذا بريحانة هي القادمة فسرى عنها لرؤيتها ، ودخلت ريحانة مسرعة وهي تتعثر بسراويلها المنتفخة والبغتة بادية في وجهها . فابتدرتها جلنار بالسؤال عما جرى ، فضمت انامل يدها اليمنى تستمهلها ، وقالت بصوت منخفض وهي تلهث وتتلفت يمينا وشمالا : «تمهلي يا سيدتي» . ثم اصاخت بسمعها ، فسكتت جلنار وأصغت فلم تسمع شيئا ، فنظرت الى ريحانة مستفهمة ، فأجابتها بصوت خافت : «لقيت الضحاك وأرسلته في المهمة المعروفة ، ومكثت في غرفتي قليلا ثم خرجت اليك وأنا أحاذر ان يراني احد . وقبل دخولي في الرواق سمعت مولاي الدهقان يتنحنح على مقربة مني فذعرت وخفت ان يكون قد راني ، فوقفت هنيهة والضوء ضعيف فلم اسمع شيئا .. فخلعت نعالي ومشيت حافية على أطراف اناملي حتى جئت اليك» .

فقالت : «أظنك واهمة لان ابي لا يسهر الى هذا الوقت ، وهبي انه رآك فهذا لا يوجب قلقا . اخبريني الان عن الضحاك ومهمته» .

فقصت عليها اهم ما دار بينها وبينه الى ان قالت : «وأنا في انتظار رجوعه لارى ما يكون . ولا ريب عندي في ان هذا العربي مع ما يظهر من مجونه وبلهه ذو أريحية وحماسة ، ولا اظن مجونه الا تصنعا» .

قالت : «وما الذي يدعوه الى التظاهر بالبله وهو عربي ، والعرب اصحاب هذه الدولة ، فلو لم يكن البله سجية فيه لكان من اكبر رجال

الدولة وكان في غنى عن الخدمة» •

فأشارت ريحانة برأسها وعينيها ان «صدقت مولاتي» • ثم قالت : «ومهما يكن من شأنه ، فاني واثقة بحميته وصدق خدمته ، وسترين • ولكن لا بد من الذهاب الى غرفتي لانتظره فيها كما تواعدنا» •

فقالت : «ارى ان اخرج معك لاجتمع به عندك» •

ففهمت ريحانة قصدها وأومأت ايماء الاستحسان والطاعة ، ولبثت تنتظر امرها • فاذا بها قد نهضت من الفراش ، وكان على اللحاف مطرف من خز احمر مبطن بالفرو فالتحفت به فغطاها كلها ، ولفت رأسها بشال من الكشمير موشى بالحرير ، فلم يبق ظاهرا منها الا مقدم وجهها • فمشت الماشطة امامها وسارتا نحو غرفتها • وما ان خرجتا من الرواق حتى سمعتا هبوب الزوابع وتنسمتا رائحة الشتاء ، فسرى عن جلنار لسبب لا تعلمه ، وأرادت ان تكلم ريحانة ، ثم امسكت حتى وصلتا الى الغرفة فدخلتا وأغلقت ريحانة الباب وأسرعت لاعداد مقعد لسيدتها ، فقعدت جلنار ووجهها تجاه المسرجة • ولما قعدت نزعت الشال عن رأسها فبان وجهها وقد زاده الدفء رونقا وجمالا ، فتأملتها ريحانة معجبة بجمالها ولم تتمالك عن تقبيل رأسها • ثم جثت بين يديها وأخذت في اصلاح ما بعثره الخمار من شعرها وقالت : «سبحان الخالق • كيف لا يسحر الخراساني بهذا الجمال الذي لا مثيل له ؟» •

فتنهدت جلنار وسكتت هنيهة ، ثم تذكرت شيئا مر بخاطرها لما سمعت هبوب الرياح وهمت بأن تقوله لماشطتها فقالت : «شعرت يا ريحانة ونحن قادمتان الان براحة وطمأنينة لسبب لا أعلمه» •

فابتسمت الماشطة وقالت : «جعل الله كل ايامك راحة وسعادة» • ثم نهضت وقالت : «وأنا ايضا شعرت بمثل ذلك وأظن السبب واحدا وهو هبوب الرياح وتوقع المطر ، فاني كثيرا ما اكون منقبضة النفس فاذا

امطرت السماء سررت وذهب عني الانقباض » • ثم وقفت هنيهة تجاه المرآة لغير غرض مقصود ، وتحولت فجأة الى سيدتها وقالت : «أظـــن لسرورنا بهذه الرياح سببا اخر هل أذكره ؟»

قالت : «قولي» •

فضحكت وقالت : «لان الزوابع يعقبها المطر الشديد ، واذا اشتدت الامطار كثرت الاوحال وسدت الطرق فيتأخر أضيافنا عن السفر يومـا او بضعة ايام» •

فتبسمت جلنار ، وهمت بالكلام ولكنها سمعت ضحكة عالية ادركت انها ضحكة الضحاك ، ولم تكن تتوقع ان يجعل لقدومه مثل هـــذه الضوضاء وهم في حال تدعو الى التكتم • فنظرت الى ريحانة فرأتها في مثل حيرتها ، وقالت هذه : «صدقت يا مولاتي انه ابله حقيقة» •

ولبثتا بعد تلك الضحكة تتوقعان وصوله ، فسمعتاه يقول بصوت عال : «صدقت يا مولاي الدهقان : ان الطقس قد تغير ولا يلبث المطر ان يهطل لان مطر الربيع قد يكون جارفا • وآنا لا استطيع النوم في مثل هذه الليلة» • وضحك • فلما سمعتا ذلك علمتا ان الدهقان لا يزال ساهرا، فخافت ريحانة ان يعلم بهما فتقدمت الى السراج وغطته بحيث لا يبدو نوره من شقوق الباب فلما فعلت ذلك سمعتا الضحاك يقول : «ألم اقل لمولاي ان ما ظنه نورا خارجا من الغرف ، انما هو من فضلات البرق اذ ليس في هذا القصر ساهر سوى مولاي وأنا • واذا ظل مولاي الدهقان ساهرا فلا عجب اذا كان اهل القصر سهارى • اما انا فاني ذاهب الـــى الفراش بعد ان اكون في خدمة مولاي حتى يدخل فراشه لان سائـــر الخدم نيام ، واذا احب ان أونسه بقية هذا الليل فعلت» •

فخفق قلب جلنار عند سماعها كلامه لانها ادركت ان أباها اساء الظن بريحانة ، وسأل عن سبب النور الخارج من غرفتها ، وأعجبها الضحاك

وحسن تخلصه . على انهما مكثتا صامتتين لا تتحركان ، فلما مضت مدة لم تسمعا فيها صوتا أيقنتا ان الدهقان ذهب الى فراشه، ولا يلبث الضحاك ان يعود اليهما . فأخذت جلنار تتأهب لسماع الحكم على عواطفها ، فاما الى النعيم واما الى الجحيم . ولم تكن تتوقع الشعور بمجيء الضحاك او سماع خطواته قبل وصوله الى الباب ، لتعاظم هبوب الرياح وحفيف الشجر وقصف الرعد .

- ٤ -

رسالة .. وهدية

وبعد قليل سمعتا قرعا خفيفا على الباب ، فأجفلتا ، وأسرعت ريحانة الى فتحه واذا بالضحاك يدخل مسرعا ، وهو في ذلك القباء المقلوب ، وعمامته مشوهة ونعلاه في منطقته وشعر لحيته منتفش وهيئته غاية في الغرابة . فلما وجد جلنار هناك ، أجفل وقام باصلاح شعره وتسوية عمامته وهو يضحك بلا قهقهة ، وأخرج النعلين من منطقته فوضعهما بالباب ، ووقف متأدبا كأنه مارد لطوله . فابتسمت جلنار من منظره وحركاته فقال لها : «اعذريني يا مولاتي فاني لم اكن أحسبك هنا . والحق على هذه الملعونة» . وأشار باحدى يديه الى ريحانة وباليد الاخرى الى عمامته ، فضحكت جلنار لاسلوبه في التخلص من غضب ريحانة . وأما ريحانة فغالطته وقالت : «ان الدهقانة مسرورة من همتك ونشاطك» .

فقطع كلامها بصوت منخفض وقال : «وأنت ؟ ألا تسرين الا اذا كان

العريس لك ؟»

فقالت : «دعنا من المجون ، ارو لنا ما فعلت ، والزم الجد بحيـــاة مولاتنا الدهقانة» .

فلما سمع قولها وقف بين يدي جلنار متأدبا ، فأشارت اليه ان يقعد فقعد ، وأخذ في سرد ما حدث منذ ساعة خروجه من غرفتها الى ان لقي ابراهيم الخازن ، وكيف احتال عليه وأخرجه من حجرته وما دار بينهما ، حتى انتهى الى ما تم الاتفاق عليه بينهما ، ولكنه لم يذكر ما قاله الخازن عن كره ابي مسلم للنساء ، لعلمه ان هذا يسيء الى جلنار وقد يوقعها في اليأس . على انه اخبرها ان احدا من خاصة ابي مسلم لا يستطيع ان يكلمه في امر الزواج تهيبا ، فاذا لقيته هي فلا بأس بأن تخاطبه في هذا الشأن لانه يحبها ويتمنى قربها ، ولاسيما اذا اظهرت له غيرتها على الدعوة التي هو قائم بتأييدها .

وكانت جلنار تتلهف لسماع الحديث ، فلما فرغ منه انقبضت نفسها لانها كانت ترجو ان تعرف شيئا عن ميل ابي مسلم اليها ؛ فسكتت وظهر الانقباض في وجهها ، فأدركت ريحانة سبب انقباضها وأرادت انعـاش املها فقالت : «بورك فيك يا ضحاك ، ما ألطف أسلوبك فقد فعلت كل ما في الامكان » .

فقال : «اني لم أعمل شيئا بعد ، ولكنني مهدت السبيل ، فاذا رأت مولاتي ان أبدي لها رأيي فيما ينبغي ان تعمله فعلت» .

فقالت جلنار : «قل يا ضحاك» .

قال : «ارى ان تهيئي وسيلة لتجتمعي بأبي مسلم ويدور بينكمـــا الحديث » .

فاحمر وجه جلنار خجلا اذ تصورت نفسها في خلوة مع ابي مسلم ، وهي قد شبت على ألا تخاطب من الرجال غير ابيها وخدم قصرها . ثم

تذكرت انها لا تستطيع الوصول الى تلك الجلسة لا بالتزلف والتذلل والنزول عن انفتها وعزة نفسها • ثم هي فوق ذلك ستخالف مشيئة ابيها وتتعرض لغضبه اذا علم بذلك الاجتماع • فلما تصورت ذلك غلبت عليها عزة النفس ، فتراجعت في مجلسها وهزت رأسها ولسان حالها يقول : «لا أفعل ذلك» •

ففهم الضحاك ما يجول في نفسها ، فرفع حاجبيه وقلب شفته السفلى كأنه يقول لها : «الامر امرك» • ثم قال : «لا أنكر يا مولاتي ان ذهابك للاجتماع به لا يخلو من التنازل و••»

فخافت ريحانة ان يذكر لها اصل ابي مسلم ومنشأه ، فاعترضت حديثه قائلة : «لا ارى في ذلك تنازلا ، لانها اذا ذهبت اليه او كلمته فانها تخاطب شابا هو اعظم رجل في خراسان وقائد رجال الشيعة •• تحت امرته شيوخ من قواد الخراسانيين وأمرائهم ، ويكفي ان الامام اختاره لهذا المنصب العظيم • واذا نظرت الى وجهه علمت ان المستقبل له لا محالة » •

فلما سمعت جلنار هذا الاطناب تحركت فيها عوامل الحب ، ولكنها ظلت ساكتة • وفهم الضحاك ان ريحانة لا تريد ان يذكر شيئا عن اصل ابي مسلم امام جلنار فقال : «لا أنكر منزلة هذا البطل الشاب ، وانما اردت بالتنازل ذهاب مولاتي الدهقانة اليه وهي فتاة ، الا اذا كانت تحب ••• (وبلع ريقه) فتلك مسألة أخرى هي أعلم بها» • قال ذلك وضحك وهو مطرق برأسه وعيناه مرتفعتان نحوها •

أما جلنار ، فان الاهتمام ظهر في عينيها وسكتت وتشاغلت بارسال ضفائر من شعرها الى ظهرها كانت قد استرسلت الى الامام عند انحنائها• ثم أصلحت القرط في أذنها وهي مطرقة ، وأدركت ريحانة ولحظ الضحاك انها تتردد في امر الاجتماع ، وظلوا صامتين هنيهة • وأخيرا بدأت ريحانة

الحديث قائلة : «تبصري يا مولاتي في الامر على مهل ، فان القوم باقون هنا بضعة ايام بسبب الامطار» .

فظلت جلنار صامتة مطرقة ، فأدرك الضحاك انها لا تزال مترددة فقال لها : «اذا أذنت مولاتي لمملوكها ان يصرح بما في ضميره فعل» .

قالت جلنار : «قل» .

قال : «يلوح لي انك تكبرين امر ذلك الاجتماع ، ونحن نعلم انفتك وعزة نفسك ، ولكن أبا مسلم قد حصر قواه وعواطفه في امر الدعوة التي قام بها ، وما من سبيل يوصلنا الى قلبه غير هذه الدعوة ، فأرى ان تبدأ سيدتي تبادل الرأي بينها وبينه في شيء يدل على عطفها على قضيته ، فيكون ذلك فاتحة لعلاقة . ثم نرى ما يكون» .

فسرت جلنار ، وظهر السرور على وجهها فكان جوابا كافيا للضحاك ، ثم قالت له ريحانة : «أصبت يا ضحاك .. بورك فيك ، أوضح لنا ما تعني» .

قال : «ارى ان تبعث مولاتي الى ابي مسلم بما يدل على تأييدها لدعوته ورغبتها في رضاه . ونرى ما يكون منه» .

قالت ريحانة : «أظنك تعني ان ترسل اليه المال» .

قال : «المال وغير المال كما تشاء» .

فقطعت جلنار حديثهما قائلة : «فهمت .. ولكن ..» . ونظرت في وجه ريحانة كأنها تستطلع رأيها في امر لا تريد التصريح به امام الضحاك ، فأدركت ريحانة ذلك فنهضت وهي تقول : «أظنك يا مولاتي قد تعبت من السهر» .

ففهم الضحاك مرادها ، فنهض وأحنى رأسه ويداه على صدره يستأذن في الذهاب . وقال : «اني رهين ما تأمرينني به» . قال ذلك وخرج .

نهضت جلنار ، ومشت الى غرفتها وهي تسترق الخطى مخافة ان يسمع

وقع قدميها • اما ريحانة فانها سارعت الى السير في أثرها حتى وصلتا الى غرفة جلنار . فدخلتا وتوسدت جلنار فراشها وتغطت باللحاف والتفت بالمطرف ، دفعا لما أحست به من البرد في اثناء مرورهـــا في الرواق • وجلست ريحانة بين يديها وقد لفت رأسها وعنقها بالشال • فلما استتب بهما المقام ، قالت ريحانة : «هوني عليك يا مولاتي فلن نعدم وسيلة الى حل مشكلتك» •

فقطعت جلنار كلامها قائلة : «وكيف نستطيع حلها ، وأنا كحجر بين مطرقتين او ثلاث • فأبـــي من جهة قد عقد خطبتي على ابن الكرماني وسيزفني اليه قريبا ، وأرى نفسي من جهة اخرى مقيدة القلب ولا ادري اذا كانت المحبة متبادلة • فكيف الخلاص ؟• وماذا أصنع اذا لم تكـن المحبة متبادلة ؟» • قالت ذلك وشرقت بريقها واحمرت وجنتاها . ولحظت ريحانة في عينيها دمعتين تترددان بين الاماقي فتأثرت لحالها وشعـــرت بحرج موقفها ، فبادرت الى التخفيف عنها فقالت : «اما ابن الكرمانـي فليس امره بذي شأن ، لأنك لو زففت اليه لما استطاع الاحتفاظ بك الا اذا انتصر على ابي مسلم ، وفي هذه الحالة لا يكون ابو مسلم كفؤا لك، وأما اذا كانت الغلبة له فانه لا يلبث ان يستولي على كل ما هو للكرماني• فتكونين له ولا تعدمين وسيلة تصونين بها نفسك عند الكرماني حتى ذلك الحين» •

فأدركت جلنار ما عرضت به ريحانة ، وتملكها الخجـــل ، فتكلفت الابتسام . وعادت ريحانة الى حديثها فقالت : «بقي علينا النظر فـــي الوسيلة الى ابي مسلم ، والحق يقال ان رأي العربي المهذار اهل للاخذ به • لان زيارتك لابي مسلم مفاجأة ، وهي بغير سابق تراسل لا تخلو من الابتذال ، وخير منها ان ترسلي اليه مع الضحاك بعض المال معاونة له على نجاح دعوته • ثم يتلطف الضحاك فيفهمه ان هديتك هذه دليل حبك اياه

واخلاصك لدعوته • ونرى ما يكون من جوابه • واذا رأيت ان ترسلي اليه هدية خاصة به تؤكد محبتك ، فعلت» •

فأشرق وجه جلنار لهذا الرأي ، وكانت متكئة فجلست وقالت : «لقد أعجبني يا ريحانة رأيك هذا ، وان ارسال الهدية الخاصة معين على معرفة رأي ابي مسلم فيّ • فما عسى ان تكون تلك الهدية ؟»

قالت : «السيف اجمل هدية تهدى للقواد ، فاذا بعثت اليه بسيف مرصع ، وأبلغه الرسول انه هدية منك اليه ، ازداد اعتقادا بسلامة نيتك في نصرته ، واذا كان في نفسه شيء ظهر» •

فقالت : «ومن اين آتي بهذا السيف ؟»

قالت : «ذلك يسير على من يبذل المال ، فأعط الضحاك مالا ، فيذهب ويعود اليك بالسيف في ساعة !»

ففرحت جلنار بهذا التدبير وقالت : «اني آكل تدبير الامر اليك ، وأما النقود فهي عند الخازنة ، خذي منها ما تشائين ، واحذري ان يعلم ابي فنقع في مشكلة يصعب حلها» •

قالت : «كوني مطمئنة يا مولاتي ، وخففي عنك ونامي وسوف اقوم بتدبير كل شيء» •

ثم قبلت رأسها ويدها وعادت الى غرفتها • اما جلنار ، فلم تعرف طعم النوم الا قليلا لعظم اضطرابها وقلقها •

* * *

فلندع هؤلاء في تدبيرهم ولنرجع الى ابي مسلم ، فقد تركناه في دار الضيافة ومعه خالد بن برمك ، وهو ساهر يفكر في مشروعه وفيما عساه ان يحول دونه من العقبات ، فقد كان شديد الحذر متيقظا سيء الظن بالناس • وبعد ان نام هزيعا من الليل أفاق على هبوب الرياح وقصف

الرعد وتساقط الامطار ، فشق عليه ذلك مخافة ان تحول الاوحال دون سفره . فأطل من نافذة غرفته ونظر الى ما حوله وكان المطر قد انقطع والصبح قد تنفس ، فرأى المياه قد ملأت الطرق وسالت في أخاديد الارض ، فذهب الى غرفة خالد ولم يكد يدنو منها حتى رآه خارجا منها وقد تزمل بعباءته ، فصاح به قائلا : «خالد ؟!»

فقال : «لبيك ايها الامير» .

قال : «ما رأيك في الرسول الذي بعثناه بالامس . هل تظنه تمكن من التجسس ؟ »

قال : «أظنه فعل ، واذا ابطأ فما ذاك الا بسبب الامطار والاوحال» .

قال : «اني في انتظاره على مثل الجمر لنعلم حال اعدائنا في مرو ، فنتدبر في امر حربهم» .

فقال خالد : «ذلك ما شغل خاطري الليلة وحرمني النوم ، على اني واثق بالرجل واخلاصه ، وهو يخاف غضبك ويكره نصرا بن سيار كرها شديدا » .

قال ابو مسلم : «ما في معسكرنا من يحب نصرا ، ولكنني اخشى ان يخدعهم الكرماني لانه من دهاة الرجال . وقد علمت انه اخرج نصرا من مرو وتملكها» .

وفيما هما في ذلك سمعا حركة في داخل الدار ، ثم اذا ببعض الغلمان قد اقبلوا يحملون كانونا فيه نار وضعوه في احد جوانب الغرفة للاستدفاء ، وذروا فيه شيئا من البخور فانتشرت رائحته في الدار كلها، فاستأنس ابو مسلم بالدفء والبخور ، وجلس على وسادة فوق البساط والتف بمطرف خز اسود ولاث عمامته على رأسه وأشار الى خالد فقعد الى جانبه ، ثم تذكر انهما لم يؤديا الصلاة بعد ، فنهض ونهض معه خالد وصليا ، ثم قعدا يفكران في امر الرجل الذي ارسلاه لتجسس احوال

مرو قبل وصولهما اليها ، وكانا قد اوعزا اليه ان يوافيهما الى هناك .

وبعد قليل جاء الخدم بالطعام ، فأكلا ولم يتكلما الا قليلا لان ابا مسلم كان قليل الكلام . وعند الضحى دخل احد غلمان ابي مسلم وقال: «ان بالباب رجلا يطلب مقابلة الامير» .

قال : «لعله من رجالنا ؟» . قال : «بل هو من رجال الدهقان» . فقال : «يدخل» .

فدخل الضحاك يحمل خريطة اثقلت كاهله ، فوضعها بقرب الكانون وأغلق الباب ، ودخل متأدبا في مشيته حتى وقف بين يدي ابي مسلم ، فصاح به هذا قائلا : «من انت وما غرضك ؟»

قال : «اني من موالي الدهقان ، ولي مع لامير شأن أبديه اذا سمح لي بخلوة » .

وكان الضحاك يتكلم محاولا اخفاء امارات المجون من وجهه ، ولم يتم كلامه حتى نهض خالد وخرج . فأشار ابو مسلم الى الضحاك ان يقعد فأكب على يد ابي مسلم يقبلها وقال : «قد اتيت مولاي الامير في مهمة سرية ارجو ان يكتمها لوجه الله ، وأنا رسول وما على الرسول الا البـــلاغ » .

قال : «لا خوف عليك» .

فمد الضحاك يده وأخرج من تحت عباءته سيفا مرصعا دفعه الى ابي مسلم . فأجفل هذا لاول وهلة مخافة ان يكون في الامــــر دسيسة او اغتيال ، ونظر في وجه الضحاك والغضب والحذر باد في عينيه . فضحك الضحاك متبالها ، وقال : «أيخاف صاحب هذا الجند من مهذار مثلي جاء بهدية . ومن يجرؤ ان يقدم على الامير غير خاضع مطيع ؟ اني ارى الموت بين شفتيك والقضاء المبرم في عينيك ، فبالله ألا تبسمت قبل ان اقع قتيلا» . قال ذلك وهو يتظاهر بالذعر ، او هو ذعر فعلا ، لان ابا مسلم

كان شديد الهيبة لا يستطيع احد التفرس في وجهه •

فتكلف ابو مسلم الابتسام وهو يتناول السيف بيده ، وليس فــي ابتسامه ما يدعو الى الاستئناس او السكينة • ولما تناول السيف تأمله وقلبه بين يديه ثم نظر الى الضحاك وكان لا يزال واقفا وقال : «اقعد» •

فقعد متأدبا وهو يتلفت يمينا وشمالا ، فقال له ابو مسلم : «مـــا شأنك يا رجل ؟•• ألست عربيا ؟»

فتراجع الضحاك وأظهر الخوف ، وقال : «وهل علي بأس من وصية الامام ؟ »

فلم يتمالك ابو مسلم عن الضحك من حركته وهيئته وقال : « ان وصيته لا تجري على كل عربي ، بل الامام نفسه عربي •• فاطمئن وقل ما خطبك » •

فنظر الضحاك الى الباب نظرة الخائف المحاذر ، وقال : «أطلب الى مولاي اولا ان يكتم ما سيدور بيني وبينه فقد جئته بأمر ارجو ان ينفعه، واذا شاع أضرني» •

قال : «اننا نكتم امرك ، فقل ولا تخش شيئا» •

قال : «اني رسول مولاتي الدهقانة جلنار •• هل تعرفها ؟»

فوجم ابو مسلم لحظة ثم قال : «أليست ابنة الدهقان صاحب هذه المحلــة ؟ »

قال : «هي بعينها ، وقد شهدت مجلسك بالامس وسحرت بمـــا شاهدته من حميتك • وأعجبها الامر الذي انت قائم به ، ثم علمت بما أداه ابوها من معاونة فأحبت ان تخص نفسها بمال تؤديه هي من جيبها الخاص ، فبعثت بجانب منه في هذه الخريطة (وأومأ الى الخريطة) على شرط ألا يعلم بذلك احد ، وهي لا تلتمس مقابل ذلك الا رضا الامــير أعزه الله • ثم انها بعثت اليك بهذا السيف المرصع هدية ، وهو قديم

فيه سر عظيم ولم يحمله احد الا انتصر على عدوه» •

فأعاد ابو مسلم النظر الى السيف ، وتناوله واستله من قرابه وتأمل فرنده وهو يلمع كالزجاج وفيه تموج بديع ، ثم قال : «يظهر انــــه مسموم » •

قال : «أظنه كذلك لان مولاتي قالت انه لم يصب به احد الا مــات لساعته ولو كان جرحه خفيفا» •

فقال : «انها هدية ثمينة ، ثم ماذا ؟»

قال : «عندي كلمة اخرى احب كتمانها حتى عن الدهقانة نفسها • فاذا عاهدني الامير على ذلك بحت له بها» •

فاستغرب ابو مسلم كلامه واستأنس بخفة روحه ، فقال له : «قل ما تشاء ولا تخف» •

قال : «ان مولاتي الدهقانة اجمل اهل زمانها وما من امير او دهقان الا تمنى رضاها ، ولكنها تمنع نفسها عن كل طالب ، ولم يمل قلبها الى احد منهم ، وقد خطبها الكرماني ــ امير العرب المحاصرين مرو ــ لابنه، فقبل ابوها الخطبة ، ولكنها لم تقبلها ، وقد تذهب الى الكرماني طوعا لامر ابيها ، فاذا سارت اليه فقلبها لا يسير معها •• لانه عالق برجل اعظم منه وأعظم من كل رجل في خراسان» •

فادرك ابو مسلم انه يلمح الى حبها اياه ولم يكن فاته ذلك من قبل ، على انه اراد ان يتحقق ذلك فقال : «ومن يكون هذا الرجل ؟»

فقال : «هو في هذه الغرفة ولكنه ليس انا !» • قال هذا وضحك . فلم يتمالك ابو مسلم عن الضحك وقال : «لقد اعجبني اسلوبــــك يا رجل » •

قال : «انا أعلم عن مولاي الامير اكثر مما يظن . ولذلك فاني لا أقصد برسالتي هذه ان أكلفه ما لا يريد • ولكنني تعهدت لصاحبة الهدية

برضا ابي مسلم عنها ، ويجوز ان يكون ذلك الرضا ظاهريا فقط • ثم لا أخفي على حامل علم الامام ان نظرة منه تشف عن رضى او ارتياح تجعل هذه الفتاة المفتونة آلة بيده قد يستخدمها فيما ينفعه ولو كانت في فسطاط الكرماني نفسه او في قصر نصر بن سيار صاحب مرو» •

فأطرق ابو مسلم هنيهة ، وهو يعمل فكرته ويتدبر ما سمعه من الضحاك فرأى قوله لا يخلو من صواب ، ولكنه امسك عن الخوض معه في ذلك ، ثم رفع السيف من بين يديه ووضعه وراء الوسادة ونظر الى الباب ، فأدرك الضحاك انه يريد ان يصرفه ، فوقف وقال : «يأمر مولاي خازنه ان يأخذ هذه الاكياس» • ومشى نحو الخريطة بقرب الكانون •

فصفق ابو مسلم فدخل حاجبه ، فقال : «الي بالخازن» •

فخرج الحاجب وعاد ومعه ابراهيم الخازن ، فلما دخل ابراهيم ورأى الضحاك في خلوة مع ابي مسلم أوجس خيفة • ولكنه ما عتم ان سمع هذا يقول له : «خذ هذا المال واثبته في دفاترك» • ثم رأى الضحاك يفتح الخريطة ويخرج منها عشرة اكياس مختومة قائلا له : «هذه عشرة أكياس في كل منها الف دينار يوسفية» • وأطال لفظ يوسفية !

فحملها ابراهيم وخرج وهو لا يصدق انه نجا من شر الضحاك • وبعد خروج ابراهيم أقبل على ابي مسلم وانحنى يقبل يديه ثم خرج •

- ٥ -

صاحب الخبر

لبث ابو مسلم هنيهة بعد خروج الضحاك مطرقا يفكر فيما سمعه ،

وقد لمح في الرجل غير ما يظهره من المجون وقال في نفسه : «لا يخلو هذا العربي من دهاء مستور» . وفكر في امر جلنار وتعلقها به وكان قد لحظ ميلها اليه من قبل ولم يعبأ به ، فرأى بعد ما سمعه من نصيحة الضحاك ان يستغل شغفها به في مقاصده وقضى ساعة في هذا التفكير ، واذا بخادم دخل حاملا جرابا فيه البخور والند ، وذر منهما شيئا في الكانون ، فلما رآه ابو مسلم تذكر خالدا فصاح فيه : «اين الامير خالد؟»

فقال : «في الحديقة يكلم رجلا قادما من سفر» .

فقال : «ادعهما الي» . وقد غلب على ظنه ان القادم صاحب الخبر الذي ينتظرانه . وما عتم ان دخل خالد مبتسما وقال : «لقد جاء صاحب الخبر هل يدخل ؟»

قال : «يدخل» . ودعا خالدا للجلوس . وكان ابو مسلم يرى خالدا ذا عقل ودهاء ولا يخفى عليه شيئا . فجلس خالد على وسادة بالقرب منه، ودخل الرسول وهو لا يزال بلباس السفر ، وعلى عباءته آثار المطر في الليل الماضي . فلما دخل القى التحية ووقف . فسأله ابو مسلم : «متى اتيت ؟ »

قال : «منذ ساعة او ساعتين» .

قال : «وما الذي منعك من الدخول علينا ؟»

قال : «كنت في انتظار الاذن» .

قال : «ليس على صاحب الخبر حرج ، ولا ينبغي ان يؤخر اذنه» . والتفت الى خالد كأنه يستطلع رأيه في ذلك ، فأشار بالموافقة . ثم أمر حاجبه ان يغلق الباب ويخرج ، وأشار الى الرسول ان يقعد ، فقعد متأدبا ، فقال له ابو مسلم : «ما خبرك وكيف فارقت مرو ؟»

قال : «فارقتها والحصار شديد عليها والاعداء محدقون بها» .

قال : «أظنك تعني الكرماني ؟»

قال : «اياه أعني ، فهو وشيبان الخارجي ، يقاتلان ابن سيار صاحب مرو معا ، وكل منهما يضمر السوء لصاحبه» .

فقال خالد : «وكيف ذلك وعهدي بالكرماني انه دخل مرو وأخرج نصرا منها ؟»

قال الجاسوس : «نعم يا مولاي قد كان ذلك ، ولكنه لم يدم .. ولكي يتضح لكم الامر أستأذن الامير في سرد الوقائع» .

قال ابو مسلم : «قل ولا توجز» .

قال : «لا يخفى على مولاي ان امر بني أمية اخذ يضعف منذ بضع سنين ، وانما بقي الحكم في أيديهم تهيبا من اسم الخلافة واحتراما للنذير . فلما افضت الخلافة الى مروان بن محمد اختلف اهله في بيعته وانتقضوا عليه مرة واحدة ، فقام الخوارج وغيرهم ممن يطمعون في السلطة ــ ومنهم الكرماني ــ وللكرماني ايها الامير حديث طويل مع نصر بن سيار امير مرو .. هل أقصه عليكم ؟»

قال : «لا بد من ذلك لان التفصيل يهدينا الى مخارج الامور ومداخلها» . قال : «لما مات أسد بن عبد الله عامل بني أمية على خراسان منذ عشر سنين ، استشار هشام بن عبد الملك (الخليفة يومئذ) بعض خاصته فيمن يوليه مكانه . فأشار بعضهم بأن يولي الكرماني وهو من رجال الدولة وأهل النجدة والحزم ، فأعرض عنه هشام وسأل : (ما اسمه ؟) فلما قيل له : (جديع بن علي) . قال : (لا حاجة لي به لقد تطيرت من اسمه) . فعرض عليه غيره وغيره حتى استقر الامر لنصر بن سيار حاكم خراسان الان . فأسرها الكرماني في نفسه ، فلما مات الوليد بن يزيد بن عبد الملك خلا كرسي الخلافة واختلف عليها بنو مروان . فقامت الفتنة وانتهز الكرماني الفرصة وأظهر العداء لنصر بن سيار . ولا يخفى على مولاي ان الرجل اذا قام يطلب امرا جعل اتكاله

على حزب من الاحزاب ، والكرماني وان كان اسمه يدل على انه فارسي من كرمان الا انه لقب بذلك لانه ولد في كرمان ، ولكنه عربي من بني أزد ، وهم يمانيون ؛ فاستنصرهم فنصروه على ابن سيار لان رجال هذا مضريون من عرب الحجاز . والخلاف بين اليمنيين والمضريين قديم ولا يزال شديدا ؛ وسيكون من اكبر سقوط العرب . وكأن اهل خراسان انفسهم منقسمين فيما بينهم للسبب نفسه . فلما مات الخليفة نهض من هذين الحزبين من يطلب الخلافة لغير مروان بن محمد . وكان عـــرب خراسان من هؤلاء فاختلفوا فيما بينهم ، وحاول نصر بن سيار ان يوفق بينهم بالتي هي احسن ؛ فأعياه ذلك ومنع عنهم العطاء . فلما كان فــــي بعض الايام وقد وقف في المسجد يخطب ، نهض الناس وطلبوا منـــــه أعطياتهم فصاح فيهم : (اياكم والمعصية وعليكم بالطاعة والجماعة) ، فوثب اهل السوق الى أسواقهم وثارت الافكار ، فغضب نصر وخطب فيهـــم خطابا لا يزالون يتناقلونه الى اليوم ، قال في جملته : (ما لكم عنــدي عطاء ؛ كأني بكم وقد نبع من تحت أرجلكم شر لا يطاق ، وكأني بكم مطروحين في الاسواق كالجزر المنحورة ، انه لم تطل ولايــة رجل الا ملوها وأنتم يا اهل خراسان مسلحة في نحور العدو ، فاياكم ان يختلف فيكم سيفان ، انكم ترجون امرا تريدون به الفتنة ، ولا ابقى الله عليكم، لقد نشرتكم وطويتكم فما عندي منكم الا عشرة ، واني واياكـــــم كما قيل :

(استمسكوا اصحابنا بحذركم فقد عرفنا خيركم وشركم

(فاتقوا الله ، فوالله لئن اختلف فيكم سيفان ليتمنين احدكـــم ان ينخلع من ماله وولده . يا اهل خراسان انكم قد غمطتم الجماعة وركنتم

الى الفرقة) • ثم تمثل بقول النابغة الذبياني :

فان يغلب شقاؤكم عليكم   فاني في صلاحكمو سعيت

«فعلم الكرماني بذلك الخلاف ، وكان نصر قد عزله عن منصب كان فيه من قبل ، فاتفق مع اصحابه على انتزاع الامور من يده ، وكاتبوا من في مرو من اليمنيين مستنجدين بهم ، وقد اخبرني رجل من خاصة ابن سيار ان المضريين اشاروا على نصر بأن يقتل الكرماني ، وقالوا له : (ان هذا الرجل يفسد عليك امرك فارسل اليه فاقتله او احبسه) • فلم يصغ لرأيهم وقال : (لا • ولكن أزوج بني من بناته وبنيه من بناتي) • فلما رفضوا اقتراحه قال : (فأبعث اليه بمائة الف درهم ، وهو بخيل لن يعطي اصحابه منها فينصرفون عنه) • قالوا : (لا •• هذه قوة له)• وطال الجدال بينهم حتى قالوا له اخيرا : (ان الكرماني لو لم يقدر على السلطان والملك الا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهود) • فلما رأى نصر الحاجهم عزم على حبسه • فأرسل صاحب حرسه ليأتيه به • وأرادت الازد ان تخلصه من يده فمنعهم الكرماني من ذلك ، وسار مع صاحب الحرس الى نصر وهو يضحك • فلما دخل عليه • قال نصر : (يا كرماني ألم يأتني كتاب يوسف بن عمر بقتلك فراجعته وقلت شيخ خراسان وفارسها فحقنت دمك ؟) قال : (بلى) • قال : (ألم أغرم عنك ما كان لزمك من الغرم وقسمته في أعطيات الناس ؟) • قال : (بلى) • قال : (ألم أرفع ابنك عليا على كره من قومك ؟) • قال : (بلى) • قال : (فهل جزاء ذلك اجماعكم على الفتنة ؟) • فقال الكرماني : (لم يقل الامير شيئا الا وقد كان اكثر منه ، وأنا لذلك شاكر ، وقد كان مني ايام اسد ما قد علمت ، فليتأن الامير فلست احب الفتنة) • ثم أمر نصر بضربه وحبسه في قلعة مرو ،

سنة ١٢٦ هـ وسعى الأزد لاطلاق سراحه ، فقال نصر : (اني حلفت ان احبسه ولا يناله سوء ، فان خشيتم عليه فاختاروا رجلا يكون معه) . فاختاروا رجلا اسمه يزيد النحوي اقام معه . ولكن ذلك الحبس لم يطل ، فان رجلا من اهل (نسف) عاهد اهل الكرماني على اخراجه بحيلة لطيفة . ذلك انه اتى مجرى الماء في القلعة فوسعه ، وأدخل الكرماني في السرب . فخرج بكل جهد وركب فرسه والقيود في رجله ، ثم اصبح بعد ذلك من ألد اعداء نصر ، وندم هذا على الابقاء عليه حياً، وتوسط الناس بينهما وطلبوا الى نصر ان يؤمنه ولا يحبسه ، فأمنه ولكن هذا لم يأمنه . فكان يدخل الجامع للصلاة ومعه ١٥٠٠ رجل وأكثر ، فيصلي خارج المقصورة ثم يدخل على نصر في المقصورة فيسلم عليه ولا يجلس . ثم تخلف عن نصر وأظهر الخلاف ، فبعث اليه نصر من يستقدمه معتذرا اليه عن حبسه ، فأبى» .

* * *

وكان الرسول يتكلم ، وأبو مسلم صامت يحدق بعينيه ويتفرس فيه .. وقد راعه ما سمع عن مطاولة نصر للكرماني ، فصاح بالرجل قائلا: «لقد لقي نصر جزاء ضعفه وتردده ، لماذا لم يقتله ويكفي نفسه مؤونة الحذر منه ؟ اطال الله بقاء الامام وأيد دعوته ، ان في وصيته ما يغنينا عن هذه المطاولة» . قال ذلك وهو يعبث بشعرات من لحيته ، وخالد يتهيب ما ظهر من حماسته ثم قال ابو مسلم للجاسوس : «ثم ماذا ؟» . فقال : «وما لبث الكرماني ان حارب نصرا وأخرجه من مرو قهرا في العام الماضي او الذي قبله ، ولكنه أنقذه من الحرث بن سريج» .

فقاطعه خالد قائلا : «انا أعرف الحرث هذا ، فقد كان في بلاد الترك وأبلى بلاء حسنا ، وكان بينه وبين نصر اختلاف واشتد الجدال بينهما ،

فاقترح نصر ان يحكم بعض الوجهاء ولم يتم ذلك» • ثم التفت خالد الى ابي مسلم وقال : «والحرث هذا يزعم انه صاحب الرايات السود !»

فنظر ابو مسلم اليه متعجبا ، وواصل الجاسوس كلامه فقال : «ولكن نصرا لم يصدقه فأرسل اليه يقول : (ان كنت تزعم انكم تهدمون سور دمشق وتزيلون ملك أمية ، فخذ مني خمسمائة رأس ومائتي بعير ، واحمل من الاموال وآلة الحرب ما شئت ، وسر •• فلعمري لئن كنت صاحب ما ذكرت اني لفي يدك ، وان كنت لست ذلك فقد اهلكت عشيرتك) • فأجابه الحرث : (قد علمت ان هذا حق ولكني لا يبايعني عليه من صحبني) • فقال نصر : (لقد ظهر انهم ليسوا على رأيك ، فاذكر الله في عشرين الفا من ربيعة واليمن يهلكون فيما بينكم) ••»

فقطع ابو مسلم كلام الجاسوس ، وقال : «انهم يخافون اصحاب الرايات السود ويدارونهم لما يرون من صدق بلائهم ومضاء عزيمتهم وانهم يقتلون كل من يشكون فيه» •

فعاد الجاسوس الى حديثه فقال : «ولم يكن ذلك ليثني الحرث عن عزمه ، فرأي نصر ان يضرب به الكرماني فقال له : (ان كان ما زعمت حقا ، فابدأ بالكرماني فان قتلته فأنا في طاعتك) ، فلم يفعل • وتطاول الحرث على نصر حتى صاروا يقرأون سيرته في اسواق مرو وفي المساجد يدعون الناس الى بيعته ، حتى قرأوها مرة على باب نصر نفسه ، فهاج الناس والتحم الفريقان ، وكانت معركة هائلة • فلم ير نصر الا ان يستنجد الكرماني ، ولكن هذا لم ينجده • وبعد ذلك انتهت المعركة بفرار نصر من مرو ، واستيلاء الكرماني عليها • فلما رآه الحرث قد فاز ، بعث اليه يطلب ان يكون الامر شورى بينهما ، فلم يقبل ، ثم اقتتلا فقتل الحرث وتفرقت قواته ، وصارت قبائل اليمن كلها مع الكرماني، وقد انتصروا على المضرية اصحاب نصر فاستبدوا فيهم وانتقموا منهم

وهدموا منازلهم • وكان الحرث نفسه مضريا فلما قتل قال فيه نصر :

«يا مدخل الذل على قومه   بعدا وسحقا لك من هالك»

فقال ابو مسلم : «فالكرماني الان صاحب مرو •• وأين نصر ؟»

قال : «لم تطل اقامة الكرماني في مرو ، لان المضرية اشتد ساعدهم بعد مقتل الحرث ، وانضم اليهم جماعة كبيرة من رجاله • فعاد نصر الى فتح مرو ، وخرج الكرماني منها وعسكر خارجها» •

قال : «فالكرماني الان يحاصر مرو» •

قال : «وليس وحده» •

قال : «ومن معه ؟ أظنك تعني شيبان الحروري» •

قال : «نعم يا مولاي • وليس شيبان بالشيء القليل لانه يرى رأي الخوارج ، فهو مخالف لنصر لانه من عمال مروان • وقد اتفق مع الكرماني على قتل نصر لان الكرماني يمني ونصر مصري» •

فقطع خالد كلام الرجل ، وخاطب أبا مسلم بالفارسية بما معناه : «لا يخفى عليك ايها الامير ان هذين لا يكرهان دعوتنا لاننا ندعو الى خلع مروان ايضا» •

فأجابه ابو مسلم : «سأذيقهم طعم الحزم والعزم ، وسأريهم كيف تؤكل الكتف» •

ثم التفت الى الرسول وقال : «اذن مرو يحاصرها الان جند الكرماني وشيبان ؟ »

قال : «نعم يا مولاي وهما على وفاق» •

قال : «وهل تعرف عدد رجالهما ؟»

قال : «لا أعرفه بالضبط ، ولكنهم يزيدون على بضعة آلاف» •

فتحرك ابو مسلم في مجلسه كأنه يتحفز للنهوض ، ففهم الرسول انه يريد خروجه فنهض وخرج ، والتفت ابو مسلم الى خالد وقال له : «علينا قتال هؤلاء جميعا : الكرماني ، وشيبان ، ونصر» .

فسكت خالد ولم يجب ، فلحظ ابو مسلم ما يجول بخاطره فقال : «كأني بك تسأل : كيف نحاربُ هؤلاء وليس معنا من الرجال احدا ؟ ولكن سترى كيف يأتيك الناس مئات وألوفا» . قال ذلك ونهض ليتفقد حالة الجو ، فمشى معه خالد الى الباب وأطلا على الحديقة فوجدا الشمس مشرقة ، وقد صفا الجو وشاع الدفء وأخذت المياه في الجفاف . فقال ابو مسلم : «نسافر الليلة ان شئنا» .

فقال خالد : «اذا رأى الامير ان نبيت الليلة هنا ونرحل في الصباح، كان ذلك اقرب الى الصواب» .

قال : «لا بأس من ذلك ، وأرى ان نبعث الى كبار النقباء نخبرهم بعزمنا ونشاورهم في امرنا وفي الخطة التي يجب ان نعمل بها قبل السير الى مرو . لاننا في حاجة الى الرجال والاموال ، وأنا على يقين من نجدة كل دهاقين خراسان فهم متفقون على الانتقام من العرب كافة لما يسومونهم من الخسف والذل» .

فقال خالد : «ألا ترى ان نكاتب الدهاقين ونستنجدهم ونبث الدعاة قبل سيرنا من هنا ، حتى اذا نهضنا الى مرو لا يطول انتظارنا النجدة ، ثم تتوالى علينا بعد ذلك النجدات باذن الله» .

قال ابو مسلم : «سنكاتب الدهاقين ونبث الدعاة متى خرجنا من هنا ، وننزل في اقرب القرى الينا ، ثم نرحل الى سفيذنج فننزل فيها على صاحبنا سليمان بن كثير فنكون أمام مرو» .

فلما سمع خالد اسم ابن كثير تذكر ما في قلب ابي مسلم من هذا الرجل مع ما يظهره له من احترامه . فابن كثير كان يدعو لاهل البيت

قبل ظهور ابي مسلم ، وقد ابلى في ذلك بلاء حسنا ونال مقاما رفيعا .
فلما بعث ابراهيم الامام أبا مسلم الى خراسان وعهد اليه في رياسة الدعاة لم يقبله سليمان بن كثير لصغر سنه ، وكبر عليه ان يكون تحت امره . وكان في جملة الدعاة رجل اسمه ابو داود ، فحسن للدعاة قبول ابي مسلم رئيسا عليهم فقبلوه . وكان قد بلغ ابا مسلم ما قاله ابن كثير فيه ، فحقد عليه وعرف فضل ابي داود ، فلما سمع خالد بن برمك ابا مسلم يذكر ابن كثير تذكر هذه الحادثة ، ولكنه تجاهل وأسرع الى الجواب لئلا ينتبه ابو مسلم لما جال في خاطره فقال : «حسنا رأيت ايها الامير ، فلنتأهب للمسير ، وفي الغد نسافر الى اقرب القرى الينا وهي (فنين) على ما اظن» .

قال : «نعم هي بعينها ، فابعث الى النقباء ان يكونوا على أهبة الرحيل في الغد ، ولا بد لنا قبل الرحيل من الاجتماع بدهقاننا لنوصيه بالاتصال بأصدقائه من دهاقين مرو ليمدوننا بالمال او بالرجال ، والله الموفق» .

فوافق خالد على هذا الرأي وخرج .

تركنا جلنار بعد خروج ريحانة من عندها مضطربة البال وقد قضت ليلتها لم تنم ، وكلما تصورت الضحاك مع ابي مسلم يقدم اليه الهدية خفق قلبها ، فأصبحت متوعكة ، وظلت في فراشها متضاربة الافكار ، تخاف ان يبكر ابوها اليها ويكلمها في شأن ابن الكرماني ، وهي تريد معرفة ما يكنه قلب ابي مسلم اولا .

وقضت في هذه الحال ساعات ، ثم اذا بريحانة تدخل عليها ، فلما رأتها جلنار اعتدلت في الفراش وتفرست فيها عساها ان تستطلع ما يبدو في وجهها من الانباء ، فلما رأتها تبتسم انشرح صدرها وسألتها عما فعلته ، فأجابت : «قد ارسلنا الهدية وهي جميلة و ..»

قالت : «هل عاد الضحاك ؟»

قالت : «لم يعد •• فهل آتيك بالطعام ؟»

قالت : «لا أشعر بحاجة اليه ، دعينا من الاكل وأخبريني عمـــــا تتوقعينه من امرنا» •

قالت : «خيرا ان شاء الله ولكن ••» • وسكتت •

فبهتت جلنار ، وقالت : «ولكن ماذا ؟»

قالت : «جئتك بأمر من ابيك» •

فصعد الدم الى وجهها واشتد خفقان قلبها ، وقالت : «ماذا يريد ؟»

قالت : «لا تخافي يا سيدتي لقد استدعاني مولاي الدهقان في هذا الصباح وأسر الي امرا أوصاني بألا أبوح به اليك ، ولكنني سأخالفه وأقص عليك الخبر ، وهو اني لما مثلت امامه اعطاني خاتما كان معه وهو هذا (وأرتها خاتما من الذهب فيه حجر جميل من الفيروز) وقال : (هذا هدية لك) فأخذته وقبلت يده ، ثم حدثني عن حبه لك ورغبته في راحتك وسعيه في سعادتك وانه يعجب لترددك في امر ابن الكرماني ، ثم ذكر ما يعلمه من دلتي عليك وعهد لي في ان اقنعك بقبول ابن الكرماني لانه امير ابن امير وهو صاحب الامر والنهي و ••»

فقطعت جلنار كلامها قائلة : «وماذا قلت له ؟»

قالت : «تظاهرت باستحسان رأيه ، فما كنت استطيع غير ذلك ، حتى اذا آنس مني الموافقة ذكرت له اني لا ارى ان يعجل بالامر ، فما لا يقضي اليوم الا بالعنف والضغط قد يقضي غدا بالرضى والاقتناع ، وتعهدت له باقناعك ، وغرضي ان يمهلنا حتى نرى ما يبدو من ضيفنا ، وقد جاريته في قوله حتى املك منه سببا يهيىء لي عونك ، والا فانه لو قال لك اذهبي الان الى الكرماني لما استطعت الامتناع» •

فقالت جلنار : «اذهب ، ولكن مكرهة» •

ثم صمتت وظلت مطرقة ، وأرادت بعدئذ ان تعود الى السؤال عن

الضحاك . ولكن منعها الحياء من تكرار السؤال ، ولم يفت ذلك ريحانة، فوقفت ، تقول : «هلم بنا الى المائدة ، ومتى تناولت الطعام ننظر مـا يكـون» .

فنهضت وأخذت ريحانة في الباسها ثيابها وتطييبها وضفر شعرها ، وجلنار ساهية ، حتى اتتها بالمرآة وقالت : «انظري الى هذا المحيا ، وقولي سبحان الخلاق» .

فحولت جلنار وجهها عن المرآة كأنها لا تريد ان تـرى صورتها ، وقالت : «لا تخدعيني بهذا الاطراء يا ريحانة ، لو كان في وجهي جمال لما كنت في هذا الشقاء» .

فابتدرتها ريحانة قائلة : «لا تيأسي يا مولاتي ، وهلم بنا الى الطعام» . قالت ذلك وخرجتا معا ، وجلنار تنظر الى الرواق المؤدي الى الحديقة لعلها تجد الضحاك عائدا فسمعت ريحانة تقول لها : «اذا اشار مـولاي الدهقان الى الكرماني او ابنه فلا تبدي تمنعا» .

فأشارت جلنار برأسها بالقبول ، وهي لا تزال تنظر نحو الرواق لا تحول وجهها وفكرها عنه . وجلست الى المائدة وعليها الوان الاطعمـة الباردة والحارة والفاكهة ، فتناولت شيئا يسيرا منها وهي لا تتكلم، وكلما سمعت صوتا يشبه وقع أقدام الضحاك التفتت نحو الباب وريحانة تلاحظ حركاتها وتتألم لقلقها وتحاول الهاءها بالحديث ، ثم تناولت تفاحـة وقدمتها اليها وهي تقول : «م أشبه لون هذه التفاحة بلون خديك» .
وقدمتها اليها وهي تقول : «ما اشبه لون هذه التفاحة بلون خديك» .
ودفعتها اليها فأخذت جلنار التفاحة وقضمت قطعة منها ، فسمعت نقرا على الباب فأصاخت بسمعها واللقمة في فمها وقد امسكت عن المضغ ووقفت لتفتح الباب .. فسبقتها ريحانة اليه وفتحته ، فسمعت جلنار ضحـك الضحاك ولم تر وجهه فاصطبغ وجهها بالاحمرار وكادت تشرق بريقها ، ولكنها تجلدت وأخذت في مضغ التفاحة تتشاغل بذلك عما كاد يغلب

عليها من القلق ، ودخل الضحاك يتأدب في مشيته ، فابتدرته ريحانة قائلة : «ما وراءك ؟»

فضحك وتباله ووقف ، فانتهرته ريحانة قائلة : «لا تتباله ، هيا اخبرنا بما فعلته» •

قال : «دعيني اضحك ، فاني مسرور» •

فأشرق وجه جلنار واستبشرت ونظرت اليه وهي تبتسم ولسان حالها يقول : «اخبرنا بما سرك» •

فالتفت الى جلنار وقال : «أبشرك يا مولاتي بأن عند صاحبنا الخراساني أضعاف ما عندك من ••» • وسكت •

فلم تتمالك جلنار من الضحك ، ثم انتبهت الى ما في ذلك من التسرع فأمسكت وقالت : «بارك الله فيك ، لقد أتعبناك ونرجو ان نكافئك •• قص علينا خبرك » •

قال وهو يلتفت يمينا وشمالا كأنه يحاذر ان يسمعه احد : «ذهبت الى ابي مسلم بالهدية فقبلها ، ولم يشأ ان يكلمني في حضرة رفيقه ابن برمك فأشار اليه فخرج • فلما خلوت به سألني عنك وتلطف في الاستفهام عن حالك ، فكدت اطير من الفرح» •

فلما سمعت جلنار قوله اشتد خفقان قلبها وكاد السرور يخرج بها عن حدود الحشمة لو لم تتذكر انها امام خادم ، فتجلدت ونظرت الى ريحانة كأنها تقول لها استزيديه بيانا ، فقالت له ريحانة : «ماذا قال لك ؟ هل رأيت منه ميلا الى مولاتنا ؟»

قال : «رأيت عنده أضعاف ما عندها ، وقد شهدت له بسلامة الذوق لانه قدر هذا الجمال حق قدره» • قال ذلك وهو ينظر الى الارض مطرقا من الحياء ، فخجلت جلنار وغفرت له جرأته في سبيل ما جاءها به من البشرى ، وظلت ساكتة فقالت ريحانة : «دعنا من التلميح وقل بصراحة ما

قاله لك ؟ »

قال : «لا أذكر كلامه بالحرف ، ولكني فهمت منه انـه عالق القلب بمولاتي وكان يخشى ألا يكون عندها مثل ما عنده ، فكان يظهـــــر الاعراض في اثناء جلسة الامس . لكنه أوصاني وبالغ في التحذير من اظهار الامر لمولاي الدهقان ، وذلك لغرض في نفسه ، هو سر عميق أزهق روحي قبل اطلاعي عليه» .

فقالت ريحانة : «وما هو ذلك السر ؟»

فوجم الضحاك وقطب وجهه كأنه ندم على ما فرط منه وتراجع نحو الباب ، فابتدرته ريحانة قائلة : «ما بالك تتراجع ، هل ندمت على صدق خدمتك ؟ »

فوقف وتشاغل باصلاح عمامته ، وقد حول وجهه الى جلنار وجعل ذراعه بين عينيه ووجه ريحانة وأشار الى جلنار بجفنيه وعض على شفته السفلى ، ففهمت جلنار انه لا يريد ان يتكلم امام ريحانة فابتدرتها قائلة: «دعيه .. سأسأله فيما بعد» .

فرجعت ريحانة الى مقعدها وسكتت ، وظل الجميع سكوتا لحظة ، ثم ادركت ريحانة ان الحالة تدعو الى خروجها فخرجت . فلما خلت جلنار بالضحاك نظرت الى وجهه مستفهمة ، فدنا منها ثم التفت الى الباب الذي خرجت منه ريحانة وقال : «سأبوح لك بسر عاهدني ابو مسلم ان ألقيه اليك على ان تعاهديني على كتمانه عن كل انسان ، فهل تعدينني بذلك ؟»

فقالت : «نعم أعدك ، فقل» .

قال : «هو يحبك يا سيدتي كثيرا ، ولكنه عاهد نفسه على ألا يقرب النساء ولا يعقد عقدا حتى يفرغ من مهمته ويخرج من حربه فائزا بعد ان يهلك اعداءه .. فهمت ؟»

فأطرقت وهي تفكر فيما ينطوي عليه هذا القول من المعاني ، فلـم

تفهم مراده تماما فقالت : «افصح يا رجل •• قل كلمة اخرى» •

قال : «انت تعلمين ان ابا مسلم قائم بهذه الدعوة ، وأعداؤه كثيرون، وأكبرهم الكرماني ونصر بن سيار ، وهو لا يضمن الفوز الا بقتلهما • وقد اخبرته ان الكرماني خطبك لابنه فسر وابتهج» • قال ذلك وحك ذقنه وضحك •

فأطرقت مفكرة في هذا التناقض ، ثم رفعت بصرها الى الضحاك وفي عينيها دلائل الاستفهام والاضطراب ، فقال : «لم يسره ان تكوني لابن الكرماني ، بل سره انك ذاهبة اليه وأنت تريدين ابا مسلم وتحبين نصرته على اعدائه» •

فأدركت جلنار ان أبا مسلم يرجو منها ان تعاونه على قتل الكرماني وهي عنده ، وقتل ابن سيار ، فأكبرت الطلب فوجمت ولبثت صامتة وقد حارت في امرها وأعظمت ان تصرح للضحاك بما ادركته من خلال كلامه، وأصبحت بين عاملين قويين احدهما يدفعها الى ارضاء حبيبها والبذل في سبيله ، والاخر يمسكها عن الاشتراك في قتل رجل لا ذنب له • وقضت مدة وهي مترددة فأتعبها التردد وأحست بصداع شديد وضاق صدرها فوقفت والضحاك يراعي حركاتها ويتوقع ان يسمع منها جوابا • فلما رآها وقفت ، علم انها في حيرة شديدة فقال لها : «لا تتعجلي في الحكم يا سيدتي ؛ بل اعملي الفكرة اولا ، ولكن لا تنسي ان أبا مسلم يحبك ؛ وانه عاهد نفسه ألا يتزوج الا بعد الانتهاء من حربه ، وهو لا يرجو الفوز الا بالتغلب على هذين الرجلين • وقد يمكن التغلب عليهما بغير قتلهما : وقد لا يكون الا بقتلهما ، فاذا كنت انت عونا له على بلوغ غرضه فانه يزداد تعلقا بك» •

فأحست جلنار بعجزها عن الحكم فورا ، ورأت تأجيله ريثما ترى ريحانة •• رغم ما وعدت به من كتمانه عنها ـ والانسان اذا أعجزه

الحكم في مسألة أحس بميل شديد الى مكاشفة بعض أخصائه بها ، ولا عبرة بتعهده بأن يكتمها ،بل قد يكون الالحاح عليه في كتمان السر من بواعث ترغيبه في افشائه ـ والنساء أقل صبرا على حفظ الاسرار من الرجال خصوصا ما كان يتصل بالحب ومشاكله .

***

ضاقت جلنار ذرعا بالامر ، فأشارت الى الضحاك فانصرف ، ومضت الى غرفتها وخلت الى نفسها لعلها تتوصل الى حل لهذا الاشكال ، فأغلقت بابها واتكأت على الفراش وغرقت في هواجسها حتى ضاق صدرهـــا وأحست بشوق الى ريحانة ، ثم غلب عليهـــا التعب فأحست بالنعاس وشعرت بالبرد ، فالتفت باللحاف ونامت واستغرقت في النوم . وتركت الباب دون ان توصده ، فجاءت ريحانة فرأتها نائمة فتركتها ومضت ، وهي اكثر منها قلقا وشوقا لمعرفة ما أسره اليها الضحاك .

وظلت جلنار نائمة حتى الغروب فأفاقت على ضوضاء الخدم ، ففتحت عينيها وهي تحسب انها في الصباح فرأت ريحانة جالسة بقربها فمسحت عينيها وقالت : «لقد ابطأت وغلب النعاس علي» .

قالت : «تخلفت عنك لتستوعبي سرك ثم جئت فرأيتك نائمة» .

قالت : «ما هذه الضوضاء التي أسمعها ؟»

قالت : «ان الاضياف في القاعة مع مولاي الدهقان» . فلما سمعت ذلك اجفلت وأحست بميل شديد الى مشاهدة ابي مسلم ، وأدركت ريحانة غرضها فقالت : «سألني مولاي الدهقان عنك ، فأجبته بأنك نائمة .. فهل تريدين الذهاب الى القاعة ؟»

قالت : «وماذا يفعلون هناك ؟»

قالت : «انهم جاءوا للوداع، فانهم على أهبة السفر في صباح الغد» .

فوقفت ودنت من المرآة لتصلح من شأنها ، فسارعت ريحانة الى المشط فسرحت لها شعرها وضفرته ، وأتتها بقارورة الطيب فتطيبت ، ولبست ثوبا سماوي اللون ، والتفت بشال موشى بالحرير ، وهي تضطرب من التأثر وترتعد رعدة الحب ، وتتظاهر بأنها انما ترتعد من البرد ، فجاءتها ريحانة بمطرف من الخز التفت به فغطى معظم أثوابها ، ومشت ريحانة بين يديها حتى دخلت القاعة من بابها السري ، ثم تنحت ريحانة وأشرفت جلنار على المجتمعين بحيث تراهم ولا يرونها ، فرأت أباها جالسا على وسادة في صدر القاعة وبين يديه محجن فيه مسك ، وهو يتشاغل بتفتيت المسك بين انامله وقد فاحت رائحته حتى تضوع المكان بها ، ورأت ابا مسم جالسا وقد بدل ثياب السفر التي رأته فيها بالامس. فجعل على رأسه قلنسوة من خز اسود وفوق أثوابه قباء اسود ، فتذكرت ما سمعته عن الشعار الاسود الخاص بأصحاب هذه الدعوة . ورأت خالدا بجانب ابي مسلم بمثل لباسه وقد جلسا على وسادتين مثنيتين ، دلالة على علو منزلتهما عند ابيها . فوقفت هنيهة وهي ترتجف ، فانتبه لها ابوها فناداها وأشار اليها ان تجلس عند بعض الاساطين فجلست لا تتكلم ، وتوجهت بكل جوارحها الى ابي مسلم لترى ما يبدو منه بعد ما سمعته عنه . فلحظت منه التفاتا لم تعهده من قبل ، فانشرح صدرها ، وكانوا قد اخذوا بأطراف الحديث قبل وصولها فخاطبهم ابوها بالفارسية قائلا : «اراكم مسرعين في الرحيل عنا ، لعلكم لم ترتاحوا الى ضيافتنا ؟»

فقال ابو مسلم : «كلا يا حضرة الدهقان ، بل نحن لا ننسى حسن ضيافتكم ونتمنى ان يكون كل الدهاقين مثلكم» .

قال : «لا ريب عندي انكم ستلاقون من اخواننا الدهاقين كل رعاية ، وسيكونون عونا لكم في هذه الدعوة لانكم انما تدعون الى نصرتهم ، بل انتم تسعون في انشاء دولة سيكون لآل خراسان نفوذ

عظيم فيها • فننسى تحكم العرب في شؤوننا واستئثارهم بالاموال دوننا• فقد كنا من قبلهم وفي اوائل دولتهم اهل السطوة وأصحاب الحكومة ، فما زالوا ينازعوننا عليها ويتحكمون فينا ولا يمر يوم لا يأتوننا فيـــه بضريبة » •

فقال ابو مسلم : «وأظن ان هذا هو السبب في بقاء معظم الدهاقين على الزرادشتية او المجوسية» •

قال الدهقان : «نعم هذا هو السبب وأنا أعرف جماعة من هؤلاء ، لولا ظلم هذه الدولة واستبدادها لاعتنقوا الاسلام ، على ان بعضهم هم بالاسلام ثم عدل عنه ، ولا ريب عندي انهم اذا آنسوا من حكامهم رفقا فلن يتخلف احد منهم عن الاسلام ، وانا اضمن ذلك» •

قال خالد : «يكفينا من الدهقان ان يبعث بعض أتباعه الى اصدقائه من الدهاقين لكي يحسنوا الظن بدعوتنا» •

وكان ابو مسلم في اثناء الكلام ينظر الى جلنار من طرف خفي ، وهي تسارقه النظر وقد كاد قلبها يطير سرورا لما رأته يبتسم لها • وأصبحت لا تبالي بما قد يحول بينها وبينه من المشاق ، بل استغربت ترددها فـــي امره من قبل • ولا غرابة في ذلك لان الانسان اذا هاجت عواطفه ، اصابه ضرب من الجنون فلا يقدر للأمور عواقبها ولا أخطارها • والحب سلطان مستبد اذا لم يعترضه العقل جر صاحبه الى اكبر الكبائر • فكم من عاقل غفل عن حكم عقله في ساعة تغلبت فيها عواطفه ، فارتكب امرا جر عليه الخراب او العار أبد الدهر ، وقد كان في غنى عن ذلك لو انه تحكم في عواطفه ساعة او بعض الساعة • ولو أعملت الفكرة في اكثر الجرائم التي يرتكبها البشر ويشقون بسببها لرأيتها انها حدثت في مثل تلك الغفلة • فلا غرو اذا هان على جلنار ركوب ذلك المركب الخشن ارضاء لحبيبها ، ولم يعوزها للتفاني في ذلك الا ابتسامة خرقت أحشاءهـــــا وأضاءت

رشدها • على انها ظلت تتجلد وتتظاهر بخلو الذهن مخافة ان يبدو امرها لاحد من الحاضرين •

اما ابو مسلم فلما سمع كلام خالد قال : «نعم يكفينا ان يحسن الدهاقين ظنهم بدعوتنا ، فاذا رضي هؤلاء هان كل عسير ولم يعد يهمنا جند العرب ولاسيما ان دولتهم آخذة في الزوال» •

فتذكر الدهقان ان هذا التعميم يشمل جند الكرماني لانهم عرب ايضا • فقال : «أظنك تعني عرب مصر لان عرب اليمن اعداء لبني أمية ؟»

فأدرك ابو مسلم انه يعرض بالكرماني ، وتذكر ما سمعه من الضحاك عن خطبة ابن الكرماني لجلنار فقال : «ان اليمنية ينصروننا ويدعون لابراهيم الامام ، فهم أعواننا ونحن أعوانهم • اما اذا وقفوا في سبيلنا ودعوا لانفسهم او لرجل اخر فهم اعداؤنا والسيف بيننا وبينهم» •

فاختلج قلب جلنار لهذا التصريح وتذكرت شأنها فيه ، فامتقع لونها وبالغت في الالتفاف بالشال وتنحنحت كأن سعالا داهمها ، فأدرك ابو مسلم انها تخاطبه فتبسم ووجه خطابه الى الدهقان وقال : «اذا اصبحت مرو هدفا للنزاع بيننا وبين الكرماني ، او بيننا وبين شيبان ، فهي للفائز منا» •

وكان الدهقان يفكر في مصير ابنته اذا تزوجها ابن الكرماني ، فرأى ان الكرماني اقوى وأمنع من ابي مسلم لكثرة جنده واستعداده ؛ فاعتزم ان يمسك الحبل من الطرفين ، فاذا غلب الكرماني كانت ابنته عنده ونال بالمصاهرة غرضه ، واذا غلب ابو مسلم أمن على حياته وأمواله بما ابداه من الملاينة • ولم يكن عازما على نصرته حقيقة وانما وعده بالمساعدة خداعا فقال : «نعم ان الكرماني مثلنا قام على بني أمية ، ورجاله من القبائل اليمنية ، وهم اعداء عرب مصر انصار بني أمية • ولكن الكرماني عربي الاصل وان كان اسمه يوهم غير ذلك ، فنخاف اذا فاز ألا يكون لنا في

دولته مقام . وأما انتم فانكم منا ونحن منكم ودولتكم دولتنا .. نعم ان الدعوة باسم خليفة عربي ، ولكنه سيكون نصيرنا لاننا نصرناه في دعوته . وزد على ذلك انه اوصى بابادة العرب من خراسان على ما سمعناه من وصيته التي بعث بها اليك» .

فلما سمعت جلنار كلام ابيها ، استبشرت وخيل اليها انه غيّر رأيه في الكرماني ، واختلج قلبها فرحا وظهر ذلك على وجهها . ولو شاركتكم في الحديث لما خفي حالها على بي مسلم ، ولكنها كانت صامتة منزوية لا تجسر على الكلام لئلا يبدو شيء من عواطفها فيفتضح امرها .

وأما ابو مسلم فلم ينخدع بأقوال الدهقان كل الانخداع ، لانه كان اكثر دهاء منه ، وهو يسيء الظن بأقرب الناس اليه ولا يأمن احدا على امره ولا يعطي سره احدا ، بل كان يضمر السوء لكل انسان اذا لم ينفعه او ينصره ، ويقيس الناس على ما يعلمه في نفسه ــ والناس مفطورون على حب الذات ، وقلما يعملون عملا لا ينظرون فيه الى فائدتهم وان تظاهروا بغير ذلك . والناس فئتان فئة قائدة ، وفئة مقودة ، والفئة الاولى هم خيرة الآنام وأهل العقول الكبيرة وأصحاب المطامع . فهؤلاء لا يقدمون على عمل الا وهم يرجون منه النفع لانفسهم ، ولكنهم يختلفون في مطامعهم ففيهم من يريد النفع لنفسه ويأبى الضرر لسواه وهم اهل الخير . وفيهم من لا يهمهم الا الوصول الى اغراضهم ولو خطوا اليها على جثث اقرب الناس اليهم . وأمثال هؤلاء كثيرون في تلك العصور ، وأكثرهم يعدون من عظماء الرجال ، ومنهم ابو مسلم ، فقد كان واسع المطامع كبير النفس صلب القلب لا يهمه الا الفوز في دعوته . وكان لا يحسن الظن بأحد ، فلما سمع مواعيد الدهقان اظهر تصديقه اياها تشجيعا له على الثبات في قوله ، وهو في الواقع لا يطمئن اليه ولاسيما بعد ان علم بخطبة ابن الكرماني لجلنار . ولم يكن ابو مسلم يجهل ان

ليس عنده من الرجال الا القليل ، فلما تصور ذلك هب من مقعده كأنه تذكر شيئا نسيه • ووقف فوقف الجميع ، فقال للدهقان : «أستودعك الله فاننا نبيت الليلة ، على ان نرحل في فجر الغد وأنتم نيام ، فلا تنس وعودك فاننا نحارب في سبيل اخواننا الخراسانيين وجميع رجال فارس » •

فقال : «اطمئن •• سأبذل اقصى الجهد في جمع كلمة الدهاقين على نصرتكم » •

فقال خالد : «اذا فعلت ذلك فانك تفعله لخيرك وخير اهلك» • وقبل ان يخرج ابو مسلم من القاعة التفت الى جلنار وكانت تراعي كل حركة من حركاته ، فلما وقع نظرها على نظره توهمت انه ابتسم لها وانه وعدها باللقاء القريب ، اعتمادا على رسالته اليها على لسان الضحاك ، فزاد هيامها به وأحست عند ذهابه كأنه انخلع من قلبها ، ولكنها عللت نفسها بما سمعته من ابيها من تحقير الكرماني واعظام امر ابي مسلم ، وحدثتها نفسها بأن اباها قد غيَّر رأيه في خطيبها •

***

خرج ابو مسلم وخالد ، والغلمان بالشموع بين أيديهما ، حتى بلغا مبيتهما ، وظلت جلنار في مكانها تنتظر الخلوة بأبيها لعله يبدي ما يطمئنها • فلما عاد من توديع الرجلين، ابتسم لها ودنا منها وجعل يمناه على كتفها وهو يتبع ابا مسلم بنظره ويقول : «طالما قلتم ولم تفعلوا» •

فلم يعجبها قوله لانه دل على انكاره امر ابي مسلم ، فتجاهلت وقالت: «ومن هؤلاء يا أبتي ؟»

قال : «هؤلاء اهل بيت النبي ، فانهم ما زالوا منذ اخذ بنو أمية الملك يبثون الدعاة ــ من أمثال ابي مسلم هذا ــ فنحسن وفادتهم ونمدهم

بالمال وننصرهم جهدنا ، ثم لا نلبث ان نسمع بذهاب دعوتهـــــم وان الامويين قتلوا صاحب الدعوة او صلبوه ، فيقوم سواه وهكذا • وكانت الدعوة قبلا لابناء بنت النبي ، وأما اليوم فانهم يدعون لابناء عمه • ولا ريب عندي في فشل هذه الدعوة لان نقل الدعوة من آل ابي طالب الى آل العباس يهيج غضب الطالبيين كافة ، وهم اصحاب الدعوة ، وأهـــل خراسان لا يعرفونها كسواهم • ثم ان هذا الغلام مغرور يريد ان يحارب هذه الدولة بسبعين رجلا او مائة رجل !»

وكانت جلنار تصغي الى كلام ابيها باستغراب ، ولو انتبه وهو واضع يده على كتفها لشعر بقشعريرة اعترتها عند سماع قوله • وخافت هـــي ظهور ذلك منها فتظاهرت باصلاح شعرها وتخلصت من يـــده وقالت : «سمعتك تطريه وتعده بالمساعدة وتؤمله بالنصر» •

قال ضاحكا : «وماذا خسرت ؟ أليس ذلك افضل من ان أعاديه او أعترض رأيه وهو شديد الوطأة لا يبالي العواقب ، واذا عادانا لا نكون في مأمن من اذاه • هذا الى اني لا أقطع بفشل هذه الدعوة ، اذ لا آمن ان ينقلب الامر الى عكس ما اراه ، فيكون لنا عند ابي مسلم شفاعـــة لاعتقاده اننا على دعوته ، اما اذا كانت الغلبة للكرماني وأنت عنده فلن يصيبنا الا كل خير • اما نصر بن سيار فانه مغلوب على امره في الحالين لان سلطان بني أمية ذاهب لا محالة ، وستنقسم مملكتهم الواسعة الى دول صغيرة يملكها امراء مستقلون كما حدث لمملكة الفرس بعد الاسكندر اذ حكمها ملوك الطوائف • وفي اعتقادي ان خراسان ستكون احدى تلك الممالك وسيملكها الكرماني كما قلت لك غير مرة ، والعاقل من اغتنم الفرص عند سنوحها» • وكأنه تذكر وصية ريحانة بألا يلح على ابنته في شأن ابن الكرماني وان يترك امره اليها ، فقال : «هلم بنا تتناول العشاء فقد حان وقته» • قال ذلك ومشى يجر مطرفه ويخطر في مشيته والخدم

يقفون له وجلنار تسير في اثره حتى وصلا الى غرفة المائدة ، وقد أعدت فيها المآكل على خوان فوق البساط عليه الكثير من الوان الاطعمة والاشربة والفاكهة . وكانت جلنار اثناء الطعام لا تتكلم وانما كانت تتشاغل بالاكل وأفكارها تائهة في ابي مسلم ، وهي تتصوره خارجا من القاعة وعليه تلك الحلة السوداء بعد ان نظر اليها النظرة الاخيرة . فلما تذكرت انه ذاهب في الفجر ولن تراه الا اذا قدر لها لقاؤه وهي تحسب ذلك بعيدا صعبا ، وقفت اللقمة في زورها ودمعت عيناها رغم ارادتها . فأشارت الى احد الغلمان الواقفين للخدمة فجاءها بكأس من الفضة فيه ماء فشربت وهي تتظاهر بأن عينيها دمعتا من الغصة وانها تألمت منها ، ثم التمست الاذن في الانصراف قبل الفراغ من الطعام وذهبت الى غرفتها فوجدت ريحانة في انتظارها .

- ٦ -

اظهار الدعوة

ما كاد ابو مسلم يخرج من عند الدهقان حتى استقدم كبار النقباء اليه ، وهم اثنا عشر اختارهم محمد بن علي والد ابراهيم الامام في اول الدعوة سنة ١٠٠ هـ وأكثرهم من عرب اليمانية وكلهم من نخبة القواد، وفيهم سليمان بن كثير . وكان يومئذ في (سفيذنج) ، وأبو الحكم عيسى ابن أعين وكان في (فنين) التي هم سائرون اليها ، وقحطبة بن شبيب الطائي ، ولاهز بن قريظ التميمي ، وأبو داود الذي تقدم ذكره ، ونصر

ابن صبيح التميمي ، وشريك بن غضبـــى التميمي ، وعبد الرحمن بن سليم • وكان فيهم من الفرس : خالد بن برمك ، وأبو عون الخراساني، فتناولوا جميعا العشاء مما أعده خدم الدهقان كالعادة • فلما فرغوا من الطعام ، قال لهم ابو مسلم : «اننا ناهضون في صباح الغد الى (فنين) ننزل فيها على اخينا ابي الحكم عيسى بن أعين ، وهناك نفكر في توجيه القواد الى الشيعة في الاطراف ، فتأهبوا للنهوض مبكرين ، ومـــروا رجالكم باعداد الاحمال اللازمة حتى نقوم من هنا في الفجر ونصل الى (فنين) في الضحى» •

فتحادثوا في ذلك مليا ثم نهضوا الى خيامهم ، وأصبحوا في الفجر وقد تأهبوا للرحيل • وكانت مياه المطر قد جفت واعتدل الطقس، فوصلوا الى فنين في الضحى ، ونزلوا هناك على عيسى بن أعين فنصبوا الخيام للرجال ، ونزل ابو مسلم وخاصة الذين ذكرناهم في بيت عيسى ، وكان ذلك في شعبان سنة ١٢٩ هـ • وعند وصولهم عقدوا جلسة أقروا فيهـا انفاذ النقباء الى الاطراف لاظهار الدعوة وجمع الرجال للقتال • وكانت الجلسة في قاعة غصت بأصحاب اللحى من المشايخ ، وكلهم ينقادون لرأي ابي مسلم وهو شاب كأنه احد ابنائهم ، ولم يروا غضاضة في ذلك نزولا على امر الامام ، لانهم انما قاموا يدعون له ويعتقدون صدقـه ويعملون برأيه • فلما اجتمعوا وتشاوروا اخذ ابو مسلم في توجيههم ، فوجه أبا داود النقيب ومعه عمر بن أعين ــ اخو عيسى ــ الى (طخارستان) فما دون (بلخ) • ووجه نصرا بن صبيح وشريكا بن غضبـــى الى (مـــرو الروذ) ــ وهي غير مرو المحاصرة ــ ووجه عبد الرحمن بن سليم الـــى (الطالقان) • ووجه الجهم بن عطية الى (خوارزم) • وأرسل غيرهم ايضا، وأوصاهم جميعا بأن يظهروا الدعوة في رمضان لخمس بقين منه الا اذا اعجلهم عدوهم دون الوقت بالاذى والمكروه ، فيحل لهم ان يدفعوا عن

انفسهم ويجردوا السيوف ويجاهدوا اعداء الله ، ومن شغله منهم عدوهم عن الوقت فلا حرج عليهم ان يظهروا بعد الوقت • وأوصاهم بالصبر والثبات •

وظل ابو مسلم في (فنين) الى اول رمضان ، ثم نهض بمن بقي من رجاله حتى نزل (سفيذنج) في اليوم الثاني من رمضان وفيها سليمان بن كثير الخزاعي ، فأشرفوا على مرو عن بعد لانها في سهل واسع غير محاط بالجبال حتى لا يرى المقيم بها جبلا وليس في شيء من حدودها جبل وأرضها سبخة كثيرة الرمال • فرحب سليمان بن كثير بأبي مسلم ورفاقه، وأنزله وخالدا عنده ونزل الباقون في الخيام ، ولبثوا ينتظرون يوم ٢٦ رمضان المحدد لاظهار الدعوة •

وفي اليوم الثاني من وصوله الى هناك ، وقف هو وسليمان وخالد في مكان يشرفون منه على مرو وما حولها • فرأوها محاطة بسور من طين وفي وسطها بناء هائل هو قلعتها التي تبدو كمدينة مرتفعة يراها القادم من بعيد • فقال ابو مسلم : «ما اضخم هذه القلعة وأعلى بناءها» •

فقال سليمان : «الطريف فيها انهم جاءوها بالماء من النهر بقناة على قناطر ، وقد دخلتها مرة فرأيتهم غرسوا على سطحها مباطخ ومناقل وما الى ذلك ، فاذا مشيت فيها تخيلت انك في بستان على قمة جبل» •

ورأى ابو مسلم خياما خارج السور وعليها رايات مختلفة الالوان والاشكال ، فتذكر ما سمعه من جاسوسه عن الكرماني وشيبان ، فقال لسليمان : «هذان المعسكران للكرماني وشيبان ؟»

قال : «نعم ، وهما يحاربان نصرا بن سيار ، ورجالهما كثيرون في المعسكرين » •

فقال ابو مسلم : «كأنك تخاف قلة عددنا ، سترى اننا كثيرون باذن الله • ألا ترى ان نبث دعاتنا في هذه القرى حول مرو ؟»

قال : «حسنا تفعل ايها الامير ، فان اهل هذه القرى ملوا تعـــدي العرب على أغراسهم ، وهم لا يفرقون بين اليمنية والمضرية وانما يرون ان العرب يظلمونهم وان الفرس خير منهم ، فاذا بثثنا دعاتنا بينهم على هذا الاسلوب استجابوا لهم» •

فجمع ابو مسلم الدعاة وبث جماعة منهم في القرى المجاورة يدعون لابراهيم الامام بقيادة ابي مسلم الخراساني ، فجاءهم في ليلة واحـدة اهل ستين قرية • وكان ابو مسلم يجتمع بهم سرا ثم يردهم الى قراهم على ان ينتظروا ساعة اظهار الدعوة ، فيدعوهم اليه بنيران يوقدها •

وفي ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان من سنة ١٢٩ هـ• احتفل ابو مسلم بذلك احتفالا كبيرا ، فجمع كبار الدعاة في ساحة (سفيذنج)• وعقد اللواء الذي بعث به الامام وسماه (الظل) على رمح طوله اربع عشرة ذراعا وغرسه امام المنزل الذي يقيم به ، وجاء برمح اخر طوله ١٣ ذراعا عقد عليه الراية لتي سماها (السحاب) • فعل ذلك في مشهد موقر حضره النقباء وهو يتلو «اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله علـــى نصرهم لقدير» •

وبعد ان تلا الآية ، التفت الى النقباء وقال : «أتعلمون لماذا سمـي مولانا الامام هذه الراية السحاب ؟» • فقالوا : «لا» •

قال : «لقد سماها بذلك اشارة الى ان السحاب يطبق الارض •.وهل تعلمون لماذا سمي هذا اللواء بالظل ؟»

قالوا : «لا» • فقال : «لان الارض لا تخلو من الظل ، وكذلـــك الارض لا تخلو من خليفة عباسي ابد الدهر» •

ثم جاءوا بالالبسة السوداء ويسمونها «السواد» فلبسوها ، وأولهم فـي ذلك ابو مسلم وسليمان بن كثير وأخوه ومواليه ومـــن اجابوا الدعوة من اهل سفيذنج وكل الدعاة ، ثم اوقدوا النيران طبقا للاتفاق

مع الشيعة الذين بايعوا فجاءوا اليه . وكان (اهل التقادم) اول القادمين وعلى رأسهم ابو الوضاح في تسعمائة راجل وأربعة فرسان ، ومن اهل هرمز جماعة كبيرة كذلك مع ابي القاسم الجوباني في الف وثلاثمائة راجل وستة عشر فارسا ، وفيهم من الدعاة ابو العباس المروروذي ، فجعل اهل التقادم يكبرون من ناحيتهم ، ويجيبهم اهل هرمز بالتكبير ، حتى دخلوا معسكر ابي مسلم حصن سفيذنج وسد دروب المحلة .

***

ولما كان عيد الفطر ، أمر ابو مسلم سليمان بن كثير ان يصلي به وبالشيعة ، ونصب له منبرا بالمعسكر وأمره ان يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا اقامة . وكان بنو أمية يبدأون بالخطبة قبل الصلاة مع الأذان والاقامة ، كما أمره بأن يكبر ست تكبيرات تباعا ثم يقرأ ويركع في السابعة . ويكبر في الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعا ثم يقرأ ويركع في السادسة ، ويفتتح الخطبة بالتكبير ثم يختمها بالقرآن . وكان بنو امية يكبرون في الركعة الاولى اربع تكبيرات، وفي الثانية ثلاث تكبيرات، فلما أتم سليمان الصلاة انصرف ابو مسلم والشيعة الى طعام أعد لهم .

وكانت المائدة التي أعدها سليمان في فسطاط كبير بجانب المعسكر فجلسوا حولها مستبشرين ، وأبو مسلم في صدرها ساكت مفكر كعادته يتناول اللقمة بعد اللقمة على مهل وعيناه تنظران الى ما وراء الباب من السهل الواسع الذي لا يقف البصر في اخره على غير الافق . وحوله النقباء والامراء وكلهم هائبون منظره ، وفيهم من يفكر فيما يهددهم من القتال الشديد المقبل .

فلما طعموا ، كانت الشمس قد مالت عن خط الهاجرة ، نهضوا لشؤونهم وكل في شاغل من أمر نفسه او اهله ، أما ابو مسلم فلم يكن

همه الا تنظيم من اجتمعوا اليه من الناس وهم كثيرون بالقياس الى الفترة التي اجتمعوا فيها ، وقليلون اذا قيسوا برجال نصر في مرو ، ورجال الكرماني وشيبان خارجها . وكان ابو مسلم لا ينفك يخلو بخالد بن برمك فقد كان موضع ثقته ومستودع اسراره ، فلما خرج القوم من فسطاط المائدة انصرف هو وخالد معا الى جانب من المعسكر على مرتفع يشرفان منه على مرو وضواحيها وعلى معسكرهما .

فلما رأى ابو مسلم قلة جنده وكثرة اولئك ، التفت الى خالد وقد ازاح عمامته الى الوراء وابتسم ــ ونادرا ما كان يبتسم ــ فأقبل خالد عليه كأنه يتأهب لتنفيذ امره ، فقال ابو مسلم : «ألا يخيفك قلة جندنا وكثرة جنود عدونا ؟»

فابتسم خالد وقال : «لا يخيفني شيء ما دمت اميرنا وقائدنا ، وقد استبشرت اليوم بكثرة من جاءنا من الشيعة على قصر مدة ظهورها» .

فأجابه ابو مسلم بقوله : «صدقت ، فالغلبة ليست بالكثرة وانما هي بحسن الادارة وضم الصفوف . نعم ان اعداءنا كثيرون ولكنهم احزاب متفرقة قد يفني احدها الاخر قبل خروجنا اليهم ، وربما كان لنا منهم عون عليهم . أليس اهل اليمن مع الكرماني ؟ وأهل مضر مع ابن سيار ؟ والخوارج على الاثنين ؟ . سأريك مصير هؤلاء جميعا .. ثم رفع نظره فرأى سوادا قادما من عرض الافق وغبارا متصاعدا فاستبشر ، وسمع خالدا يقول : «أظن ان جماعة من شيعتنا قادمون لنصرتنا» .

فلم يجبه ابو مسلم وظل يحدق ببصره ، ثم قال : «لا ارى أعلاما سوداء ، لذلك لا أظن ان القادمين شيعة لنا » . ولبثا هنيهة اخرى فانكشف الغبار عن قبة على فيل ابيض كبير ، وحول القبة بضعة فرسان يسير في ركابهم جماعة من العبيد ، ووراء الفيل جمال عليها أحمال الآنية والفراش وغيرها . فاستغربا ذلك وزاد استغرابهما لما رأيا الركب متجها

نحوهما ، فجعلا ينظران اليه لعلهما يتبينان شيئا من أمره فاذا بتلك القبة مصنوعة من الديباج الاحمر وقد تدلت أستارها حتى لا يظهر شيء مما في داخلها ، وحول عنق الفيل وعلى جبهته وفي مقدم صدره عقـــــود وأوسمة مرصعة بحجارة كريمة مختلفة الالوان ، وقد كسي ظهره وجوانبه بالديباج الاصفر الزاهي . ويقود الفيل رجل طويل القامة عليه عبـاءة وعمامة ، ما لبث ابو مسلم ان عرف حين اقترب انه الضحاك ، فتذكـر حكاية جلنار وخطبتها الى ابن الكرماني ومـــا كان من حديثهما عنها ، فأجفل لاول وهلة اذ ظنها مزفوفة اليه هو ، ثم رأى الضحاك يعهد بزمام الفيل الى عبد بجانبه ، ثم يسرع نحوه متأدبا حتى اذا وقف بين يديـــه حياه تحية الامراء وهم بتقبيل يده ، فمنعه ابو مسلم وابتدره قائلا : «ما شأنك ؟» . فضحك الرجل وقال بصوت ضعيف : «لا تجـــزع ليست مزفوفة اليك !» . ثم رفع صوته وقال : «أليس هذا معسكر ابي علـي الكرماني ؟ »

فقال له خالد : «قبحك الله ألا ترى الاعلام السوداء ؟»

فتباله الضحاك ، وقال : «لقد اخطأنا الطريق ، اظن معسكر الكرماني هو ذاك» . وأشار بيده اليه ، ثم اخذ يحك قفاه وظل واقفا مطرقا .

فقال خالد : «ثم ماذا ؟»

وأدرك ابو مسلم انه لم يأت اليه الا لامر ذي شأن ، فمشى وتبعه الضحاك وظل خالد في مكانه ، فلما انفردا قال الضحاك : «ان هـــذه المسكينة مزفوفة الى ابن الكرماني مرغمة ، وقد أوصتني بأن أحتال في الدنو من معسكرك لكي تراك ، لأن قلبها» . وتنحنح ثم قال : «واذا أرسلت نظرك الى القبة رأيتها تنظر اليك من خلال الستور خلسة فانظر» . وضحــك .

فرفع ابو مسلم نظره الى القبة وكانت قد صارت على نحو خمسين

خطوة منه ، فرأى وجها مطلا من خلال الستور اذا شبهناه بالقمر ظلمناه ، لان القمر صحيفة لا ماء فيها ولا حياة ، ولو كان لابي مسلم قلب يهوى ما استخف بعواطف تلك الفتاة المستهامة . ولكنه خلق من عقل ودهاء وطمع وكبرياء وابتعد قلبه عن محبة النساء ، ولم يعرف قلبه من انواع الحب الا حب المعالي ، والانتصار بالرأي والشجاعة .

أما جلنار ، فذات قلب كبير ، لم يخفق بالحب لغير ابي مسلم ، والحب كله رجاء ، وقد زادها الضحاك املا بما نقله اليها من حب ابي مسلم لها، فاستسهلت كل صعب في سبيل مرضاته ، فقبلت امر ابيهـــــا ورضيت بالزفاف الى ابن الكرماني تقربا من معسكر حبيبها وعمـــــلا بارادته . وأوصت الضحاك بأن يحتال في الوقوف هناك ليعلم ابو مسلم انها جاءت الى الكرماني بجسمها ، اما قلبها فمعه هو . فلما رأته ينظر الى قبتهـــا اختلج قلبها في صدرها ، وتوهمت انها رأت ابا مسلم يبتسم لها ويحييها، فدمعت عيناها وأرخت الستر وتحولت الى الداخل وريحانة معها لـــم يخف عليها شيء من امرها .

اما الضحاك فانه حنى رأسه لابي مسلم وقال : «كن على يقين اني سأقوم بما يرضيك» . ثم عاد من حيث اتى وهو يقول بصوت عال : «نحن اذن قد اخطأنا الطريق الى معسكر ابي علي . هلم بنا يا قوم الى تلك الاعلام اليمنية فان الكرماني هناك !»

ولما وصل الى مكان الفيل تناول زمامه وأشار الى احـــد العبيد ، فانطلق مسرعا يعدو نحو معسكر الكرماني ينبئهم بقدوم العروس ، وكان الكرماني قد عقد قران ابنه بجلنار في منزل الدهقان بعد ان أدى اليه المهـر .

اما خالد فانه ترك ابا مسلم مع الضحاك وانصرف الى المعسكر ، فرأى رجلا مسرعا نحوه وهو يقول : «اين الامير ؟» . فقال : «وما الخبر ؟»

فأشار بيده الى مرو ، وقال : «لقد بدأت الحرب بين الكرماني وبين نصر » •

فالتفت خالد الى مرو فرأى الفرسان قد خرجوا من المدينة ومعهم أعلام بني أمية ، وخرج اليهم رجال الكرماني بأعلامهم ، وقد تطايرت النبال واشتد القتال • وكان ابو مسلم قد أقبل نحو خالد ورأى مثل ما رأى ، ففرح وقال : «لقد ازفت ساعة العمل» •

فقال خالد : «هل نستعد للهجوم ايها الامير ؟»

قال : «احذر ان تفعل ، انما شأننا اليوم ان نصبر لنرى عاقبة هذا القتال » •

قال : «ألا نغتنم فرصة اشتغال نصر بالحرب ونهجم على المدينة» •

قال : «اذا هجمنا لا نأمن ان يتحد العدوان علينا ، ولكن نصبر الى الغد» • قال ذلك ومضى الى منزل سليمان بن كثير ، فرأى النقباء قد اجتمعوا هناك وهم يسألون عن ابي مسلم وكلهم يرون رأي خالد في الهجوم • فلما أقبل ابو مسلم عليهم استشاروه ، فأمرهم بالتربص فسكتوا وأطاعوا •

فلما غربت الشمس تراجع الجيشان وأمسكا عن القتال ورجع كل منهما الى مكانه ، والنقباء يرون ان أبا مسلم قد اخطأ لتقاعده عن اغتنام تلك الفرصة وهو لا يقول شيئا • فلما أمسى المساء أمر الرقباء ان يبيتوا على حذر ، ثم خلا الى خالد وسليمان وهم بأن يكاشفهما بما في ضميره ، فسمعوا طارقا يطرق الباب ففتحوا له واذا بفارس دخل ومعه رجل موثق بعمامته والفارس يقول : «قد قبضنا على هذا الرجل في معسكرنا وليس هو منا» • فلما رآه ابو مسلم على نور المصباح عرفه ، فصاح به : «الضحاك ؟» • قال : «نعم يا مولاي» •

فأشار الى الفارس فتركه وانصرف ، ودخل الضحاك فأمر بحل وثاقه

وسأله عن امره فقال : «هل أتكلم ام تأذن لي في خلوة ؟»

فأدرك انه يريد الخلوة ، فأشار الى خالد وسليمان فذهبا الى غرفة اخرى ، وجلس ابو مسلم على وسادة وأمره ان يجلس وقال: «ما وراءك؟»

فجلس الضحاك جاثيا متأدبا وقال : «اسمح لي يا مولاي ان أثني على تريثك الليلة ، وكنت أخشى ان تأمر جندك بالهجوم» .

قال : «ثم ماذا ؟»

قال : «هل تأذن لي في ان أبدي رأيا ؟»

قال : «هل بارك الله فيك ، ما أسرع ما اطلعت على الخفايا» .

قال جادا : «قد رأيت يا مولاي امرا هالني وخفت عاقبته على رجالك ! »

قال : «وما هو ؟»

قال : «وصلنا بالعروس الى فسطاط الكرماني فاذا هو وابنه على زوجها المبارك ، قد ركبا لمحاربة نصر بن سيار صاحب مرو ، فأنزلنا العروس في خبائها بين عبيدها وجواريها ، وخرجت لاستطلاع الاحوال فرأيت جند الكرماني كبيرا ، وكلهم من رجال اليمن الاشداء ، وفيهم العدة والنجدة وربما زادوا على خمسة أضعاف رجالك . ولما خرج رجال نصر لقتاله رأيتهم ايضا كثارا فخفت ان يغرك ذلك فنخرج برجالك للحرب وأنا لا أضمن لك الفوز لعلمي ان الجندين وان تباينت عصبيتهما بين اليمن ومضر ، فانهم جميعا من العرب فاذا رأوا الخراسانيين يحاربونهم اتحدوا عليهم» .

قال : «هذا حق فأكمل» .

قال : «فرأيت ان خير ما تفعله الان ان تمكن البغضاء بين هذين الجيشين » .

فأعجب ابو مسلم بسداد رأيه لانه كان قد عزم عليه ، وقال : «ذلك

هو الرأي الصواب ، وهو الذي عزمت عليه • ولكن كيف السبيل الى القاء الفتنة الليلة حتى تتم لنا الحيلة في الغد» •

قال : «أتستشيرني يا مولاي ؟»

قال : «لا بأس من المشورة فانها آمن عاقبة ، فاذا لم يعجبني رأيك رجعت الى رأيي» •

فأخذ الضحاك يحك جانب رأسه باحدى يديه ويده الاخرى على عمامته يسندها لئلا تقع ، ثم ضحك وقال : «أكرم بك يا ضحاك ، ان الامير يستشيرك !» • ثم وقف وقفة الجد ، وقال : «الرأي يا سيدي ان تكتب كتابا الى شيبان الحروري صاحب الجند الاخر المعسكر وراء الكرماني ، وتقول في سياق الحديث ما معناه : (ان قبائل اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تثقن بهم ولا تركن اليهم ، فاني ارجو ان يمكنك الله منهم ، واذا بقيت لا أدع لاهل اليمن شعرا ولا ظفرا) • او نحو ذلك مما يدل على انك تكره اليمنية ولا ترجو خيرا منهم • وترسل هذا الكتاب مع رسول تأمره ان يجعل طريقه الى معسكر شيبان من جهة معسكر المضرية اصحاب نصر بن سيار ، فيقبضون عليه ويأخذون الكتاب منه ويطلعون عليه فيقوم في نفوسهم انك معهم قلبا وقالبا ، فيميلون معك وتقوي نفوسهم على اليمنية • واكتب كتابا اخر الى شيبان نفسه واطعن على المضريين ، ثم ارسل هذا الكتاب مع رسول يجعل طريقه في معسكر الكرماني وهم يمنيون فيقبضون عليه ويطلعون على الكتاب فيرون انك معهم على المضريين وتقوي نفوسهم بك ، فاذا اشتد القتال في الغد وأردت النزول كان الفريقان معك» • وضحك ضحكة طويلة ، فلم يتمالك ابو مسلم عن مجاراته في الضحك قليلا ، وقد سر بهذا الدهاء وقال : «ان لك لشأنا يا رجل ، وما انت ضحاك كما تتظاهر • اني فاعل لساعتي ما أشرت به» • ثم نهض ليأمر الكاتب بذلك فأمسك

الضحاك بذيله وقال : «وأنا ماذا أعمل ؟»

قال : «تنال عطاء جزيلا جزاء صدق خدمتك» •

قال : «اني لا ألتمس على ما اقوم به أجرا • فاني لم أفعل شيئا أستحق عليه الاجر • ولعلي استطيع ذلك فيما بعد ، وأما الان فأنا ذاهب الى مولاتي الدهقانة وسأبلغها سلامك وثناءك ، ليس لانك تحبها ولكن لان ذلك يسرها وينفس كربها ويعزيها عن رؤية عريسها الاعور !»

قال : «ومن تعني ؟»

قال : «أعني عليا بن الكرماني فانه نصف اعمى • فضلا عن غرابة شكله • وهو مع ذلك زوجها بعقد مكتوب • وسترى كم ينفعنا هذا العقد !» • ثم وقف فقبل يد ابي مسلم ، وخرج مهرولا •

***

عاد خالد وسليمان الى ابي مسلم فأمر بالكاتب فجاءه ، ثم اخبرهما بما عزم عليه وأملى على الكاتب كتابين الى شيبان الخارجي دفعهما الى رسولين بارعين ، وأمر احدهما ان يمر بمعسكر نصر بن سيار والآخر بمعسكر الكرماني ، ومتى قريء الكتابان يرجعان بهما اليه ولا يوصلانهما الى شيبان ، فسار الرسولان وفعلا ما أمرهما به •

فلما اطلع الكرماني على الكتاب وفيه ما فيه من نقمة أبي مسلم على قبائل مضر ، توهم ان ابا مسلم معه على المضرية • ولما اطلع نصر بن سيار على الكتاب الاخر توهم ان ابا مسلم معه على اليمنية ، فقويت نفس كل منهما على قتال صاحبه • وكان ابو مسلم اثناء اقامته هناك قد كتب الى الكور باظهار الامر فسود (ألبس السواد) جماعة كبيرة في (نسارابيورد) و (مرو الروذ) وغيرهما ، وأقبل الانصار اليه تباعا •

وفي صباح الغد عاد الجيشان الى القتال بقلوب قوية وهواهما مع ابي مسلم ، ولكي تتم الحيلة كتب الى كل من نصر بن سيار والكرماني كتابا يقول فيه : «ان الامام ابراهيم صاحب الدعوة ، قد أوصاني بـك وبرجالك خيرا ولست أعدو رأيه» . فازداد الفريقان رغبة فيه ورهبة منه، واشتدت نقمة كل منهما على صاحبه . فلما احتدم القتال ركب ابو مسلم ومن معه من النقباء والاتباع ، وأقبلوا على المتحاربين فلم يتعرض لهم احد بسوء ، فنزل بمن معه بين خندق الكرماني وخندق نصر وهابـه الفريقان ، ورأى بدهائه ان يجريء الكرماني حتى يعرضه للخطر فبعث اليه : «اني معك» . فسر الكرماني واشتد ساعده بانضمام ابي مسلـم اليه . فلما رأى نصر ذلك ادرك حيلة ابي مسلم فبعث الى الكرماني يقول: «ويحك لا تغتر ، فوالله اني لخائف عليك وعلى اصحابك منه ، فادخل مرو نكتب كتابا بيننا بالصلح» . وكان غرض نصر ان يفرق بين الكرماني وأبي مسلم . فسمع الكرماني كلامه ورجع الى صوابه وخاف ان يكون نصر مصيبا ، فدخل فسطاطه وظل أبو مسلم في المعسكر .

ثم خرج الكرماني حتى وقف في الرحبة بين المعسكرين في مائـة فارس وعليه قباء ذو طاق واحد وأرسل الى نصر يقول : «اخرج لنكتب بيننا الكتاب» .

فلما رآه ابو مسلم يقول ذلك خاف حبوط مسعاه . وكان ابو مسلم واقفا على جواده وعليه درع كاملة تغطي جسمه وجانبا من الجواد لا يبالي تساقط النبال عليه . وبينما هو في تلك الحيرة أبصر رجلا ملثمـا طويل القامة يسرع كالجواد الجموح الى معسكر نصر وهو يتقي السهام بكفيه ، فعرف من حركته وقيافته انه الضحاك وما لبث ان رآه قد تغلغل في ذلك المعسكر . ثم رأى كوكبة من الفرسان خرجت من معسكر نصر

وفي مقدمتها فارس يقول بأعلى صوته : «انا الرجل الموتور ، انا ابن الحرث ابن سريج ، جئتك يا كرماني يا ابن الفاعلة . انت قتلت ابي وسأقتلك به» . قال ذلك وانقض انقضاض الصاعقة ، والتقت الكوكبتان واشتبكتا ، واشتد أزر المضرية . ثم رأوا فارسا خرج من مرو يحرض المضرية ويسوق فرسه امامهم وقد جلله الشيب ، ولكن الشيخوخة لم تغير شيئا من نشاطه وحميته . ولما ساق جواده لعبت الريح بلحيته وهي بيضاء عريضة ملء صدره ، وصاح في رجاله يستحثهم . فعلم ابو مسلم انه نصر بن سيار ، فقال في نفسه لو ظهر في بني أمية مثل هذا الرجل قبل اختلال امرهم لما عجل بسقوطهم ، ولكنه لن يستطيع امرا . وهجم بعض الفرسان مع نصر ، فتغلبوا على الكرماني وأصابوه بطعنة فخر عن فرسه فأجهزوا عليه ، وأمر نصر بصلبه فصلبوه .

فلما رأى ابو مسلم قتل الكرماني تظاهر بالاسف وتوقع فشل اليمنية، واذا بعلي بن الكرماني قد هجم يطالب بثأر ابيه . فهجم ابو مسلم معه ونادى رجاله فهجموا جميعا على نصر ورجاله ، فأرجعوهم عن مواقفهم، ثم تراجع الجيشان .

رجع ابو مسلم من المعركة وقد سره مقتل الكرماني ، وأخذ اثناء رجوعه يعمل فكرته في تدبير الحيلة لقتل ابنه علي ، ولكنه رأى ان يستعين به على نصر اولا ثم يقتله ويقتل شيبان الخارجي ، فوصل الى معسكره واجتمع اليه النقباء فنظر اليهم وقال : «ألم يكن رأينا صوابا ، قتلنا الكرماني ولم نسفك دماء رجالنا . والرأي فوق شجاعة الشجعان ؟! »

فأعجبوا بدهائه وحسن سياسته ، وازدادوا تفانيا في طاعته وقالوا : «مر بما تشاء فانك صاحب القول الفصل» .

- ٧ -

سر الضحاك

تركنا جلنار في طريقها الى معسكر الكرماني ؛ وقبل وصولها جاءها وفد من رجال الكرماني استقبلوها وأنزلوها في خباء خاص نصبوه في مؤخر المعسكر وأنزلوا فيه أحمال الآنية والفرش ، وأدخلوا جلنار غرفة من غرفه ليس فيها من النساء سواها ومعها بعض الجواري وريحانة ؛ وقد اصبحت في هذه الغربة ألصق بها من ظلها • وكانت ريحانة قد أحست انها هي المسؤولة عنها ، وقد علمت ما هي معرضة له من الاخطار فوطنت النفس على بذل كل شيء في سبيل سلامتها •

فلما وصلت جلنار الى الخباء ، سبقتها الجواري الى تهيئة ما يلزم من اسباب الراحة ، وقام الضحاك بانزال الاحمال ومعه العبيد والخدم • ثم جاءت ريحانة فأدخلتها غرفتها وأخذت تنزع ما عليها من ثياب السفر وتلبسها ثوب البيت وهي صامتة لا تتكلم ، ثم لاحت منها التفاتة الى جلنار فرأت عينيها تدمعان فانقبضت نفسها وابتدرتها قائلة : «ما الذي يبكيك يا مولاتي ؟» • ولم تكد تنطق بهذه العبارة حتى اختنق صوتها وغصت بريقها ولم تنبس بكلمة ، فتشاغلت بضفر شعر سيدتها ، ثم تجلدت وأعادت السؤال وهي تحاذر ان يختنق صوتها وقالت : «ما بالك يا مولاتي لا تجيبين عن سؤالي ؟»

فالتفتت جلنار الى ريحانة والدمع يتلألأ في عينيها ، وقالت لها بالفارسية : «أتسألينني عن السبب وأنت أعلم به مني ؟ اين نحن الان ؟ كيف خرجت من دار ابي وقد كنت فيها في حصن حصين وجئت دار الحرب والنبال تتساقط عى فسطاطي ، ثم اني لا أعرف الى من انا

صائرة ! »

فأحبت ريحانة ان تخفف عنها ، فقالت : «انت صائرة الى الامير علي ابن الكرماني ، وكل هذا المعسكر رهن اشارتك» •

قالت : «وأين هو علي هذا ؟• اني لم أره ولو رأيتـــه ما عرفته • سامحك الله يا أبتاه • لقد فرطت في ، بل اللوم علي انا فقــد سلمت نفسي لرجل لا أعرفه ولم أره ، وقد وصلت الى منزله ولم اجده !»

فقالت ريحانة : «خففي عنك يا مولاتي انه لا يلبث ان يأتي فقد اتفق وقت وصولنا مع وقت خروج الامير الكرماني لملاقاة جند مرو للقتال • ولا شك ان عليا ابنه معه وسترينه عائدا وقد تلطخ جواده بدم الاعداء وفي وجهه عزة النصر ، وهذا فخر لك • ان في ذلك لذة لم تتعوديها ، فاذا ذقتها مرة عرفت قيمتها ، ان لذة النصر عظيمة يا مولاتي» •

فذعرت جلنار عند سماعها ذكر القتال ، وقالت : «أهو في ساحة القتال ؟ ألم تقولوا لي انه صاحب مرو وله فيها الامر والنهي ؟»

قالت : «قد كان الامر كذلك ، ولكنه خرج منها ولا يلبث ان يفتحها كما فتحها من قبل» •

فصاحت وقد نسيت موقفها : «لا يهمني فتحها ام لم يفتحها ، اني لا أريده ، اخرجوني من هذا المكان اذهبي بي من هنا يا ريحانة !»

فضحكت ريحانة تخفيفا لثورتها ، وكانت قد انتهت من تمشيطهـــا وتبديل ثيابها فألبستها ثوبا عنابي اللون جعلت عليه منطقة مرصعة ، ولفت كتفيها بمطرف من الخز الموشى مبطن بالفرو الثمين ، وقد احمر وجهها من أثر السفر وتوردت وجنتاها وتكسرت عيناها من البكاء وغشيهمـــا ذبول الاهتمام ، وتجلت في جبينها وبين عينيها وعلى أساريرها دلائـــل الهيبة والحذر والجزع • واسترسل شعرها ضفيرة واحدة على ظهرها وقد تلألأ القرطان في أذنيها وكل منهما جوهرة واحدة تضيء في الظلام ، غير

ما في عنقها من العقود الثمينة وغير ما يحيط بمعصمها من الدمالــــج والاساور ، فأصبحت فتنة للناظرين • فلما فرغت ريحانة مـن الباسها ، دعتها الى الجلوس فجلست وسألت : «وأين الضحاك يا ترى ؟»

قالت : «لا يلبث ان يأتينا ، فقد تركته يهتم بالاحمال وما اليها» • وصفقت فدخل خادم ، فقالت له : «اين الضحاك ؟»

قال : «كان حول الخباء ، ثم ذهب ولا ادري اين هو الان» •

فأجفلت جلنار ونظرت الى ريحانة كأنها تستطلع رأيهـــا ، فقالت ريحانة : «هلم بنا نطل من باب الخباء تتفرج على المعسكر عسى ان نرى الضحاك » •

فنهضت ومشت وريحانة وراءها حتى أطلتا من باب الخباء واذا بسهم سقط بالقرب منهما عند الباب ، فذعرت جلنار وتراجعت ، وأما ريحانة فكثيرا ما شهدت مثل هذه المعارك فلم تحفل به وتجلدت تشجيعا لمولاتها، ثم ضحكت وقالت : «ما الذي أجفلك يا مولاتي ؟»

فقالت وهي ترتعد خوفا : «انهم يقتتلون على مقربة منا ، بالله مـــا هذا ؟• ما الذي جاء بي الى هذا المكان ؟ كيف رضيت بالمجيء •• آه يا ابا مسلم !» • وكأنها نطقت باسمه سهوا فخجلت ، وأخذت تمســـح دموعها •

وكانت ريحانة أعلم منها بتحرج الموقف ولكنها لم يسعها الا التخفيف عنها ، وشعرت بأنها اساءت اليها اذ لم تمنعها من المجـــــيء فقالت : «الحرب بعيدة عنا ، تعالي انظري الى المعركة فانها وراء هذا المعسكـر فيما بينه وبين المدينة • وأما السهم فقد أفلت ووقع هنا صدفة» • ثـــم امسكتها بيدها وأخرجتها من الخباء ، فأطلت على المعركة عن بعد فرأت الفرسان يتجاولون والسيوف تبرق في أيديهم وبعضهم يحمـــل الاتراس وبعضهم يشرعون الرماح وأكثر القتال بين الفرسان • ولذلك قلما كانوا

يترامون بالنبال ، فالنبالة اكثر ما يكونون من المشاة • ولم تستطع جلنار ان تشهد القتال طويلا ، فدخلت ودخلت ريحانة في اثرها وكلتاهما صامتة وقد قلقتا لغياب الضحاك • حتى اذا دنا المغيب ، ازداد انقباض جلنار وتصورت مجيء زوجها الذي لم تره من قبل ولا احبه قلبها لانشغالـه بسواه • فأمسكت ريحانة بيدها فأحست برجفة فيها ، فقالت : «ما بالك ترتعدين يا مولاتي ؟»

قالت : «اني أرتعد لقرب الساعة التي سألقى فيها ابن الكرماني ، بالله كيف أقابله ؟ أحقا هو بعلي ؟ كلا •• الموت أحب الي من قربه» • ثم قبضت على يد ريحانة بيديها وصاحت : «لا اطلب نجاتي الا على يدك» •

قالت : «لا بأس عليك يا سيدتي ، علي تدبير كل شيء ، وانما ارجو منك ان تتجلدي ولا تظهري نفورك منه ، فقد يكون نعم الزوج ، ولا يحق لك ان تبغضيه قبل ان تريه ؟»

فنظرت اليها جلنار من طرف عينيها ولسان حالها يقول : «ألا تعلمين ما يكنه فؤادي من حب ابي مسلم ؟»

فأدركت ريحانة مرادها ، وقالت باسمة : «ثقي بأنك ستنالين بغيتك، ولكن بالصبر والحزم» •

وما لبثتا ان سمعتا صهيل الخيل وضوضاء الناس فأجفلتا معا ، اما ريحانة فتجلدت وقالت : «يظهر ان الفرسان قد رجعوا من المعركة» • ثم خرجت حتى أطلت من باب الخباء وعادت وهي تقول : «ها هو ذا الامير قد اتى على فرسه وهو مخضب بالدماء كما قلت لك ، وسيأتي اليك فلا تجزعي» •

فقالت : «والضحاك لم يأت بعد ، اين هو ؟• قد تركنا في ساعـة الحاجة اليه» •

قالت : «لا تلومي الغائب حتى يحضر» •

ثم جاء الخدم من رجال الكرماني يحملون الشموع مغروسة فـــي أعواد نصبوها في جوانب الخباء ، فأضاء المكان وجلنار لا تستطيـــع الوقوف من شدة التأثر • فجلست وقد اصطكت ركبتاها ، واذا بالضوضاء تقترب من الخباء ، ثم سمعت رجلا يتكلم قرب الباب بصوت عال ويقول: «اين خباء عروسنا الدهقانة ••؟»

فلما سمعت جلنار صوته تحققت انه زوجها فارتعدت فرائصها وازداد اضطرابها ، فتشاغلت بمطرفها تلف به منكبيها ويداها ترتعشان وقد بردتا• فخرجت ريحانة لاستقباله لدى الباب ، وقالت : «اهلا بالامير الجليل ، ان مولاي الدهقان يوصيك بابنته خيرا ، ويقول لك انه قد عهد اليك بفلذة كبده فكن بها رفيقا» •

فقال : «لقد أوصى حريصا ، ان الدهقانة تنزل عندنا ارفع منزلة وأعز مكانة» • ومشى الى الغرفة وهو يقول : «وأين هي ؟»

فقالت : «هي جالسة في حجرتها ، وقد انهكها تعب لسفر اثنـــاء النهار » •

فأدرك مرادها وقال : «اني انما أريد راحتها ، وقد احببت لقاءها للترحيب بها» • ودخل وقد تنسم رائحة الطيب •

وكانت جلنار جالسة وقد سمعت قوله فسكن روعها وأطرقت وهي تراعي دخوله بجوارحها • فلما دخل حجرتها وأقبل عليها ورأى جمالها اخذت بمجامع قلبه ، ولكنه هابها وقال : «مرحبا بعروسنا لقد اتيت اهلا ونزلت سهلا ، وعسى ان يكون مقامك عندنا مثل مقامك في بيت ابيك»•

فرفعت جلنار بصرها اليه لترى وجهه والحياء يغالبها ، فرأت شابا في نحو الثلاثين من عمره قصير القامة عريض المنكبين توشح بعباءة مـــن الحرير وتقلد السيف وغرس الخنجر في منطقته وعلى رأسه عمامة حمراء، وكان مستدير الوجه واللحية دقيق الشاربين وقد ذهبت احدى عينيه •

فلما دنا منها قعد على البساط امامها ووضع السيف معارضا على حجره وقال : «لا بأس عليك يا جلنار ، أرجو ان يذهب عنك تعب السفر الليلة ، وأن يكون قدومك فأل خير على هذا المعسكر . فقد اتيت والحرب قائمة بيننا وبين صاحب مرو وعدنا من هذه المعركة ظافرين بحول الله ، فعسى الله ان يأتينا بالفتح على يديك وببركة قدومك» .

وكانت جلنار مطرقة حياء لا تدري بماذا تجيب ، فأجابت ريحانة عنها : «ذلك ما نرجوه ايها الامير البطل ، فقد قدمنا ونحن نتوقع ان يكون مقامنا بمدينة مرو ، فعسى ألا يكون نزولنا في هذا المعسكر طويلا » .

فتحمس علي وقال : «لو قدمتم مجيئكم قليلا لنزلتم توا في مرو ، وقد كانت في قبضتنا فخرجت من أيدينا منذ بضعة ايام . ولكنها ستعود الينا باذن الله» .

فأدركت جلنار غرض ريحانة من ذلك التعريض ، فقالت والحياء يغالب منطقها : «لعل قدومنا كان شؤما عليكم ، فكيف تتوقعون ان يكون بركة .. ولو كان ذلك لما كان نزولنا في غير دار الامارة بمرو ؟!»

فقال : «عفوا ايتها الدهقانة ، ان قدومك بركة وفأل حسن . وأنا على يقين من ذلك ، وسترين صدق قولي» .

قالت : «انت صادق ، ولكننا علمنا شؤم قدومنا من النبال التي رأيناها تتساقط حولنا منذ أنيخت بنا المطايا في هذا الخباء !»

فازداد علي حماسا وأريحية واستسهل كل صعب في سبيل رضاها فقال : «انك ستبيتين غدا في دار الامارة باذن الله» . قال ذلك ارضاء لها ، ولم يدر انه قيد نفسه بوعد دون الوصول اليه خرط القتاد . فلم تغفل ريحانة عن انتهاز الفرصة ، فنظرت الى مولاتها وهي تظهر الاعجاب بأريحية علي وقالت : «ان الامير يا مولاتي قد وعد ــ ووعده عهد ــ

بألا تبيتين غدا الا في دار الامارة !»

فقال علي وقد اخذ الهيام منه مأخذا عظيما ، فأثار حماسته وحميته : «نعم لا تبيتين غدا الا في دار الامارة» . ثم ادرك تسرعه فأراد ان يحتاط لنفسه فقال : «وأعاهدك على اني لا أتمتع بهذا الوجه الجميل الا في تلك الدار» .

فأطرقت جلنار حياء وسكتت . فأجابت ريحانة عنها قائلة : «بورك فيك من شهم حر ، والحر اذا عاهد وفى» .

فنهض وهو يقول وقد ثارت النخوة في نفسه : «أستودعك الله ، وسترين بلائي غدا ، فاذهبي الان الى فراشك واستريحي» . وخرج يجر سيفه وراءه .

فلما توارى ، نظرت ريحانة الى سيدتها وقالت لها بالفارسية : «ما قولك في هذا العهد ؟»

قالت : «لا بأس به ، ولكني اخاف ان يتمكن من دخول مرو غدا» .

قالت : «لا أظنه يستطيع ذلك ، واذا استطاع كان جديرا بك ، اذ لا يكون لابي مسلم حينذاك شأن» .

فقطعت كلامها وقالت : «لا تقولي هذا ، وان ابا مسلم مكبلا بالاغلال لأحب الي من سواه على عرش كسرى !»

فقالت ريحانة : «دعي ذلك الى تقدير العزيز الحكيم ، وان غدا لناظره قريب . ولكن غياب الضحاك قد اقلقني ، وهو انما جاء معنا ليكون في خدمتك . قومي الان الى الطعام ثم نرى ما يكون» .

* * *

جلست جلنار ومعها ريحانة الى المائدة ، ووقف بعض الجواري في خدمتهما . ثم اذا بخادم قد دخل مهرولا وهو يقول : «الضحاك بالباب» .

فتهللت جلنار وعافت الطعام شوقا الى سماع الضحاك ، ولم تكن ريحانة أقل منها رغبة في ذلك لتطلعه على ما وفقتا اليه تلك الليلة ، فقالت للخادم: «ادخله الى الحجرة الوسطى ، واحمل اليه الطعام وقل له ان الدهقانة ستوافيه على عجل» .

فلما انتهيا من طعامهما ذهبتا اليه فوجدتاه في انتظارهما ، فقالت له جلنار : «اين كنت يا رجل ؟»

فتأدب في موقفه ويداه في منطقته وعمامته مائلة على رأسه وقد نبش شعر لحيته وشاربيه حتى تغيرت سحنته فما تمالكت جلنار عن الضحك، ثم اجابها بضحكة طويلة . فأشارت اليه ان يقعد وقعدت وأقعدت ريحانة بجانبها ، فجثا الضحاك على ركبتيه وقال : «لقد اذنبت بخروجي بلا استئذان . ولكن العفو أقرب للتقوى» .

فقالت ريحانة : «كيف تتركنا وحدنا وقد أوصاك الدهقان برعاية مولاتنا وبألا تفارقها ؟»

قال : «نعم اخطأت بمخالفتي وصية مولاي الدهقان ، ولكنني آصبت بمجاراة مولاتي الدهقانة» . قال ذلك وأطرق اطراق الحياء .

فقالت : «دعنا من مجونك ، وقل اين كنت ؟»

قال : «اذا كنت لم تفهمي كلامي فمولاتي الدهقانة قد فهمته» . ونظر الى جلنار وقال : «أليس كذلك ؟»

فقالت جلنار : «لعلك ذهبت الى ابي مسلم ؟»

فقهقه ثم قطع ضحكته بغتة ، وقال لريحانة : «أرأيت الفرق بين من يفهم ومن لا يفهم ؟»

فتطاولت جلنار بعنقها نحوه وقالت : «وماذا فعلت ؟»

قال : «غدا تعلمين ماذا فعلت» .

فقالت ريحانة : «قل الان ، فنقول لك ماذا فعلنا نحن» .

قال : «انا اعرف ماذا فعلتما ، لقد اخذتما العهد علــى صاحبنا ألا يتزوج الا في دار الامارة» •

فدهشت جلنار لاطلاعه على ذلك والتفتت الى ريحانة لتشاركها في الاستغراب ، فالتفت الضحاك الى ريحانة وقال : «وهل من الغريب ان أعرف امرا انا فعلته» •

فقالت ريحانة : «وكيف ذلك ؟ ونحن انما حملناه على هذا الوعد خطوة خطوة ؟»

قال : «انا وضعت الاساس وقد فكرت في الامر قبل خروجنا من بيت سيدي الدهقان ، فلما وصلنا كان قصارى همي ان ألاقي الامير عليا ؛ فتركتكما وذهبت الى قرب المعركة حتى اذا عاد الامير علي منها بشرته بمجيء العروس ثم القيت اليه كلاما أعددت به ذهنه لذلك العهد !»

فاستغربتا تيقظه وذكاءه ، وقالت ريحانة : «ثم الى اين ذهبت ؟»

قال : «ذهبت الى الامير الاخر» • ورفع بصره الى سقف الخبــــاء وتظاهر بأنه ينظر الى ما فيه من الرسوم الملونة ولم يضحك • ثم أرسل بصره الى جدران الحجرة فابتدرته ريحانة قائلة : «وما الذي فعلته هناك؟»

قال : «غدا تعرفينه» •

فقالت : «بحياة مولاتنا افصح واترك المجون» •

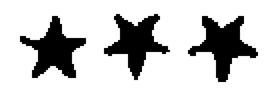
فتظاهر بالجد ، ووجه خطابه الى جلنار قائلا : «بحثت مع ابي مسلم في الطريق المؤدي الى بقائه وحده في هذا الميدان» •

فقالت جلنار : «وكيف ذلك ؟ قل» •

فقص عليها ما دار بينه وبين ابي مسلم بايجاز ، وقال : «والحق يقال ان هذا الخراساني نبيه عاقل ، ولاسيما لانه شهد لي بالذكاء» • وضحك •

فقالت ريحانة : «ان ذكاءك معلوم عندنا» •

قال : «اشكرك على هذا الاطراء ، وآسف لاني نذرت ألا اتزوج !»
فقطعت جلنار كلامه وقالت : «اكفف عن ريحانة ولا تعبث بها» •
قال وهو يحك ذقنه : «كأنك تظنينها تكره ذلك ، ولكنني عمـلا بأمرك قد عفوت عنها ولاسيما لانها تحبك» •
فضحكت جلنار وقد سرى عنها وخف ما بها ، فلما رات ريحانة سرور سيدتها شاركتها فيه وشعرت بفضل الضحاك عليهما ، فقالت في نفسها: «لا ريب ان لهذا الرجل المهذار شأنا ، وان امره لعجيب» •
ثم التفتت ريحانة الى سيدتها وقالت : «ألا تذهبين الى الفراش يا مولاتي ؟ »
قالت : «نذهب» • ووقفت ، فوقف الضحاك وقال : «وأنا ذاهب ، وقد لا انام الليلة ، فاذا طلبتماني بعد ساعة ولم تجداني فلا تحسباني فررت » •
قالت جلنار : «افعل ما بدا لك ، اننا لا ننسى لك جميلا تبذله • واذا وفقنا الى ما نريد كان لك ما تطلب ، انصرف اذا شئت» •
فخرج ليبيت في فسطاط الاعوان والحاشية ، وكان الكرماني وابنه قد استأنسا به عندما اجتمعا به في غروب ذلك اليوم وآنسا فيه خفـة الروح •
ولم ينم تلك الليلة حتى علم ان رسول ابي مسلم مر بالمعسكـر وقبضوا عليه ، ورأى الكرماني في فسطاطه يتلو كتاب ابي مسلم ومعه ابناه علي وعثمان وكانا لا يفارقان مجلسه وهما عمدته في حروبه ، وعثمان اصغر من علي • فلما تحقق الضحاك نجاح حيلته ذهب لينام •
ولما التحم الجيشان في صباح الغد وقف الضحاك يرصد حركاتهما، فلما رأى الكرماني قد قبل مصالحة نصر بن سيار أسرع الى معسكر نصر ملثما وحرض ابن الحرث على ان يثأر لابيه فجاء وقتل الكرماني •



تركنا أبا مسلم في معسكره فرحا بما أوتيه من جواز حيلته على الكرماني . فلما تفرق عنه النقباء بعد العشاء الى خيامهم ظل هو في غرفته وحده يعمل فكرته في اتمام مشروعه للتفريق بين الجيوش المحيطة بمرو . وكان اذا خلا الى نفسه ربض كالاسد وأخذ في تدبير الامور بدهاء ، فاذا مل الجلوس وقف وتمشى ذهابا وايابا كأنه نمر كاسر حبس في قفص من حديد وقد جاع فتحفز للوثوب على فريسة قريبة منه . وكان وهو يفكر ، يرى شبح الضحاك نصب عينيه ويتوقع ان يراه قادما اليه بحيلة يظنها الضحاك فتحا جديدا وهي عند ابي مسلم «قديمة» وانما كان يظهر اعجابه بفطنته تشجيعا له على خدمة اخرى ، والضحاك يتوهم ان حقيقة مساعيه تخفى على ابي مسلم ، وما علم ان هذا الخراساني يقرأ كل ما يجول في خاطره ويدرك ما سيأتي به اليه او يشير به عليه ، وانه انما يظهر له استحسانه واعجابه دهاء ومكرا ، وقد أضمر له السوء . فقد كان الناس في ذلك العصر اعداء بعضهم لبعض ؛ كل منهم يترقب من صاحبه غفلة ليغتاله ، وقد اختلفت العناصر وتباينت المقاصد وصدرت وصية الامام ابراهيم بقتل كل من يشتبه فيه .

وفيما كان ابو مسلم سابحا في عالم خياله ، يتمشى وبيده قضيب يلاعبه بين انامله ، جاءه احد الحراس يقول : «ان بالباب رجلا يطلب المقابلة» . فأدرك انه الضحاك ، فأذن له فدخل وقد تنكر بقلنسوة من قلانس الفرس فوقها عمامة صغيرة فبدا كأنه من كهنة المجوس . فلما أقبل رحب به وبش له ، ولكن الضحاك قرأ في احمرار عينيه وتغضن جبينه ما دله على اهمية الامر الذي يفكر فيه ، فوقف متأدبا فخاطبه ابو مسلم قائلا : «اهلا بصديقنا الضحاك» .

فأعظم الضحاك هذا التنازل من ابي مسلم وبالغ في التأدب في موقفه ، وقال : «اني لا أستحق هذا الاكرام يا مولاي ، وانما انا عبدك

ارجو رضاك» •

قال : «ومتى كان العربي عبدا للفارسي» •

فوجم الضحاك لحظة ثم قال : «ان المسلمين اخوة . وانما يتفاضلون بالتقوى والجهاد . وقد ذهبت الدولة التي تحسب للعرب مزية على غيرهم ، وكان تعصبها للعرب سببا لذهاب سلطانهم • وكيف لا اكون عبدا لبطل خراسان صاحب دعوة الامام ؟»

فاستضحك ابو مسلم وقعد ، ثم اشار الى الضحاك فقعد جاثيا على ركبته وقد أطرق وسكت ، فابتدره ابو مسلم قائلا : «ما وراءك يا ضحاك ؟ »

قال : «ما ورائي الا الخير ، وقد جئتك مهنئا بما اوتيته من الفوز الباهر واعلي أنفذ لك امرا» •

قال : «انما نحن مدينون بهذا الفوز لتدبيرك وسعيك ، واذا تم لنا النصر جعلناك في منصب يليق بأمثالك» •

قال : «لا ألتمس الا رضا مولاي الامير . فسرني بما تشاء» •

قال : «قل ما الذي تراه الان ؟ لقد أعجبني سداد رأيك بالامس» •

فأطرق الضحاك هنيهة كأنه يعمل فكرته . ثم قال : «ألا ترى بعد ان قتل الكرماني ان تتخلص من ابنه فيخلو لك الجو ؟»

قال : «وشيبان ؟»

فضحك الضحاك وقال : «شيبان ؟ وما شأن هذا الخارجي • فهو ليس ممن يحسب لهم حساب ؟»

قال : «كيف لا وهو صاحب جند وعصبية مثل الكرماني» •

قال : «اذا قتلت ابن الكرماني ، فأمر شيبان علي» •

وكان ابو مسلم ينظر اثناء حديثه الى قلنسوة الضحاك وفي نفسه ان يعلم ما تحتها ، وقد لحظ من وراء حافتها ان رأس الضحاك حليق فأومأ

بالقضيب الى القلنسوة وقال : «ومن اتاك بهذه القلنسوة ؟» • وأظهر انه غمزها بالقضيب سهوا فسقطت فبان رأسه حليقا • فوثب الضحاك وتضاحك ، وبادر الى القلنسوة فأعادها الى رأسه وقال : «قد انتظمت في سلك المجوسية من عهد قريب» •

فتجاهل ابو مسلم ما ادركه من رؤية الرأس الحليق ، وتضاحك وقال: «ان الكهانة خليقة بالفرس وليس بالعرب» •

فأصلح الضحاك قلنسوته وقد امتقع لونه من تلك المفاجأة ، ولكنه صدق ان ابا مسلم انما فعل ذلك سهوا فقال : «ان الرجل يغير زيه للوصول الى غرضه ، ولو لم ألبسها ما استطعت بلوغ خيمتك» •

فأظهر ابو مسلم انه صدق قوله ، وقال : «انك لتعجبني بجدك وهزلك ، فلنعد الى الجد • ما الحيلة اذا اردنا التخلص من ابن الكرماني ؟ »

قال : «ان قتل هذا الرجل سهل وصعب» •

قال : «وما معنى ذلك؟ »

قال : «ألا تذكر يا مولاي مجلسنا في منزل دهقان مرو ، اذ قلت لك ان اظهارك الميل لهذه الفتاة المفتونة سيكون عونا لك على تنفيذ مأربك؟»

ففهم ابو مسلم تلميحه ولكنه تجاهل وقال : «نعم اذكر ذلك ولكنني لم أفهم مرادك» •

قال : «مرادي ان تتخذها نصيرة لك في خيمة ابن الكرماني وعلى فراشه » •

قال : «أتراها تعيننا على قتله ؟» • قال : «نعم يا سيدي انا أضمن ذلك على شرط !»

قال : «وما هو الشرط ؟» • قال : «ذلك شرط يسير • ترسل الي هذه الفتاة علامة تؤكد لها رضاك عنها وان قتل ابن الكرماني يرضيك ،

وأنا أتم الباقي» •

قال : «وما هي العلامة التي تعنيها ؟ »

قال : «علامة تعلم انها منك» •

فنظر ابو مسلم الى الضحاك نظرة كشف بها اسرار قلبه كما يكشف اصحاب أشعة رنتجن ما وراء الجوامد ، وقال : «لا آظنها تقنع بغير خاتمي » •

قال : «تلك خير علامة نقضي بها الارب» •

فأطرق ابو مسلم كأنه يتردد . ثم قال : «هل تعلم اهمية هذا الامر؟ اني اذا دفعت اليك خاتمي فكأني سلمت اليك امري ؟» .

قال : «أعلم ذلك يا مولاي . ولو علمت ان الامر يقضي بدونه لما طلبته » •

فنزع ابو مسلم الخاتم من اصبعه ودفعه اليه ، وقال : «هذا هو ، خذه وامض مسرعا وعد الي به الليلة فاني لا ابيت بدونه» •

فوقف الضحاك اجلالا وتناول الخاتم وقبله ووضعه على رأسه وقال: «قد لا استطيع مقابلة الدهقانة الليلة فاتيك في الصباح ومعي الخاتم باذن الله» • قال : «سر في حراسة المولى» •

ثم استأنف الكلام وقال : «ألبث هنا ريثما أعود اليك» • وخرج من باب سري في الغرفة ، وظل الضحاك واقفا وقلبه يطفح سرورا لما استبشر به من نجاح امره ، وأصاخ بسمعه لعله يشعر بحركة او يسمع صوتا يستدل به على شيء فلم يسمع شيئا • ثم عاد ابو مسلم وقال : «اذهب يا ضحاك واذا وفقت في خدمتنا كافأناك ، ولكن متى استوثقت من الفتاة فقل لها ألا تعجل بالامر بل تنتظر اشارة اخرى ، فهمت ؟» • قال : «سمعا وطاعة» • وانصرف •

* * *

اصبحت جلنار في ذلك اليوم وقد تهيأ الجيشان للنزال ، وهي تخاف ان ينتصر الكرماني لان هذا يعرقل مساعيها ويخيب آمالها ، فوقفت مع ماشطتها بحيث ترى المعركة عن بعد فرأت تضعضع جند الكرماني ثم رأته عاد الى معسكره وكاد ينتصر فخافت ، وأخيرا علمت بما كان من قتله ثم شاهدت تضعضع عسكره وهجوم ابنه علي واتحاده مع ابي مسلم فاستغربت ذلك وأغلق عليها تفسيره ، فعادت الى خبائها مع ريحانة وقد انقبضت نفسها وقالت لها بالفارسية : «ما الذي اراه يا ريحانة ، ابو مسلم ينصر صاحبنا ؟»

قالت : «لا يغرنك ما تشاهدينه فانها حيلة من ابي مسلم ، ومتى جاء الضحاك يفسر لنا كل شيء» .

ولما غربت الشمس ولم يكن الضحاك قد جاء بعد . انقبضت نفس جلنار ولم تستطع طعاما ولا شرابا، وريحانة تخفف عنها وتمنيها بالمواعيد. ثم سمعتا قرقعة اللجم وصهيل الافراس بباب الخباء ، فأجفلتا وعلمتا ان عليا قادم برجاله فمكثتا صامتتين ، واذا بباب الخباء انفتح ودخل علي وثيابه ملطخة بالدماء وقد اخذ الغضب منه مآخذا عظيما . فخافت جلنار من منظره ولم تعلم بماذا تخاطبه وهو على هذه الحال وقد قتل ابوه ، فلبثت صامتة . أما ريحانة فتجلدت واستقبلت عليا ، وقالت : «أحسن الله عزاء الامير ، ان من يقتل في ساحة الوغى ويخلف مثلك لا يموت . وانك لآخذ بثأره» .

فأعجبه قولها فسرى عنه . والتفت الى جلنار وقال : «لنا ببقاء عروسنا الدهقانة اكبر عزاء وسوف أثأر لابي من اولئك الانذال ، وما هي الا ان تطلع الشمس ونعود الى القتال فلا تغرب الا ونحن في دار الامارة باذن الله» . قال ذلك وهو يصلح من شأن خوذته على رأسه وابتسم وأشار الى جلنار ان تجلس فجلست صامتة — والقلوب اذا لم

تتفاهم عجزت الالسنة عن الكلام . فحمل سكوتها على محمل الحياء فعذرها واكتفى بما سمعه من ريحانة ، ولكن جلنار لم يسعها عند سماع ما قاله الا ان تجيبه قائلة : «ان العزاء ببقاء مولاي الامير ، حفظه المولى وأعانه على الاخذ بالثأر» .

فلما سمع قولها انشرح صدره ، وقال : «اني سأثأر لابي وسترين وتسرين» . ثم صفق فجاءته قيّمة الخباء فأمرها ان تقوم على خدمة الدهقانة احسن قيام . ثم خرج للاهتمام بأمر الجيش والاستعداد للقتال في الغد .

فلما خرج ظلت الدهقانة صامتة وقد اخذتها شفقة على ذلك الشاب لما تضمره له من الشر ، ثم خافت ان يميل قلبها اليه فاستحضرت صورة ابي مسلم في ذهنها ، فذهب منه رسم علي وهاجت عواطفها . فلما خلت بريحانة قالت : «متى يأتي الضحاك لنسأله عما حدث اليوم ؟»

قالت ريحانة : «لا يلبث ان يأتي ، وقد أوصانا بالامس ألا نستبطئه اذا غاب» .

قالت : «ان لهذا الرجل لشأنا ، فقد جاء ليكون في خدمتي وأراه يقضي اكثر وقته خارجا» .

فقالت ريحانة : «اذا غاب يا مولاتي فانما يغيب في خدمتك ايضا ، هكذا فعل بالامس فلا تلومي الغائب حتى يحضر» .

فأجابت جلنار قائلة : «اني والحق يقال لم أر مثل اخلاص هذا الرجل في خدمتنا ، والغريب انه عربي لم يستنكف ان يكون من موالينا» .

قالت ريحانة : «ان العرب ليسوا الانُ كما كانوا من قبل ، فقد انحلت عصبيتهم وانقسموا فيما بينهم ودالت دولتهم .. ألا تذهبين لتتناول الطعام ؟»

فنهضت جلنار ومشت وهي تقول : «نذهب الى المائدة ريثما يعود ذلك المهذار » •

فمشت ريحانة في أثرها وهي تتمتم قائلة : «لا أظنه مهذارا» •

وبعد ان تناولتا الطعام قضتا برهة تتحدثان ، وكلما سمعتا وقع أقدام ظنتا الضحاك قادما حتى طال انتظارهما وغلب عليهما النعاس • فذهبت جلنار الى الفراش ، وظلت ريحانة جالسة بين يديها والنعاس يغالبهـا والقلق ينبهها • فانقضى هزيع من الليل ونام اهل المعسكر وساد السكوت وسكت القصاصون والقراء ولم يأت الضحاك بعد •

وبينما هي في سهوة من سهوات النعاس سمعت ضحكة الضحـاك فذعرت وفتحت عينيها فاذا هو واقف بازاء الخباء وكأنهمـا عمودان • فهمت بأن تصيح به وخافت ان توقظ سيدتها وترعبها فاقتربت منه وقالت بصوت منخفض : «سامحك الله على هذا الغياب» •

فمشى وهو يشير اليها ان تتبعه فتبعته حتى خرجا من الغرفة الـى غرفة اخرى ليس فيها نور ، وكانت رجلاها تتثاقلان ، فمد يديه وأمسك بيدها وشدها وهو يقول : «لا تخافي ، لا بأس عليك» •

قالت : «دعني أحمل اليك السراج لأرى وجهك وأسمع حديثك» •

فضحك وقال : «ما أشد شوقك لرؤية هذا الوجه ! هاتي السراج»•

فذهبت تمشي على رؤوس اصابعها حتى حملت السراج من غرفـة جلنار وجاءت به ووضعته بجانب العمود وجلست • فجلس الضحاك وكان قد أبدل بالقلنسوة العمامة التي يعرفه بها اهل المعسكر ، فابتدرته قائلة : «لقد أطلت الغياب الليلة ، ومولاتي الدهقانة نامت منقبضة النفس على اثر ما رأته من نصرة ابي مسلم لجند الكرماني» •

فقطع الضحاك كلامها وقال : «ألم يقتل الكرماني ؟ تلك عاقبـة انتصاره له !•• واذا طالت نصرته لهذا البيت أجهز على اهله واحـدا

بعد واحد» •

فلم تفهم ريحانة قوله ، فقالت : «بالله لا تكلمني بالالغاز» •

قال : «قبحك الله ما أغلظ فهمك !• ما تقرب هذا الخراساني من قوم الا أبادهم في سبيل مطامعه • فقد تظاهر بنصرة الكرماني حتى يستعين به على صاحب مرو ، ولم يكن يقصد سرعة قتله ولكن الاقدار عجلت بذلـك » •

قالت : «ان مولاتنا الدهقانة في قلق شديد لغيابك بعد علمها بمقتل الكرماني ، فهل أوقظها لسماع حديثك ؟»

قال : «سأوقظها بعد قليل وانما أريد ان أسر اليك امرا ارجو ان تساعديني فيه خدمة لمولاتنا» •

قالت : «وماذا تريد ؟»

قال : «ان مقتل الكرماني انما كان بسعاي انا توطئة لمقتل ابنـــه ليرضى عنا ابو مسلم فتنال مولاتنا ما تتمناه !»

قالت : «انت سعيت في قتل الكرماني ؟ لله ما أقدرك ! والآن تريد ان تقتل ابنه ؟• كيف تستطيع ذلك ؟»

فضحك وقال : «لا استطيع ذلك الا بك» •

فدهشت وقالت : «لعلي من اهل السيف ولست ادري ؟!»

قال : «ليس الفوز بكثرة الجند يا ريحانة وانما ينال المرء مرامـــه بالدهاء والصبر • وأنا الان آت من عند ابي مسلم وقد وعدته بقتل ابن الكرماني ، وأصبح يتوقع ذلك منا بعد ان حدثته في شأن مولاتنـــا الدهقانة معه ، وانها ستكون عونا له على نجاح مهمته • وليس من شيء يسهل عليه المهمة مثل قتل آل الكرماني ليستأثر بالسلطة من دون بقيــة العـرب » •

فأجفلت ريحانة من هول طلبه ، وسكتت ولم تحر جوابا •

فلما رآها ساكنة وقف وقال : «دعيني أذهب الى مولاتي جلنار فانها أعلم منك بأهمية هذا الطلب» •

فوقفت تقول : «لا اظن الدهقانة ترى قتل رجل يتفانى في حبها بلا ذنب اقترفه ، ولا هي اعتادت القتل • امكث هنا ريثما أوقظها ثم ادعوك» • وتركته ومضت ثم عادت ونادته ، فتبعها والسراج بيدها حتى دخلت غرفة جلنار ، وكانت قد جلست في الفراش والتفت بالمطرف ، فدخل ووقف متأدبا ، فأمرته بالجلوس على طنفسة صغيرة عليها رسوم فارسية ملونة ، وجعل ركبتيه تحته •• وهي جلسة التأدب عندهم •

فلما استتب به المقام ، قالت جلنار : «لقد أزعجني غيابك وأنت تعلم ان ابي انما أمر بمجيئك لتكون معي لاني لم ازل أعد نفسي غريبة بين هؤلاء القوم ، ولكنك منذ اتينا هذا المعسكر لا تمكث الا قليلا وتتركنا على أحر من الجمر في انتظارك» • فأطرق الضحاك ولم يجب ، فاستأنفت جلنار الكلام وكأنها استدركت امرها فقالت : «لا أنكر انك لا تغيب الا في مهمة تهمني ، وانك من أشد الناس غيرة علي وسعيا في راحتي ، ولكنك أقلقتني اليوم حتى كادت تزهق روحي» •

فابتسم الضحاك معتذرا ، وقال في هدوء ورزانة واحترام : «يسوءني يا مولاتي ان أسبب لك قلقا ، وأقسم برأس مولاي الدهقان اني انما غبت في خدمتك ، ومتى عرفت من اين انا آت الان عذرتني !»

قالت : «من اين ؟» • فالتفت الى ريحانة كأنه يستشهدها وقال : «قصصت بعض حديثي على ريحانة اثناء رقادك ولا بأس من الاعادة ، اتيت الان من معسكر الخراسانيين بعد حديث مع الامير ابي مسلم» •

فلما سمعت اسم الامير ابي مسلم بدا الاحمرار في وجهها وتجلت علامات الحب في عينيها وغلب عليها الحياء ، فأطرقت ثم قالت : «وماذا جرى ؟»

قال : «لم يحدث شيء بعد ، وأخاف ألا يحـــدث شيء فيذهب سعينا هدرا ! »

قالت وقد أوجست خوفا من هذا التلميح : «ما الذي تخافه ؟»

قال وهو يخفض صوته : «اخاف ان ينقلب سعينا علينا ، فنحن انما ركبنا هذا المركب الخشن وحملنا دهقانة مرو الى خيمة هذا الرجل ، وحملناها ما حملناها من المشقة وعرضناها للخطر ، كل ذلك لكي نصل الى ما نبتغيه من قائد جند الخراسانيين ، وقد فهمت من كلام ريحانة الان ان امرنا صائر الى غير المراد !»

فالتفتت الى ريحانة وفي عينيها امارات الاستفهام ، فأجابتها هـــذه بنظرة الاستغراب • فقال الضحاك : «لا تستغربي يا مولاتي فاني أفصح لك عن مرادي بعبارة وجيزة • قد رأيت اليوم ما كان من نصرة ابي مسلم لابن الكرماني ، ولا أظنك تجهلين معنى هذه النصرة ، فأبو مسلم لم ينصر عدوه هذا الا احتيالا حتى يتمكن من الفوز عليه في شيئين مهمين: الاول انت وهو الاهم عنده ، والثاني فتح مرو • وكذلك لا يغرنك ما يبديه ابن الكرماني من مداهنة ابي مسلم ، فهو انما يسايره لكي يحقق غرضه فيتزوج الدهقانة ويفتح مرو ، وكل من الاميرين لا ينال آربه الا بقتل صاحبه لينفرد بالغنيمتين • فابن الكرماني يهيىء الوسيلة لقتل ابي مسلم ، وهذا يهيئها لقتل ابن الكرماني • وترجيح الفوز لاحدهمـــا راجع اليك ! »

فاستغربت جلنار هذا التفصيل ، وأدركت بعــــض مراد الضحاك ، وأشكل عليها البعض الاخر فقالت : «وما علاقتي بذلك ؟»

فقال وهو يبالغ في خفض صوته وجلنار تتطاول بعنقها نحوه : «ان ابن الكرماني يتربص غفلة من ابي مسلم ليغتاله ، ومن يدري متى يتأتى له ذلك ، وقد اراد ابو مسلم ان يسبقه فيقتله ، ولكن ريحانة تأبى ذلك

فأرجو ألا يكون رأيك من رأيها» •

فقالت : «هل ترضى ريحانة بفوز ابن الكرماني ؟ لا اظن» •

قال : «لم تقل ذلك صريحا ، ولكنني ذكرت لها وسيلة تسهل قتل هذا الرجل وتجمعك بأبي مسلم فعرقلت مساعي» •

فقطعت ريحانة كلامه ، ووجهت خطابها الى جلنار قائلة : «ليس الامر كذلك يا مولاتي ، ولكنه جاءني برأي لا أظنك ترضين به !»

فابتدرها الضحاك قائلا : «ألا ترضى مولاتنا بقتل هذا الرجل واستقلالها بأبي مسلم ؟»

قالت ريحانة : «ولكنك تريد ان يكون قتله على يدها» •

فلما سمعت جلنار قولها بدا الارتباك في وجهها ، ونظرت الى الضحاك فرأته يصعد كتفيه ويقلب شفتيه ولسان حاله يقول : «ذلك لا يعنيني » •

فقالت جلنار : «أحقا انت تعني ذلك ؟• أتريدني ان أقتل هذا الرجل ؟ وكيف أقتله وهو لم يسيء الي ؟»

قال : «تفعلين ما تشائين ، يبدو انك ألفت الاقامة هنا ونسيت وعدك » •

قالت : «لم أنس وعدي ولا غيرت عزمي ، وأنت تعلم ذلك» •

فمد يده الى جيبه وأخرج الخاتم ودفعه اليها ، وقال : «هل تعرفين صاحب هذا الخاتم ؟»

فتناولته وحدقت فيه على ضوء السراج ، فاذا عليه اسم ابي مسلم•• فاختلج قلبها في صدرها وهاجت عواطفها وتنسمت منه رائحة حبيبها ، ونظرت الى الضحاك وقالت : «هذا خاتمه ، ما الذي جاء به اليك ؟»

قال : «لم أسرقه ، ولكن صاحبه دفعه الي دليلا على صدق رسالتي فهل تصدقين ما اقول ؟»

قالت : «وهل كذبتك في شيء قبل الان ؟» . قال : «كلا» .

قالت : «وما الذي بعثك به الي ؟»

قال : «قصصت عليك غرضه ، وخلاصة ذلك اننا ان لم نقتل صاحب هذه الخيمة فسيقتل هو صاحب هذا الخاتم . فان احدهما سيقتل الاخر لا محالة ، فاذا ترددنا في مقتل هذا فكأننا سعينا في قتل ذاك . ولا سبيل الى ذلك الا بك ، فاختاري احد الامرين» .

فأدركت جلنار غرضه فأعظمت الطلب ، ولكنها اعظمت ان تعرض حبيبها للخطر وهي تعتقد انه يحبها وفي قتله ذهاب كل آمالها ، فلبثت حائرة ، واستولى السكوت على الجميع . ثم فتحت جلنار فاها وقالت : «قد أوقعتني في حيرة لا أعرف كيف انجو منها ، اما القتل فلا طاقة لي به ولكنني أبذل جهدي في منع الاذى عن ذاك» .

فضحك وقال : «تمنعين الاذى ؟ افعلي ما بدا لك فليس علي تبعة ما يحدث من عاقبة هذا التردد» .

فخافت تهديده وزادت حيرة وعادت الى صمتها فقال الضحاك : «كيف تمنعين الاذى وأنت محبوسة في هذه الخيمة لا تستطيعين مبارحتها الا بقتل صاحبها ، واذا لم نعجل بقتله سبقنا هو الى قتل صاحبنا .. فنندم حين لا ينفعنا الندم .. على انك انت صاحبة الشأن ونحن طوع امرك ، والخسارة انما تعود عليك فافعلي ما تشائين» .

فقالت : «أأقتله بيدي ؟ بالله كيف استطيع ذلك .. تبصر في الامر يا ضحاك ، وقل ماذا كنت تفعل لو كنت في موضعي ؟»

قال : «لو كنت في مكانك لقضيت الامر بشربة من ماء او لقمة من طعام ! »

فأطرقت هنيهة ثم قالت : «لا ، لا أقدر على ذلك ، ولكنني ابذل جهدي في منع الاذى عن .. واذا استطعت المساعدة في ..» .

وسكتت ثم قالت : «دعني أتدبر المسألة» •

فنهض الضحاك وقد رجح عنده انه سيقنع جلنار في جلسة اخرى وقال : «ارجعي لي الخاتم لأرجعه الى صاحبه •• وأنا على يقين انك ستعودي الى رأيي» •

فقالت : «وهل ترجعه اليه الليلة ؟»

قال : «لا بد من ذلك ، فقد اعطانيه على هذا الشرط» •

فتثاقلت جلنار في دفع الخاتم اليه لانها استأنست به وتنسمت منه ريح حبيبها ، ثم فطنت الى تثاقلها والضحاك واقف في انتظارها ، فدفعته اليه رغم ارادتها ، فتناوله وخرج •• وترك الدهقانة وماشطتها في بحور من الهواجس •

* * *

سار الضحاك مسرعا حتى خرج من المعسكر ، وقد انتصف الليل وأطل القمر من وراء الجبال • فمضى مسرعا الى مكان نزع فيه جبته وغير قيافته وحل عمامته وتعمم بطريقة خاصة ، ومشط لحيته وشد منطقته الى وسطه واصلح من شأنه حتى ذهبت عنه هيئة المجون ، وولى وجهه نحو معسكر شيبان الخارجي •

وكان معسكر الخوارج وراء معسكر الكرماني في منبسط من الارض ، والخوارج يسعون الى نزع السلطة من كل مسلم ، ويرون ان الحكم لله وحده ــ يقولون ذلك ويطلبون السلطة لانفسهم ، فغرضهم غرض جميع طلاب الخلافة في ذلك العهد وان اختلفت الاسباب • وكان زعيمهم شيبان قد جاء برجاله وحاصروا مرو قبل مجيء ابي مسلم ، ثم جاء الكرماني فتنازعا على مرو •

وكان نصر بن سيار صاحب مرو من اهل الدهاء والحزم ، فكان اذا

خاف احد العدوين استعان عليه بالعدو الاخر فلم يستطع احد منهما ان يتغلب عليه •

وأما الضحاك فكان من أمراء الخوارج ، شديد التمسك بمذهبهم • فلما تحقق امتناع مرو على اصحابه وعلم ما كان من سعي الكرماني في تزويج ابنه من ابنة دهقان مرو ، رأى ان يحتال في قتل الكرماني غيلة، وخطر له ان يتنكر ويدخل في خدمة الدهقان ويحبب نفسه الى الدهقانة حتى تستأنس به ، ويكون في جملة من يحمل معها من الخدم والعبيد الى بيت زوجها ، فيتقرب من الكرماني وينتهز فرصة غفلة منه ويقتله ، فيشتد أزر الخوارج وينفردوا بغزو مرو فيتم لهم النصر • فاحتال حتى بيع للدهقان فيمن بيع له من الاسرى ، وبذل جهده للتقرب من الدهقانة بوساطة ريحانة بما كان بيديه من المجون وخفة الظل حتى وثقت به كل الوثوق وصارت تعهد بأسرارها اليه • وكان يحرض ريحانة على تحبيب ابن الكرماني الى سيدتها •

وبينما هو يسعى في ذلك جاء ابو مسلم الى الدهقان ونزل عنده ، فاطلع الضحاك على مقاصده وعرف قوته فأعمل فكره في تدبير الحيلة ، ثم عهدت اليه ريحانة في السعي لدى ابي مسلم لتزويج الدهقانة به ، فرأى ان يستعين بأبي مسلم على قتل الكرماني وابنه على يد جلنار • فحسن له التظاهر بحبها ونقل اليها خبر رضاه بها من تلقاء نفسه • وأراد ان يستخدم الدهقانة لقتل الكرماني وابنه وغيرهما اذا اقتضت الحال • ثم يتمكن من قتل ابي مسلم اذا ساعدته الاحوال ، والا فيكتفي بقتل ابن الكرماني ليبقي اليمنية بلا امير فيحضهم على الاتحاد مع شيبان فينفرد ابو مسلم برجاله الخراسانيين وهم قليلون ، فيغلبه الخوارج ويفتحون مرو ويتم لهم ما كانوا يأملونه من اخراج بني أمية من خراسان والاستقلال بها •

فلما جاء ابو مسلم الى مرو ، وعلم الضحاك ألا بد له من الاستعانة بالكرماني على شيبان ونصر ، تظاهر بأنه على رأيه وأشار عليه بالتفريق بين الاميرين وزعم انه استنبط هذا الرأي ليكتسب ثقة ابي مسلم ، توصلا الى اغرائه بقتل ابن الكرماني على يد جلنار ، وكان في خلال اقامته عند دهقان مرو ، وبعد قدومه الى معسكر الكرماني ، يتردد سرا على معسكر الخوارج ويطلع شيبان على ما يدبر • ولذلك ظل شيبان بعد قدوم أبي مسلم الى مرو هادئا لا يحارب عملا بمشورة الضحاك ، فاما ان يتحارب ابو مسلم والكرماني فيقضي احدهما على الاخر فيخلو الجو لشيبان ، واما ان يحتال الضحاك في قتل ابن الكرماني •

وكان الضحاك قد تواطأ مع شيبان في الليلة الماضية على ان يذهب الى ابي مسلم فيحرضه على قتل ابن الكرماني على يد جلنار ، فاذا تأتى له ذلك بعث دعاة الخوارج الى اليمنية من رجال الكرماني يحرضونهم على الاتحاد معهم لانهم عرب مثلهم ، ويطلعونهم على حيلة ابي مسلم في التفريق بينهم بالكتب التي ارسلها اليهم مع الرسول • وكان شيبان عازما على مهاجمة مرو في صباح الغد ، حالما يعلم بقتل ابن الكرماني • فبعث أمراءه في المعسكر يستحثون الرجال على التأهب ، وأمر القصاصين ان يتلوا على الجيش اقوال عنترة وغيره من أشعار الجاهليين في الحماسة والفخر ، استنهاضا للهمم وتحريضا للجند ، على عادة العرب في حروبهم حينذاك •

- ٨ -

القصاص ورفيقه

جلس شيبان في خيمته ينتظر قدوم الضحاك ، فلما ابطأ في قدومه

عليه وقد مضى هزيع من الليل ، ضجر وخاف ان يغلب النعاس عليه وعلى أمرائه الساهرين معه . فأمر بعض غلمانه ان يأتيه بقصاص يتلو عليـــه بعض الاشعار او القصص للتسلية . فذهب الغلام ثم عاد يقول انه سمع قصاصا ينشد أشعارا حماسية بصوت رخيم ويضرب على الطنبور بأشجى الانغـــام .

فقال : «وأين هو ؟»

قال : «بالقرب من فسطاط الامير» .

فأصاخ شيبان بسمعه ، فسمع نشيدا مطربا يدوي في ذلك الليـــل الهادىء تتخلله انغام الطنبور ، فأمر الغلام ان يأتي به ، فخرج الغلام ثم عاد ووراءه شيخ طاعن في السن طويل القامة عريض المنكبين ، عليه عمامة صغيرة ، واسع الصدر . ابيض الشعر وقد غطت لحيته معظم صدره ، وعليه عباءة حمراء قصيرة وبيده طنبور يضرب عليه بخفة ومهارة ، ومعه رجل قصير القامة على رأسه عمامة كبيرة لها زائدتان عريضتان احداهما مرسلة الى الوراء والاخرى مدلاة على جبينه فوق عينيه كأنه يشكو رمدا فبدا مغمض العينين ، اذا مشى تعلق برفيقه القصاص يلتمس الطريق في اثره . وبيده دف صغير ينقر عليه نقرا جميلا .

وكان شيبان في خيمة كبيرة قائمة على عدة اعمدة ، في ارضهـــا بساط كبير قد جلس هو في صدره على وسادة . وبين يديه بضعة أمراء من خاصته . فلما رأى القصاص داخلا أمره بالجلوس والانشاد وأجلس رفيقه ، فبدأ هذا بالنقر على الدف نقرا محكما ، وأخذ القصاص فـــي الانشاد بما يطرب الجماد . فأنشد بعض أشعار عنترة ، ثم أمره شيبان بأن ينشد أشعار غيره من الجاهليين ، فتلا اقوال زهير وطرفة وغيرهما وهو يضرب على الطنبور بما يحرك العواطف الحماسية ، وكلما قال بيتـــا حماسيا هاج الامراء وتحمسوا واستعادوه . وطلب اليه بعضهم ان يقص

عليهم قصص حرب البسوس ، ويوم ذي قار الذي انتصف فيه العرب من العجم ، وغيرهما من ايام الجاهلية المشهورة ، فأجابهم الى كل ما طلبوه سواء أكان قصة ام شعرا ام ضربا على الطنبور ، بينما رفيقه ينقر على الدف نقرا حسنا ، ويساعده بالانشاد وهو مطرق من ألم عينيه . فطرب الجميع ونسوا ما كانوا فيه من ملل الانتظار ، وتجمع رجال الحاشية والخدم في الخيمة وحولها حتى تكاثروا واختلطوا .

وبينما هم في تلك الضوضاء ، دخل غلام تخطى رقاب الناس حتى وقف بين يدي شيبان وأسر اليه قولا . فأشار شيبان اشارة تحرك لها كل من في المجلس من الامراء والحاشية ووقفوا وعلت ضوضاؤهم وهموا بالخروج . فوقف القصاص وأمسك به رفيقه وأرادا الخروج مع الخارجين ، فجاءهما غلام وأومأ اليهما ان يذهبا الى خيمة الحاشية بجوار الفسطاط . فخرج القصاص ورفيقه ممسك بطرف ثوبه ، فرأى في طريقه رجلا طويلا دخل الفسطاط فتنحى له الناس واستقبله شيبان بالترحاب وأجلسه الى جانبه ، وهو يقول : «اهلا بالامير شبيب» .

ولم تمض بضع دقائق حتى خرج الناس من الفسطاط الا الامير شيبان والامير شبيبا وبضعة أمراء آخرين . واتجه سائر الحاشية والاعوان الى خيمة بالقرب من الفسطاط . وأراد القصاص ان ينصرف فأمسكه بعض الخدم ، وأمروه ان يدخل الخيمة وينشد لبعض رجال الحاشية هناك ، فدخل مع رفيقه وأخذا في الانشاد والضرب والنقر . فبعث الامير شيبان اليهم ان يسكتوا لئلا يشوشوا عليهم حديثهم ، على ان يستبقوا القصاص الى ما بعد الفراغ من الحديث ، ففعلوا .

فلما خلا شيبان بشبيب ومن ظل في الفسطاط من خاصته ، انطلق لسانه بالترحاب وهش له واستدناه حتى تماست ركبتاهما وشيبان يقول : «بورك في الامير شبيب ، أرجو ان تكون قد افلحت فآن لنا الظهور» .

فقال : «النجاح لا ريب فيه باذن الله وببركة الامير شيبان» . قال ذلك وأخرج خاتما دفعه اليه .

فدهش شيبان وتناول الخاتم وتفرس فيه ، فلما عرفه تبسم والتفت الى امير بجانبه وقال : «هذا خاتم الشاب الخراساني ، فما قولكم فيمن تمكن من الحصول عليه ؟»

فأجاب احد الإمراء قائلا : «وماذا ينفعنا خاتمه وهو معسكر امامنا، وقد اتحد مع هؤلاء اليمنية وقبض على زمام اميرهم ابن الكرماني بعد ان قتل أباه ، فاذا اتحدا على صاحب مرو غلباه ولا فائدة من مقامنا هنا» .

فضحك شبيب ، ووجه خطابه الى الامير شيبان وهو يتربع في مجلسه ويده اليمنى على ركبة شيبان واليسرى يحك بها ذقنه ، وقال : «لم أخط خطوة الا وأنا حاسب لها حسابا وأظنني احسنت التدبير ، وسأبدي لكم رأيي ولكم ان تغيروا فيه» . ثم التفت يمينا ويسارا كأنه يستوثق من خلو المكان من الغرباء، فابتدره شيبان قائلا : «تكلم فاننا في مأمن من الناس ، وليس حولنا احد نخافه على افشاء سرنا» .

فقال شبيب : «لا يهمنا امر هذا الخاتم الا بقدر ما نستطيع ان نقتل به ابن الكرماني اليوم او غدا» .

فقال شيبان متعجبا : «اليوم ؟»

قال : «قد كنت أتوقع قتله الليلة ، ولكنه في حال لا يبقى بها الى ما بعد الغد» .

فقال احد الامراء : «وكيف نقتله وهو محاط بالحراس والخدم ؟»

فاعترضه شيبان قائلا : «نقتله بالدهاء والذكاء . واذا كنتم تعرفون دهاء الامير شبيب فلا تستغربوا ذلك منه» . ثم التفت الى شبيب كأنه يلتمس منه اتمام الحديث فقال شبيب : «اذا قتل ابن الكرماني فان رجاله يكونون معنا على ابي مسلم ، لانهم عرب يمنيون مثلنا يكرهون عرب

خراسان ومضر مرو ، ولا يجمع كلمتهم الان الا اميرهم ابن الكرماني ، فمتى قتل فعلي (وأشار باصبعه الى صدره) ان أجمع كلمتهم تحت قدم الامير شيبان ، ومتى فعلنا ذلك تكاتفنا على قتل ابي مسلم وتشتيت جمعه. ولا ريب ان نصرا صاحب مرو يساعدنا في ذلك او يلزم الحياد» .

فقطع شيبان الحديث وقال : «بل يساعدنا لانه بعث الي في صباح هذا اليوم يطلب محالفتي» .

فقال شبيب : «ولو لم يطلب هو نصرتنا لطلبنا نصرته ، وانما الغرض الاول ان نتخلص من ابن الكرماني ، ولا تحسبن التخلص منه هينا ، بل هو يستحيل على سواي . ولذلك حديث يطول شرحه . والامير شيبان يعرف معظمه» . فأمن شيبان على كلامه . فقال شبيب موجها خطابه الى شيبان : «لقد كدت أزهق روحها قبل ان اصل الى غرضي ، فقد جعلت هذه الفتاة المفتونة بحب ذلك الخراساني تعتقد انه مفتون بها وانه لا سبيل لها اليه الا بقتل زوجها ابن الكرماني . ولا شك انه اكثر هياما بحب الفتاة منها بحب ابي مسلم ، وآمل ان يهلكهم الحب جميعا .. وقد بذلت جهدي في تحريضها على قتل ابن الكرماني بالسم او ما الى ذلك ارضاء لحبيبها . وهو في الواقع لا يحبها ، ولكنه مالاني على اظهار الحب تنفيذا لغرضه كما خدعته انا باظهار التفاني في سبيل دعوته لتنفيذ غرضي، وهو يحسب انه يخادعني ويسايرني ويظنني مخدوعا مغرورا وهو المخدوع المغرور . والخلاصة اني غررت به حتى دفع الي خاتمه علامة منه لتلك الدهقانة على انه يحبها ، ويريد منها ان تفتك بخطيبها . وقد آنست منها اباء ، ولكنني سأعيد الكرة في الغد بحيث لا ينقضي الا وقد نفذت الحيلة » .

فظهرت امارات الاعجاب على وجوه السامعين ، وهم يتطاولون بأعناقهم نحوه ويراعون حركات شفتيه وعينيه لاستيعاب اقواله . ثم اطرق

وسكت ؛ كأنه يفكر في امر خطر له فسكتوا فجأة يتوقعون منه قولا ، فاذا هو يقطب حاجبيه ويرفعهما كما يفعل الحائر ثم التفت الى شيبان وقال : «بقي امر لا بد من الرجوع فيه اليكم» .

فتوجهت انظارهم اليه ، وقال شيبان : «وما الذي تريده ؟»

قال : «لا بد لنا من تمهيد السبيل لجمع كلمة هؤلاء اليمنية معا ، بحيث اذا قتل اميرهم انحازوا الينا وتم الامر لنا» .

فقال شيبان : «وهل نفعل ذلك قبل مقتل الرجل او بعده ؟»

قال : «يجب ان نمهد السبيل خوفا من الفشل ، وأرى ان يكون ذلك بمخاطبة كبار الامراء سرا . ولولا اشتغالي بما هو اهم من ذلك لما كلفني تبغيض ابي مسلم الى اليمنية اكثر من اطلاعهم على حيلته في القاء الفتنة بينهم وبين المضرية ، وهو الرأي الذي كنت عرضته عليه يوم وصوله كما تعلمون . فاذا اطلعوا على هذا السر مع ما في قلوبهم من الكره الطبيعي للفرس اتحدوا معنا لا محالة ، فما قولكم ؟»

فصاحوا بصوت واحد : «هذا هو الرأي الاعلى» .

فوقف شبيب وهو يتوكأ على كتف الامير شيبان ، وقال : «دعوني أذهب الان» .

فقال شيبان : «الى اين ؟» . قال : «الى ابي مسلم» .

قال : «الى ابي مسلم ؟ ولماذا ؟»

قال : «لأعيد اليه خاتمه فقد فارقته على ذلك ، فيجب ان أصدقه الوعد لتتم الحيلة ، ولكي أستمهله ريثما أقتل ذلك المغرور » . قال ذلك ووقف ، فوقف بقية الامراء ، ثم خرج مسرعا لا يلوي على شيء ، وتركهم وكلهم معجب بتدبيره ودهائه ، ولبثوا هنيهة يتشاورون وقد انشرحت صدورهم واطمأنت قلوبهم وأيقنوا بالنجاح . وبدا لهم ان يعودوا الى سماع القصاص وموسيقاه ، فصفق الامير شيبان فدخل احد الغلمان فقال

له : «الي بالقصاص» . فخرج الغلام ثم عاد يقول : «لم اجد القصاص ورفيقه يا مولاي .. وأظنهما ذهبا الى الرقاد لاني رأيتهما وقد استولى عليهما نعاس شديد حتى ناما والناس جلوس في خيمة الخاصة ، فتركوهما نائمين وخرجوا ، فذهبت اليهما الان فلم اجدهما» .

قال : «لا اظنهما ينصرفان قبل ان يأخذا مكافأة ، ابحث عنهما جيدا حول هذه الفساطيط فقد اطربانا وحق علينا اكرامهما» .

فخرج الغلام وعاد ولم يعثر عليهما ، فأسف الامير لذهابهما وأوصى الغلام بأن يتحرى شأنهما في الغد لئلا يتهماه بالبخل . وانفض المجلس وذهب الامراء الى مضاجعهم ، وظل الامير شيبان وحده يدبر وسائل الاتصال بالامراء اليمنية في الغد .

اما شبيب فانه لما بعد عن معسكر الخوارج ، اختلى لتبديل ثيابه ، فعاد الى ما كان فيه من مظهر المجون ، ثم سار توا الى معسكر ابي مسلم . فوصل الى المعسكر وقد انقضى معظم الليل ، وأقبل على المنزل الذي ترك أبا مسلم فيه ولم يستغرب ان يجده مستيقظا الى تلك الساعة لعلمه بما هو عليه من السهر على شؤونه واليقظة لتنفيذها . فلما وقف بالباب دخل به الحارس على ابي مسلم ، فاذا به لا يزال بلباس النهار ، فاحتفل به وبش له وناداه قائلا : «اهلا بالضحاك ، عسى ان تكون قد وفيت بالعهد» .

فمد الضحاك يده وتقدم الى ابي مسلم باحترام والخاتم بين ابهامه والسبابة وقال : «هذا هو الخاتم يا مولاي أدى مهمته ، شكرا له ولصاحبه » .

فمد ابو مسلم يده وتناول الخاتم ، وقال : «بل الشكر لك ايها الهمام . هل ارسلت الرجل الى خوارزم ؟» . وكانت عادته اذا اراد قتل رجل ان يقول : «ارسلوه الى خوارزم» .

قال : «لم استطع ارساله الليلة ، لاني وجدت الدهقانة مترددة في تنفيذ الحكم لانها لم تتعود مثل هذه الامور» . وضحك .

فجاراه ابو مسلم في الضحك ، وقال : «لا بأس من الانتظار ، ولكن هل استوثقت من قيامها بالامر غدا او بعد غد ؟»

قال : «نعم ، فانها لما رأت الخاتم هان عليها كل صعب في سبيل مرضاة صاحبه» .

فأظهر ابو مسلم الاستحسان والاعجاب ، وأشار الى الضحاك ان يجلس وقال : «اذا وفقت الى ما تقول وفتحنا مرو ، كان لك عندنا مقام رفيع ورتبة عالية» .

فشكر الضحاك هذا التلطف ولم يجلس ، وقال : «ان اسمى ما تتوق اليه نفسي ان اكون حائزا على رضا مولاي . واذا أذنت لي في الانصراف الان ذهبت لاتمام امرك» .

قال : «لا تعجل في الامر لئلا يفسد علينا تدبيرنا ، ولا اظن الدهقانة توفق الى التنفيذ قبل جلسة اخرى تقنعها فيها بلباقة ومهارة ، وهي الان لا شك نائمة ، فالاحسن ان تبيت الليلة عندي فاذا طلع النهار قمت بمهمتك» .

فأظهر الطاعة وهو يفضل الذهاب لاتمام ما ابرمه مع شيبان ، ووقف لا يحير جوابا ، وسكت ابو مسلم وأخذ يخطر في الغرفة ذهابا وايابا، فعلم الضحاك انه يعمل فكرته في امر مهم . فظل ساكتا مؤملا ان يرجع عن استبقائه عنده . وبعد هنيهة وقف ابو مسلم بجانب الضحاك فجأة وألقى يده على كتفه متلطفا ، فاستأنس الضحاك بهذا التحبب وأصاخ بسمعه لما سيقوله ابو مسلم فاذا به يتفرس في عينيه تفرس مستطلع ، ثم قال بعبارة ناعمة : «أشاعر انت حقا بمنزلتك عندي وعظم ثقتي بك ؟»

وكان الضحاك قد أوجس خيفة من تحديق ابي مسلم وصدق فراسته

ـ ويكاد المريب يقول خذوني ـ فلما سمع منه هذا التلطف سرى عنه وقال : «كيف لا اشعر بذلك وقد اعطيتني خاتمك وعهدت الـــي بأسرارك » .

قال : «لا يزال عندي سر اخر .. هل آكاشفك به ؟»

قال : «لك الامر ، اما انا فطوع مشيئتك» .

قال : «اجلس اذن واصغ» . قال ذلك وأجلسه ويده على كتفه . فجلس الضحاك وهو يتطاول بعنقه ليسمع ذلك السر الجديد لعله يساعده في غرضه .

* * *

فلما جلسا قال ابو مسلم بصوت منخفض : «انك ولا شك تعلم عدد من معي من رجال خراسان ، وكلهم طوع بناني ، ولكننـــي لا أثق الا ببعضهم ولا أسلم سري الى احد منهم ، وقد خطر لي في هذه الساعة خاطر اردت ان استشيرك فيه لما آنسته من اخلاصك وصدق خدمتـــك ودهائك ، وان كنت تتظاهر بالبله والمجون فأنت اهل للمراتب العالية . وقد حفظت امر تواطئنا على قتل ابن الكرماني فلم يعلم به حتى خالد بن برمك وسليمان بن كثير ، مخافة ان يطرأ ما يفسد علينا تدبيرنا ، وقـــد خطر لي الان امر زادني خوفا من الفشل» .

قال : «وما هو يا مولاي ؟»

قال : «اذا نحن قتلنا ابن الكرماني ، فمن يضمن لنا انصياع رجاله الينا وهم عرب ونحن فرس . ألا تظنهم ينحازون الى غيرنا ؟»

فتجاهل الضحاك وقال : «والى من يا مولاي ؟ أما انحيازهم الى نصر فأمر بعيد لانه قتل اميرهم الكبير» .

فقطع ابو مسلم كلامه قائلا : «انا أعلم انهم لا يحبون نصرا ، ولكنهم

قد ينحازون الى الخوارج المعسكرين هنا • اصدقني لانك عربي وتعرف أغراض العرب • ألا تظن أمراء اليمنية يؤثرون العرب علينا ؟»

فأطرق الضحاك وقد وقع في حيرة لا يدري بماذا يجيب واستغرب السؤال ، ولكنه تجلد وتظاهر بالسذاجة وقال : «أظنهم يفضلون العرب» •

قال : «خطر لي خاطر أستنصحك فيه . فاما ان توافقني عليه او ندفنه هنا لا يعلم به احد» •

قال : «اني طوع امرك يا مولاي» •

قال : «علمت من اصحاب الخبر الذين بثثتهم في معسكر الخوارج منذ قدومي الى هذا المكان انهم ينوون محالفة نصر بن سيار صاحب مرو على حربنا وحرب ابن الكرماني . فبدا لي الان ان أحالف هؤلاء الخوارج على نصر وابن الكرماني ، فاذا قتلنا هذا جعلنا قيادة العرب اليمنية كافة الى الامير شيبان ، على ان يكون حليفنا على نصر ، لان الهدف الذي نرمي اليه بدعوة الامام انما هو اخراج الخلافة من بني أمية ، وليس الغرض ان نفتح مرو او غيرها من مدن خراسان • وهذا سر عميق لو علمت ان طائرا تنسم ريحه قتلتك وأنت تعلم اني أقتل على التهمة بأمر الامـام » •

فتوسم الضحاك من وراء هذا السر خيرا كبيرا يعود عليه ، فأقبل على ابي مسلم وقال : «اذا كنت ترتاب في صدق نيتي فاقتلني حالا» •

فابتسم ابو مسلم وقال : «علمت مكنونات قلبك ، ولكن ليطمئـن قلبي ، فاعلم اننا نرمي من وراء فتحنا مرو الى اخراجها من سلطان بني أمية ، ولا يهمنا من يتولاها بعدهم ، واني اخشى من الخوارج ان ينضموا الى رجال ابن الكرماني بعد قتله فيتبعونا ، ولاسيما اذا حالفـوا نصرا صاحب مرو • فهل من سبيل الى اميرهم شيبان ، هل تعرفه او تعـرف احدا يتوسط بيننا وبينه لنبرم اتفاقا يقينا شر ما نخافه ؟»

فلما سمع الضحاك قوله ، استبشر بالفوز وأيقن بنجاح مسعاه من أهون سبيل فقال : «اما الامير شيبان فاني أعرفه ، وهب اني لا أعرفه فلا أعدم وسيلة اليه . واذا جاز لمثلي ان يبدي رأياً بين يدي صاحب دعوة الامام ابراهيم ، فهو ان أهنئك بهذا الرأي السديد ، ولاسيما بعد ان علمت الغرض الاساسي من القيام بهذه الدعوة ، لان هؤلاء الخوارج لا يطمعون في اكثر من الاستيلاء على مرو . فاذا كان استيلاؤهم عليها برضاك كانوا عونا كبيرا لك في سائر الفتوح ، ولا يخفى عليك انهم يكرهون المضرية اكثر من كرههم الفرس ، فاذا حالفتهم نصروك وخدموك » .

فأظهر ابو مسلم الارتياح الى نصيحة الضحاك ، وقال : «علينا اذن ان تتصل بالامير شيبان . ولكني لا اثق بأحد سواك ، فهل أعهد بهذا الامر اليك ؟ »

قال : «اذا كنت واثقا مني فأنا أطوع لك من بنانك» .

قال : «لا اثق بأحد سواك فامكث عندنا الليلة ، وفي الغد أبعث معك برسالة تذهب بها الى الامير شيبان» .

فقال : «سمعا وطاعة» .

قال : «فاذهب الان الى فراشك في هذه الغرفة . (وأشار الى غرفة بالقرب من المكان) ، وفي صباح الغد أهيىء لك الكتاب» .

فأشار مطيعا وذهب الى فراشه . واستيقظ في الصباح فاذا بخادم يدعوه الى ابي مسلم ، فهرول حتى وقف بين يديه ، فدفع اليه كتابا مختوما وقال : «لا أريد ان يطلع عليه احد من رجالي ، فاذهب به من هذا الطريق (وأشار الى طريق غير الذي اعتاد المجيء منه) ..»

- ٩ -

فتح مرو

تناول الضحاك الكتاب وخبأه ، ثم ودع أبا مسلم وخرج في لباس المجون من الجبة والعمامة المنحرفة والنعل في يديه ، ومشى من وراء الخيام حتى توارى عن ابي مسلم ، ثم عرج ليدور من وراء المعسكر وهو يسرع في خطواته ، فرأى بضعة فرسان عرف من لباسهم انهم من رجال ابي مسلم ، فتجنبهم مخافة ان يسألوه ، ولكنهم ظلوا يركضون أفراسهم نحوه ، فما لبثوا قليلا حتى احدقوا به . وأشار احدهم الى رفاقـــــه فانقضوا عليه ، فوقف وسألهم عما يريدون ؟ فابتدره رجل منهم ملثـــم وسأله : «من الرجل ؟»

فتحير ولم يدر بماذا يجيب ، فقال : «اني عابر سبيل» .

فقال له : «ليس هذا سبيل للعبور ، قل من انت وما شأنك ؟»

قال : «لا شأن لكم بي فاني سائر في مهمة» . ولم يجسر ان يخبرهم عن مهمته .

فهم به بعضهم فشدوا وثاقه ، وقالوا له : «اما ان تخبرنا عن شأنك ، واما فانك أسير عندنا» .

قال : «سيروا بي الى الامام ابي مسلم لتعلموا من انا» .

قالوا : «لا نسير بك اليه ما لم تخبرنا» .

فصاح فيهم : «اذا لم تسرعوا بي اليه فانكم نادمون» .

فقالوا : «اذا كنت رسولا فأين الكتاب الذي انت ذاهب به ، والا فأنت عدونا» .

فطال الجدال بينه وبينهم وهو لا يجسر ان يذكر الكتاب الـــذي

يحمله ، فأطاعهم خوفا على حياته وهو يهددهم بما سيلاقونه من غضب ابي مسلم اذا لم يطلقوا سراحه ، فأجابه الفارس الملثم قائلا : «سأرسل فارسا يطلع الامير على امرك ، فاذا أمر باطلاقك أطلقناك» .

فرضي الضحاك بذلك وأذعن لهم فساقوه الى خيمة على أكمة تشرف على معسكر ابي مسلم ، فوقفوا به هناك حينا وهو يتوقع رجوع الرسول حالا فشاعت عيناه وهو ينظر الى المعسكر وقد توارى الرسول عن بصره وراء التلال والخيام ، ثم اذا به يرى حركة في معسكر الخراسانيين ، وسمع بعدها قرع الطبول ونفخ الابواق ، وتطلع فرأى الخراسانيين على خيولهم وقد شرعوا الأسنة وساروا والاعلام السود تتقدمهم يعلوها لواء الامام ورايته ، وقد رفعا بضع أذرع فوق سائر الاعلام . فأيقن ان الخراسانيين يهاجسون مرو ، ثم رآهم وقفوا تجاه المدينة فاستغرب وقوفهم . وأجال بصره في مرو ، فرأى أعلام ابن الكرماني تخفق على الفرسان اليمنية ، وقد ركب رجال ابن الكرماني وقرعوا طبولهم وشرعوا أسنتهم وأقبلوا على مرو من جانب اخر . فظن ان رجال الكرماني لصد الخراسانيين ، ثم ما لبث ان رآهم يسيرون نحو المدينة بعزم ثابت والسهام تتطاير فوق رؤوسهم . ولم تمض ساعة حتى دخلوها من احد جوانبها ، ثم اذا بأبي مسلم ورجاله قد دخلوها من الجانب الاخر فاستغرب الضحاك ذلك وزاد استغرابه حين رأى اللواء والراية قد غرسا بباب قصر الامارة في وسط مرو ، فعلم ان ابا مسلم قد دخلها . ثم رأى حامية المدينة يخرجون منها فارين ، وعرف من أعلامهم البيض انهم جند بني أمية . ورأى في جملة الهاربين جماعة من الفرسان عرف من قيافتهم انهم من كبار القوم ، واذا بأحد الفرسان الواقفين بجانبه يهتف قائلا : «هذا نصر بن سيار قد خرج هاربا» .

فرأى الضحاك شيخا جليلا معمما بعمامة بيضاء كبيرة وقد انبسطت

لحيته البيضاء على صدره وهو يهمز جواده طلبا للفرار وحوله بضعة من فرسانه ، فتحقق انه نصر بن سيار ومعه اهله ، وأدرك انه لم يفر الا وهو لا يرى حيلة في استبقاء المدينة ــ فلما رأى الضحاك ذلك كله ؛ دهش ونسي أسره وأعمل فكرته فيما كان يتوقعه من اتحاد اليمنية والخوارج على ابي مسلم ، واستغرب عجلة ابي مسلم في الفتح على حين انهما كانا على موعد من قتل ابن الكرماني قبل الفتح • وظل الضحاك واقفا مشرفا على مرو كأنها بين يديه ويراعي حركات الجند ، فما لبث ان رأى رجال الكرماني يخرجون من مرو الى معسكرهم ومعهم بن الكرماني نفسه ، وقد عرفه من رايته ، فاستغرب رجوعه الى معسكره بعد الفتح ، وتذكر جلنار في الحال وعلم انها في خوف ليس على حياتها ولكن على ان يفي ابن الكرماني بوعده ان يتزوجها بعد فتح مرو • ثم تذكر ما تواطأ هو وأبو مسلم عليه من قتل ابن الكرماني وضم رجاله الى رجال شيبان ، وتبادر الى ذهنه سوء الظن بأبي مسلم وخاف ان يكون قد خدعه ، على انه لم ير مسوغا لسوء الظن •

وفيما هو كذلك رأى فارسا جاء من اقصى مرو يسعى ، فعرف انه الرسول الذي كان قد ذهب الى ابي مسلم في شأنه عندما قبضوا عليه • ثم تقدم الرسول اليه مهرولا يقول : «لقد اسأنا اليك والى الامير» • وأخذ في فك وثاقه ، وقال لرفاقه الفرسان : «ان الامير لما علم بالقبض على هذا العربي غضب غضبا شديدا لانه كان قد أنفذه في مهمة ذات بال، وهو يقول لكم اكرموه وسيروا به اليه الان في قصر الامارة» •

فاطمأن الضحاك لما علم انهم قبضوا عليه خطأ ، وركب جوادا جاءوه به وسار معهم حتى دخلوا «مرو» • فشاهدوا الناس في هرج وأكثرهم رحون بالفتح لان جمهورهم من الفرس وكانوا يقاسون العذاب في ظل سلطة العرب المضرية ، وكان نصر قد اراد اصلاح ما أفسده أسلافه فلم

يستطع وذهب سعيه عبثا حتى خرجت مرو من يده • كان الخراسانيون قد ملوا حكومة العرب منذ تولاها بنو أمية وأخذوا يسومونهم سوء العذاب ، ويولون عليهم العمال ليأخذوا الخراج بأي وسيلة • وكان اهل مرو قبل الاسلام مجوسا ضربت عليهم الجزية ، فرغبوا في الاسلام غير مرة وأسلم كثيرون منهم ، ولكن بعض العمال كانوا يعدون اسلامهم حيلة للتخلص من الجزية فلا يرفعونها عنهم ويطالبونهم بها وهم مسلمون، فارتد كثير منهم لذلك مرارا • الى ان تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز ، وكان مسلما حقا فبعث الى عماله ألا يتقاضوا الجزية ممن أسلم • ومن اقواله في كتاب له الى الجراح عامله على خراسان وقد شكوه : «انظر من صلى قبلك ، فاعفه من الجزية» • فتسابق الناس الى الاسلام ، وقلت الجزية ، فكتب الجراح الى عمر بذلك فأجابه : «ان الله بعث نبيه محمدا داعيا ولم يرسله جابيا» •

على ان هذه النعمة لم تدم على اهل خراسان لقصر خلافة عمر • فلما قتلوه وولوا من خلفه ، عادت الامور الى ما كانت عليه •

★ ★ ★

وصل الضحاك الى قصر الامارة والناس يتدافعون عند بابه ، وفيهم الدهاقين والتجار والمشايخ والعلماء والصناع ، وقد اشتد الزحام وعلت الضوضاء • فلما رأوا فرسان ابي مسلم عرفوهم من قيافتهم ووسعوا لهم، فترجلوا ، ودخل اثنان ومعهما الضحاك حتى قطعوا صحن الدار الى الباب الداخلي الكبير ، فرأوا الناس يتسابقون اليه والحراس يوقفونهم ، وبالباب حارس من رجال ابي مسلم فحالما رأى الرجلين وسع لهما ومعهما الضحاك •

فلما وقف الضحاك بالباب ، رأى قاعة واسعة جلس في صدرها ابو

مسلم وفوق رأسه راية سوداء وعليه عمامة سوداء وثياب سود ، والى جانبه خالد بن برمك في مثل لباسه ، وبين يديه اثنا عشر اميرا باللباس الاسود عرف منهم : سليمان بن كثير ، وطلحة بن زريق • وعلم انهم النقباء الاثنا عشر الذين اختارهم الامام من السبعين نقيبا الذين قاموا بالدعوة العباسية في أوائلها ، فلما دخل الضحاك وقع نظر ابي مسلم عليه فابتسم له وأشار اليه ان يدخل ويجلس على كرسي في بعض جوانب القاعة ، فدخل وحده وانصرف الحارسان ، فشاهد في بعض جوانب القاعة ركاما من البرابط والعيدان وآنية الخمر والمزامير تركها الامويون في القصر عند فرارهم ، فقال الضحاك في نفسه : «تلك آثار الترف الذي يدمر اهله تدميرا» •

وكان ابو مسلم في شوراه مع نقبائه ، وما لبث ان اشار اليهم فتنحوا جانبا الا طلحة بن زريق ، فظل واقفا بين يدي ابي مسلم وأشار الى الحاجب ان يدخل الناس لاخذ البيعة أزواجا ، فدخل الفقهاء والعلماء ثم القواد والكتاب والاعيان والدهاقين وهكذا ، فرآهم الضحاك يدخل احدهم حتى يقف بين يدي ابي مسلم فيسلم عليه بالامارة قائلا : «السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته» • ثم ينادي بأعلى صوته ويقول وطلحة يتلو معه نص البيعة «أبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، والطاعة لاهل بيت الرسول رضي الله عنهم ، وعلينا بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشي الى بيت الله الحرام ، وألا نسألكم رزقا ولا طعما حتى يبتدىء به ولاتكم» • فاذا فرغ رجع وتقدم سواه • وكانوا يتسابقون الى ذلك وامارات البشر ظاهرة على وجوههم ، فتعجب الضحاك من ذلك ، واستاء في سره لما رآه من ترحاب اهل مرو بالخراسانيين ، وأيقن ان صاحبه شيبان لا يستطيع دخولها الان الا اذا حالف أبا مسلم ، وهذا لا يكون الا اذا قتل ابن الكرماني •

مضى معظم النهار في اخذ البيعة ثم وقف ابو مسلم وأشار الى طلحة ان يأخذ البيعة عنه بين يدي خالد بن برمك ، وتنحى الى بعض الغرف وأومأ الى الضحاك فتبعه . فلما دخلوا قال ابو مسلم : «لقد ساءني ما اصابك من جهل احد رجالي ، وقد كنت عازما على الانتقام منه امامك لو لم يتفق لنا ما سرنا في هذا النهار . ولعلك تستغرب فتح المدينة بمثل هذه السرعة على حين انني كنت عازما على التأجيل بضعة ايام ريثما تتم اتفاقنا مع الامير شيبان . ولكن سنحت لي في هذا الصباح فرصة خفت ضياعها ، ونجحت» .

وكان الضحاك جالسا على ركبتيه احتراما لابي مسلم ، ومع ما آنسه من انعطافه واقباله عليه اثناء الحديث بقي متهيبا اياه ، يظهر اصغاءه واهتمامه بمراعاة حركة فمه ، لانه لم يكن يستطيع التفرس في عينيه لحدتهما ولما ينبعث من نورهما الباهر وقوتهما الغالبة على الابصار والعقول . فلما انتهى ابو مسلم من كلامه ، أظهر الضحاك رغبته في سماع تتمة الحديث فقال ابو مسلم : «اما سبب هذه العجلة فان ابن الكرماني بعث الي في صباح اليوم بعد ذهابك رسولا يقول : (لقد آن فتح مرو فادخل انت ورجالك من ناحية ، وأدخل انا ورجالي من ناحية اخرى ، فتتسلم لمدينة على اهون سبيل) . فظننته يخادعني فبعثت اليه : (لست آمن من ان تجتمع يدك ويد نصر بن سيار على محاربتي ، ولكن ادخل انت فابدأ الحرب مع اصحاب نصر . ثم أدخل انا) . وقلت في نفسي : (اذا كان قد فعل ذلك حيلة فلا يطيعني والا فليحمل الخطر وحده) . فنهض برجاله وأنشب الحرب ، فأرسلت انا بعض رجالي ودخلوا المدينة من ناحية اخرى ففتح علينا ، فدخلت القصر وأمرت ابن الكرماني ورجاله بالخروج منها الى معسكرهم لكي نتمكن من مشروعنا الذي تعلمه» .

فذهل الضحاك لبأس ذلك الرجل ودهائه ، ونسي ما كان يتكلفه من

الضحك في تماجنه ، ولكنه خشي ان يخاله ابا مسلم شك في امره ، فتضاحك وقال : «انه لمشروع عظيم القدر ، فهل انت مصر عليه ؟»

قال : «اين كتابي الى شيبان ؟»

فمد يده وأخرجه ودفعه اليه ، فقال ابو مسلم : «اني لا ازال مصرا وربما زدت اصرارا بعد فتح مرو على يد ابن الكرماني ، فانه قد ارتفع في عيني نفسه فيظن له فضلا علينا فتحدثه نفسه ان يتحدانا . ولذلك فاني لا آمنه ولا بد من قتله لئلا يكون حجر عثرة ، وقتله سهل عليك بوساطة تلك الفتاة المفتونة . فاذا قتلته خلسة سعينا في ضم رجاله الى رجال الامير شيبان ثم أسلم اليه قيادة هذه المدينة وأمضي في عملي ، الا اذا كنت لا تثق بهذا الحروري وتخاف ان يخوننا اذا سلمنا الامر اليه» .

قال : «لا خوف منه فان عاهد وفى ، ولاسيما بعد ان ملكت ناصية الامر وبايعك الناس» .

فقطع أبو مسلم كلامه ، وقال : «ألم تلحظ ان البيعة كانت لاهل بيت النبي عامة لا لبني العباس ، لان الناس لم يعرفوا لبني العباس الحق في الخلافة بعد ، وانما هم يعرفونه لآل ابي طالب ، ولذلك جعلنا البيعة مشتركة فمن فاز من الرهطين استأثر بالخلافة . فهل يؤخر هذا الامير شيبان عن محالفتنا» . قال : «كلا يا مولاي ..»

فقال : «فابدأ اذن بقتل ذلك الاعور كما وعدتني ، ولا تظن احدا ينال من المقام عندنا ما ستناله ، وسأطلع الامام على فضلك» .

قال : «اني لم اقم الا ببعض ما يجب ، ولا أتوقع جزاء غير رضاك» .

قال : «هل تقتله الليلة ؟» . قال : «سأبذل جهدي» .

قال : «أريد ان يكون قتله سرا بحيث يظن رجاله انه مات موتا طبيعيا » .

قال : «اطمئن يا مولاي» . ونهض الضحاك وحيى ، ثم هم

بالخروج ، فوقف ابو مسلم لوداعه وقال له : «عرج بابراهيم الخازن لعله ينفعك في هذه المهمة» . فلما سمع اسمه تذكر الليلة التي لقيه فيها في بيت الدهقان وهو يعلم مكره وضعف ذمامه فقال : «اين هو ؟» . فأشار ابو مسلم الى غرفة اخرى ، فسار الضحاك اليها .

* * *

تركنا جلنار بعد ذهاب الضحاك جالسة في فراشها ملتفة بالمطرف غارقة في لجج الهواجس ، تفكر فيما سمعته منه ، وكلما تصورت اقدامها على قتل زوجها ارتعدت فرائصها واقشعر بدنها . وكانت ريحانة تلاحظ اضطرابها ولا تلومها لعلمها بهول الموقف على فتاة مثلها . ثم غلب عليها النعاس فنامت ، ولم تستيقظ في الصباح الا على قرع الطبول ونفخ الابواق ، فذعرت ونادت ريحانة لتستفهم عما حدث فقالت لها : « ان الجند يتأهبون للهجوم على مرو» . فخفق قلبها وتوكأت على ريحانة حتى أطلت من الخباء ، فشاهدت مثل ما شاهدته في المرة الماضية ، وكانت قد ألفت المنظر فلم يكن خوفها مثله في تلك المرة . ثم ما لبثت ان رأت ابن الكرماني قادما نحوها وهو مدجج بالسلاح وسيفه مجرد بيده ، فلما رأته مقبلا توارت حياء فناداها وصاح قائلا والسيف بيمينه : «ابشري ايتها الدهقانة اننا فاتحون مرو اليوم وسنبيت الليلة في قصر الامارة ان شاء الله» .

فخجلت وساءتها البشرى ، فتراجعت واستترت وراء ريحانة ، فأجابت ريحانة قائلة : «نصرك الله على اعدائك وبلغك مرادك» .

فاكتفى علي بذلك وهجم ورجاله في أثره ، فلما بعدوا قالت ريحانة لسيدتها بالفارسية : «اني ارى الخراسانيين ايضا هاجمين» . فأطربها ذكر الخراسانيين لان ابا مسلم فيهم ، وتقدمت بحيث ترى ذلك الجند فاذا

هم يزحفون على مرو من الجهة الاخرى . فقالت : «اذا فتحوا مرو فانما يفتحونها ببسالة ابي مسلم ، اين هو يا ترى ؟»

فتطاولت ريحانة وجعلت تحدق بنظرها في الجند حتى وقع بصرها على الراية واللواء وهما يناطحان السحاب علوا فقالت : «ينبغي ان يكون ابو مسلم هناك» . فحدقت جلنار ببصرها فرأت ابا مسلم وعرفته من طوله ولون فرسه ولباسه الاسود فتهلل وجهها فرحا ، ولكنها ما لبثت ان أوجست خيفة عليه من النبال المتساقطة .

ثم رأت عليا دخل مرو من ناحية ودخل ابو مسلم من ناحية اخرى ، فتحققت فوزهما ، ولم تدر أتفرح بذلك الفتح ام تحزن ، لانها تذكرت وعد ابن الكرماني انه لا يتزوج بها الا اذا فتح المدينة ، وتذكرت قول ريحانة انه لا يستطيع فتحها ، فالتفتت اليها وقالت : «كم قلت لي انه لا يقوى على فتح هذه المدينة ، وها قد فتحها ! ويلاه ! لقد دنا أوان الخطر» . قالت ذلك ورجعت الى غرفتها وجلست على الفراش وانفجرت باكية ، وتبعتها ريحانة وأخذت تخفف عنها ، فقالت جلنار : «اين هو الضحاك يا ترى ؟ لعله يستطيع تخفيف ما بنا ؟»

فقالت ريحانة : «لا يلبث ان يأتي وعنده الدواء الناجع لهذه الكارثة ! »

فأدركت جلنار انها تعرض بقتل ابن الكرماني ، فقالت : «ولكنه دواء أمر من العلقم ولا يمكنني شربه . كيف أقتل رجلا يحبني وان كنت لا أحبه » .

وآن وقت الغداء فتناولتاه وهما تتوقعان ان يبعث علي اليهما بالانتقال الى قصر الامارة ، واذا هما تسمعان دبدبة وصهيلا وضوضاء ، ثم علمتا ان جند الكرماني رجع عن مرو بعد فتحها فبقيت لابي مسلم وحده . ولم تفهما السر في ذلك ، فمكثتا تنتظران ما يكون ، وجلنار وجلة قلقة .

فلما رأت ريحانة قلقها ، قالت : «لا أدري لماذا تكرهين ابن الكرماني وهو يتفانى في هواك ويجل مقامك ، وقد أوتي النصر بفتح هذه المدينة وانتقم لابيه ؟!»

فأسرعت جلنار ووضعت يدها على فم ريحانة كأنها تمنعها من الكلام اشمئزازا واكتفت بذلك جوابا • فأدركت ريحانة انها لا تود الخوض في هذا الموضوع ، فسكتت وقد اخذتها الحيرة لا تدري كيف تنقذ سيدتها من هذه المشكلة • فتركتها في الغرفة وخرجت لتستطلع أحوال المعسكر بعد فتح مرو ، فوجدت الخيام لا تزال في اماكنها وقد أعيدت الخيول الى مرابطها وغرست الاعلام في مغارسها ، وتطلعت الى فسطاط الامير علي فاذا هو لا يزال كما كان والراية منصوبة ببابه وأمامه وفود المهنئين والمنشدين • وسرها عود ابن الكرماني الى مضربه لانها كانت تظنه سيبقى مع ابي مسلم في قصر الامارة فاطمأن بالها • وكانت الشمس قد مالت نحو المغيب ، فالتفتت الى ناحية مرو فرأت جماعة من الباعة خرجوا منها وفيهم من يحمل فاكهة او طعاما او ألعابا ليتكسبوا ببيعها في ذلك المعسكر ، بعد ان زال الحصار عن المدينة ، وشاهدت بين الخارجين رجلا طويلا قادما نحو الخباء ، فما لبثت ان عرفت انه الضحاك فاستبشرت بقدومه ، وأرادت ان تسرع الى سيدتها فأشار اليها ان تقف فوقفت •• حتى اذا دنا منها اومأ اليها فدخلت معه الخباء دون ان يراهما احد ، فقالت : «ما وراءك ؟»

قال : «هل من حيلة لنا في النجاة من ابن الكرماني غير قتله ، لقد فتح مرو ، وحق له الدخول بعروسه ، الا اذا كانت مولاتنا تؤثر الاقتران به ، وهذا يرجع الى رأيها» •

قالت : «انها لا تستطيع ذكر الاقتران به ، ولكنها في الوقت نفسه لا تتصور الاقدام على قتله !»

قال : «وأنت ايضا جبانة مثلها ؟»

قالت : «أتريد ان أقدم على قتله ، وكيف اقتله ؟»

فضحك وتماجن وقال : «وهل القتل صباغة او تطريز ..؟ ليس أسهل منه على الانسان ، ولا تظني ان المراد قتله بالمبارزة او المطاعنة وانما هي حسوة او لقمة وقضي الامر» .

فسكتت ريحانة ولم تدربماذا تجيبه ، ولكنها صعدت كتفيها كأنهـا تقول : «هذا لا يعنيني» .

فقال الضحاك والاهتمام باد في وجهه : «لا ينبغي ان نطاوع مولاتنا الدهقانة في ضعفها ، فانها لا تعلم شيئا من أمور هذه الدنيا . وهي مع ذلك تريد الوصول الى ابي مسلم ، والوصول اليه لا يكون الا بالنجاة من ابن الكرماني . وقد اتيتها بخاتمه تدليلا على رغبته ، فهي الان أحوج من ابي مسلم الى قتله لانه زوجها وقد قيدناه بعهده ألا يقربها الا بعد فتح مرو ، وها قد فتحها وتوافد عليه الشعراء والمهنئون وبلغ قمة مجده. فهل من سبيل الى دفعه الا بالموت ؟. وهل يتم ذلك الا بقتله سرا» . ثم سكت وحك ذقنه بسبابته ، ثم حك ما وراء اذنه وقال : «لا أكلفك ولا أكلف الدهقانة ان تتولى الامر مباشرة .. فأنا أدبر الحيلة ، ولكن ينبغي ان يكون ذلك في حضرتكما وأنا أسقيه الكأس بأسلوب لطيف . والاجدر ان تطلعي الدهقانة على هذا العزم . انما اطلب اليك ان تسهلي لـــي الوصول اليه بحيث لا يعلم احد بقصدي ؟»

فظلت ساكتة لا تعلم بماذا تجيبه ، ولكنها كانت أصبر على هذا الامر من جلنار ، وقد خبرت الدنيا طويلا .. على انها ما زالت مرتبكة لا تدري هل توافق الضحاك بغير استئذان سيدتها . فلما رآها الضحاك ساكتة ولاحظ ترددها ، قال لها : «قد فهمت ما يجول في خاطرك، لا تخافي . سيجري كل شيء ولا يشعر به احد ، فاكتمي هذا الامر عن الدهقانـة

وسترين كيف اقوم بمهمتي بلباقة وخفة» • قال ذلك ومشى وهو يقول : «سأعود قريبا ، واحذري من ان تبوحي بذلك الى احد» •

فعادت ريحانة الى سيدتها وهي تفكر فيما عسى ان تكون حيلة الضحاك وأسلوبه ، ولما دخلت على سيدتها سألتها عما كانت تعمله فأخبرتها بما شاهدته من بقاء معسكر ابن الكرماني على حاله بمرابطه وفساطيطه وسائر أحواله ، وان عليا في فسطاطه • وحدثتها نفسها بأن تبوح لها بما قاله الضحاك ، ثم امسكت وسكتت لترى ما يكون •

* * *

عاد ابن الكرماني بعد فتح مرو الى معسكره عملا بمشورة ابي مسلم ، وعاد معه الامراء اليمنية وقد سرهم الفتح بعد ان ابلوا فيه بلاء حسنا • ثم ذهب الى فسطاطه ليبدل ثيابه ويستقبل المهنئين ، وجال في خاطره ان يذهب لساعته الى جلنار ليريها نفسه عائدا من الفتح ويخبرها بأنه انتقم لابيه ووفى بالوعد • ولكنه أجل ذهابه الى ما بعد استقبال المهنئين والمنشدين في فسطاطه لئلا يتبعوه الى هناك ، فجلس في صدر الخيمة وجلس آمراؤه بين يديه وهم يعجبون ببسالته ، وكل منهم يذكر ما لقيه اثناء المعركة من الوقائع الغريبة • ثم أذن للشعراء فدخلوا وأنشد كل منهم ما جادت به قريحته • فاذا فرغ احدهم من الانشاد اشار الامير الى كاتبه ان يعطيه منحة ، على العادة الجارية ؛ وفيهم من ينشد قصيدته على الانغام الموقعة على الطنبور او العود او الدف • وقضوا في ذلك بقية يومهم الى ما قبل الغروب ، وقد طربوا جميعا الا عليا فقد نغصه غياب جلنار وود لو انها هناك لتسمع ما قيل فيه من المديح •

وفيما هو في ذلك سمع ضجيجا يتخلله دف ينقرون عليه نقرا خاصا

بالرقص • ثم دخل غلام يستأذن الامير في دخول راقص مضحك معه دب غريب الشكل ، وكان الغلام يستأذن الامير ولا يتمالك عن الضحك كأن الاعجاب أخرجه عن حد الاحتشام في حضرة الامراء • فقـال الامير : « يدخل » •

فدخل رجل طويل القامة عرف الامراء كلهم انه الضحاك خـادم الدهقانة ، وكانوا يستخفون دمه ويضحكون لرؤيته • فلما دخل القى التحية وتماجن ، فلم يتمالك الامير عن الضحك وصاح فيه : «ويلك ، متى صرت رقاصا» •

قال : «عندما فتح مولاي الامير مرو عاصمة خراسان ، فقد نذرت منذ صرت من أتباعه ان أرقص يوم الفتح وقد جئت لأفي بنذري» •

فضحك الامير وقد سره ان يسمع المديح من رجل ينتمي الـى الدهقانة • وكم من بطل خاض المعامع واستقبل النبال وعرض نفسـه لأشد الاهوال التماسا لابتسامة حبيب يحبه ، تلك هي لذة النصر فـي اعلى درجاتها • وأراد علي ان يسأل عن الدهقانة ثم احتشم لوجـود الامراء ، ولكنه استأنس بالضحاك كثيرا وقال : «هل انت الرقاص حقا ؟»

قال : «كلا يا مولاي ، ولكن معي دبا يرقص رقصا غريبا» •

قال : «اين هو ؟»

قال : «بالباب» • وصاح : «ادخل يا مبارك» •

فتوجهت أنظار الجميع الى الباب ، فسمعوا خشخشة الجلاجـل والاجراس • ثم دخل الغلام يقود رجلا بحبل في عنقه وعلى الرجل جلد دب يكسو صدره وساقيه الى القدمين ويغطي ساعديه الى الكتفين ، وقد ستر وجهه بوجه دب حتى لا يشك الناظر اليه في انه دب حقيقي ، وسد برجليه ويديه اجراسا ، وجعل حول عنقه جلاجل •

فلما دخل الغلام سلم المقود الى الضحاك ، فتناوله وجر الدب بعنف،

فدخل وأخذ في الرقص وهو يزمجر ويثب كما يفعل الدب تماما . فلم يبق احد من الجلوس الا أغرب في الضحك ، والضحاك يتفنن في اساليب المجون . فلما تمكن الطرب من الامير احتال الضحاك للاقتراب منه ، وقال بحيث لا يسمعه سواه : «لا ينقص هذا المجلس الا الدهقانة» .

فلم يتمالك الامير عند سماعه ذلك ان صاح : «يا ضحاك خذ هذا الدب وأرقصه في الخباء ، وأنا قادم اليكم» . قال ذلك ووقف وقد استخفه السرور وهاجت عواطفه وأسكره النصر ، فوقف الامراء احتراما . فمشى حتى خرج من الفسطاط والضحاك يسير بالدب امامه وقد خيم الظلام ، ولم يجسر احد من رجال ابن الكرماني ان يتبعه الى الخباء ، فمشى وحده وقد التف بعباءة من حرير وعلى رأسه عمامة صغيرة مزركشة زركشة جميلة ، وسار مختالا في مشيته ، حتى اذا أقبل على الخباء تنحى الضحاك ودبه كي يمر الامير فدخل وهو يقول : «اين عروسنا الدهقانة ؟ »

فتقدمت ريحانة وجلنار الى جانبها وعليها مطرفها ، وقد غطت رأسها بخمار من نسيج كشمير وردي اللون ؛ وعيناها تتلألآن من خلال الخمار، والحياء يغالبها ويزيدها فتنة وجمالا . فلما وقع بصره عليها ، حياها وقال: «لقد جئتك ضاحكا لاني انتقمت لابي وغلبت صاحب مرو على مدينته ، ففر فرار الانذال وسوف أقتله باذن الله» .

فأجابته ريحانة وهي تبتسم : «لقد كنا على يقين من فوز الامير على عدوه لما نعلمه من بسالته وشدة بطشه ، فنحمد الله على ذلك» .

ثم اشار الامير الى الدهقانة بالجلوس وهو يقول : «وغدا ندخل قصر الامارة» .

فجلست جلنار مطرقة لا تتكلم ، فكان سكوتها أفصح من الكلام ، وظلت ريحانة واقفة ، فجلس الامير وأشار اليها ان تجلس، فتنحت وأرادت

الجلوس في بعض جوانب الغرفة ، فأمرها ان تجلس بالقرب من سيدتها، ثم صفق ونادى الضحاك فدخل وهو يقود الـــدب وراءه . فلما رأت ريحانة الدب لم تتمالك عن الضحك لغرابة منظره ، فوقف الضحـــاك والدب بجانبه ، ثم أمره علي ان يرقصه ، فجره بالمقود فلم ينتقل مـــن مكانه فصاح فيه : «ارقص ولا تخجلنا بين يدي الامير» . فلم يتحرك .

فضحك الضحاك حتى كاد يستلقي ، والتفت الى الدب وقال له : «كأنك تستحيي ان ترقص امام النساء» .

فلم يبق احد هناك لم يغرب في الضحك ولاسيما ابن الكرماني فانه قهقه قهقهة عالية ، فتظاهر الضحاك بالغضب من الدب وشده ثانية فظل واقفا كأنه صخر ، فتقدم نحوه ووضع أذنه على فمه كأنه يتلقى اوامــره سرا ، وصبر هنيهة ثم تراجع وهو يضحك ويقول : «لم اكن أعلم ان الدب يشرب الخمر قبل الان» .

فالتفت ابن الكرماني الى الضحاك وقال : «قد يكون اعتاد المسكر من صحبة رجال بني أمية في مرو ، فقد رأينا في قصورهم مئات من آنية الخمر على انواعها ، وأما نحن فلا نشرب غير النبيذ فاسأله هل يريـــد نبيــذا ؟»

فعاد الضحاك الى مسارة الدب ، ثم تحول عنه وقال : «لقد رضـــي بالنبيذ ليس ذلك غريبا ؟ وأغرب منه انه لم يطلب النبيذ الا في الخباء» . وضحك .

فقال ابن الكرماني : «يظهر ان دبك ألطف ذوقا منك ، وليس النبيذ محرما ولاسيما في مثل هذا المجلس ، هات النبيذ يا غلام» .

ولم تمض هنيهة حتى جاء الغلمان وهم يحملون مائدة عليها أصناف من نبيذ التمر والتفاح وغيرهما في اباريق الرصاص وحولها الاقداح من الزجاج الصافي الملون ، وأوعز ابن الكرماني الى الساقي ان يدير الاقداح

على الحضور • فجاء غلام ممنطق بمئزر من حرير وتناول قدحا صب فيه نبيذا وقدمه الى الامير ، فتناوله وقدمه الى الدهقانة فاعتذرت عن شربه فألح عليها فشربت بعضه وأعادته اليه فشربه ، وأمر الساقي ان يصب ويسقي الضحاك ودبه ففعل • ولما تقدم الى الدب أعرض هذا عنه ، فتقدم الضحاك يقول : «لقد بالغ دبنا في الدلال الليلة ، هات القدح» • وأخذه من الساقي وقدمه الى الدب ، فتناوله بكفه الغليظة وشربه وأعاد القدح الى المائدة وهو يخطو خطوات الدب المعروفة والجميع يضحكون • ثم عاد الى مكانه وأخذ في الرقص من تلقاء نفسه وأجاد وأبدع ، والضحاك يطاوعه في تنقله كأنه يرقص معه • ثم وقف الدب فجأة ، فقال الضحاك: «لا ينبغي لنا ان نغفل طلب صاحبنا» ، وأسرع الى قدح ملأه نبيذا وقدمه اليه • فتراجع ولم يمد يده فصاح فيه: «ما الذي تريده لقد أتعبتنا دلالا» •

فتقدم الدب نحو المائدة ومد يده الى الابريق فقبض عليه وجعل يصب في الاقداح حتى ملأها ، والناس ينظرون اليه وقلوبهم تخفق خوفا على المائدة وما فوقها من «لباقة» الدب ، فاذا هو قد ملأ الاقداح ولم يخطىء في واحد منها • ثم اخذها قدحا قدحا وقدمها الى الحضور فشربوا وهم مسرورون وشرب هو ايضا ، واستحسنوا لباقة هذا الساقي • فصاروا يطلبون منه ان يسقيهم فسقاهم مرارا ، وجلنار لا تشرب الا قليلا • ثم امسكت عن الشراب ، فظل الشرب مقصورا على الامير والضحاك والدب حتى انقضى هزيع من الليل وهم في ذلك ، وقد اخذ الطرب من الامير مأخذا عظيما • وعند ذلك تظاهر الدب بالسكر وأفلت من يد الضحاك وخرج من الخباء والقدح بيده ، فتبعه الضحاك وتظاهر بمراودته وأرجعه الى الخباء والقدح لا يزال في يده ، فتقدم نحو الامير فدفعه اليه وأخذ في الرقص • فتناول الامير القدح وشربه كالعادة ، ثم صب الدب قدحا وقدمه الى الضحاك فتناوله وشربه ثم صاح فيه : «ويلك لقد اكثرت من

الشرب وأصبحت خائفا على نفسي منك . وأخاف ألا يكون الامير متعودا الشرب الكثير فيضره ، فاني مع تعودي النبيذ أعواما اراني اشعر بدوار شديد» . قال ذلك وتظاهر بالسقوط على الارض وبأن الدوار غلب عليه وأحس بالميل الى القيء ، فتنحى وخرج من الخباء وتقايأ ثم تقيأ كل ما في جوفه غصبا والامير يضحك منه ويقول: «اني لا اشعر بالدوار مطلقا» .

وكان الضحاك قد ترك الزمام عند خروجه ، فأفلت الدب وخرج من الخباء وأركن الى الفرار . فأغرق الامير في ضحكه ، ودخل الضحاك دخول المدهوش وصاح : «اين الدب الملعون ، يظهر انه فر ، فوالله لأدركنه وأذيقه العذاب» . قال ذلك وأشار الى ريحانة اشارة خفية وخرج .

فأدركت ريحانة ان الضحاك قد أنفذ حيلته وسقى الامير سما، فنهضت متظاهرة بالدوار وقالت للامير : «ارى مولاتي الدهقانة قد تأذت من الشراب ايضا» . وأمسكتها بيدها وقالت : «ارى ان تذهب الى فراشها ، هل يأمر مولاي بالانصراف ؟»

فنهض وقد شعر بالدوار ايضا ، ولكنه تجلد وتظاهر بالقوة ووقف وهو يقول : «فلننصرف جميعا» .

وصفق فجاءه الغلمان وأسندوه وخرجوا به من الخباء الى فسطاطه وذهبت ريحانة بالدهقانة الى غرفة الرقاد . واشتغل الخدم في نقل آنية النبيذ من الخباء ، فلم تمض ساعة حتى خلا الخباء من الامير وغلمانه .

فلما خلت ريحانة بسيدتها ظهر عليها الاضطراب ، فاستغربت جلنار ذلك منها فقالت وهي تتوسد الفراش : «ما لي اراك مضطربة يا ريحانة ؟»

فأجابتها بالفارسية وهي ترتعد من التأثر وتحاول خفض صوتها : «أظنهم سموه يا مولاتي» .

فأجفلت جلنار وجلست تقول : «سموه ؟.. قتلوه ؟»

قالت : «نعم ، ألم تنظري الى الدب كيف تظاهر بالسكر وخرج من

الخباء ثم عاد والقدح في يده ؟» • قالت : «بلى» •

قالت : «أظنه خرج ليضع السم في ذلك القدح •• وفي صباح الغد يظهر فعله ونسمع بموت ابن الكرماني» •

فاقشعر بدن جلنار وصارت ترتجف من الخوف ، فابتدرتها ريحانة قائلة : «لا تستسلمي الى الضعف •• فان هذا أوان التعقل والدهاء وقد قضي الامر الذي كنا نخافه» •

فارتبكت جلنار وأعظمت الجريمة ، على انها كانت وهي في اسوأ حال من الاضطراب تشعر بفرح داخلي عميق لنجاتها من ابن الكرماني وتقربها من حبيبها •

فأخذت ريحانة تخفف عنها وتمنيها بقرب الاجتماع بحبيبها حتى سكن روعها وتظاهرت بالرقاد ولكنها لم تستطع نوما •

* * *

اما ابو مسلم فكان ساهرا في قصر الامارة ينتظر عاقبة ما بيّته لابن الكرماني وللضحاك معا بوساطة ابراهيم الخازن • فقد رأينا انه أوعز الى الضحاك ان يستعين بابراهيم الخازن على قتل ابن الكرماني ، فسار اليه واتفقا على ان يلبس ابراهيم جلد دب ليتمكن من دس السم لعلي في القدح • ولكن ابا مسلم اوصى ابراهيم بأن يقتل الضحاك ايضا • وكان قد كلفه كشف حقيقة الضحاك ليلة ذهابه الى شيبان ، فرافق القصاص وحمل الطنبور وتظاهر بالرمد وأسدل طرف العمامة على عينيه لئلا يفطن اليه احد • ولما كان شيبان وشبيب يتساران ، كان ابراهيم وراء خيمة شيبان يتظاهر بالنعاس ، وقد سمع كل ما دار بينهما ونقله الى ابي مسلم في تلك الليلة • فلما عاد الضحاك ليلتئذ خادعه ابو مسلم برغبته في محالفة شيبان ، ريثما يتمكن من قتل ابن الكرماني على يده ثم يقتله •

ولما أوصاه باصطحاب ابراهيم ، امر هذا بقتله فوضع له السم في قدحه كما فعل بابن الكرماني • ولكن طول أجله ساقه الى تفريغ ما في معدته ، وهو انما فعل ذلك لتنطلي حيلته على ابن الكرماني ويدفع التهمة عنه ، فنفعه ذلك اذ أخرج السم من جوفه قبل ان يؤثر في معدته • اما ابراهيم فظن انه قام بمهمته ، فطرح عنه جلد الدب وهرول مسرعا الى ابي مسلم ليزف اليه النبأ ، فوجده ساهرا في انتظاره فلما اخبره بما كان سر ابو مسلم وأثنى عليه ووعده بالجوائز الحسنى •

وأما الضحاك فقد كان متفقا مع ابراهيم على دس السم في قدح ابن الكرماني ، وأن يخرجا ليلتقيا في طرف المعسكر ويذهبا معا الى ابي مسلم ، فلما رأى ان ابراهيم افلت ، ظن انه فعل ذلك عمدا على ان ينتظره في المكان المتفق عليه فأسرع في اثره • ولكنه شعر في اثناء الطريق بطعم غريب في فيه ، وأحس بانحطاط في قواه ، فنسب ذلك الى تأثير الشرب، وخطر له انه ربما اصابه شيء من السم خطأ منه ، فعزم على سؤال ابراهيم • ولما وصل الى طرف المعسكر لم يجده ، فساء ظنه به ووقف يفكر فيما حدث في هذين اليومين ، فأدرك ان أبا مسلم خدعه وسايره حتى نال مراده بقتل ابن الكرماني ثم اراد قتله هو ليتخلص منه • لكنه لم ير سببا يدعوه الى ذلك لظنه ان ابا مسلم لا يعلم انه من أمراء الخوارج• فرأى ان يذهب الى ابي مسلم ويلقاه على حذر ، فسار الى قصر الامارة حتى اذا أقبل على باب القاعة سأل الحارس عن الامير فقيل له انه في غرفته ، فهم ان يستأذن في الدخول عليه ، ثم وقف يفكر ، وكان الحارس قد عرفه بالامس ورأى ما كان من احتفاء ابي مسلم به ، فجلس الضحاك اليه وأخذ يمازحه ويحدثه حتى اطمأن اليه • فسأله عن الامير ومن عنده، فقال : «عنده خازنه اليهودي» •

قال : «ألا يزال يهوديا حتى الان ؟»

قال : «يتظاهر بالاسلام والاسلام بريء منه ، فان هؤلاء اليهـــود فرحوا بالاسلام لانه نجاهم من ظلم الأكاسرة والقياصرة وأكسبهـــم الاموال من العرب لانهم يعدونهم ابناء عمومتهم» •

قال : «وهل ابراهيم مع ابي مسلم الان ام خرج من عنده ؟»

قال : «أظنه لا يزال عنده اذ لم يمض على دخوله زمن طويل» •

قال : «فهو مشغول الان» •

قال : «وهل تريد ان تلقاه ؟»

قال : «لا ، ولكنني كنت قد جئت اثناء النهار لأكلمه في امر ، فبعد ان جلست في هذه القاعة دخل بي الى غرفة اخرى من باب اخر • وقد تركت هناك كتابا كان معي ، وضعته قرب مجلسي ونسيته حينما نهضت. فهل تظنني اجده في مكانه » •

قال : «ينبغي ان يكون هناك ، هل أبحث لك عنه ؟»

قال : «لا يصح وأنت حارس ان تترك الباب ، اما اذا اذنت لي فاني أدخل للبحث عنه ثم اعود لاني أعلم بمكانه منك» •

قال : «ادخل واحذر ان تحدث صوتا يشعر به الامير» •

قال : «اطمئن» • وخلع نعليه فتأبطهما ودخل القاعة ، فمشى نحـــو الغرفة التي علم ان ابا مسلم فيها مع ابراهيم • فلما دنا من بابها سمـــع ابا مسلم يقول : «هل أرسلتهما حقا الى خوارزم ؟»

قال ابراهيم : «قد ارسلتهما الى خوارزم تنفيذا لامرك ، وأظنهما الان في عالم الاموات !»

قال : «اخشى ان تكون اخطأت ونسيت الحروري الذي كان يحسب انه نجح في خداعنا عليه لعنة الله ، بقي ان اعهد اليك بأمر يهمني ولك منه نفع كبير وأجر كثير» •

وكان الضحاك واقفا بالباب يتسمع ممسكا أنفاسه لئلا يسمع لهـــا

صوت ، ويوشك لعظم اضطرابه ان يسمع دقات قلبه ، وأحس بارتعاش قدميه ، فقعد القرفصاء وأصاخ بسمعه فاذا ابراهيم يقول : «بماذا يأمر مولاي ؟»

قال ابو مسلم : «بقي علي ان أتخلص من شيبان امير الخوارج ، فاذا قتلناه تبعثر جند العرب وخلصت الدولة لنا» .

قال : «هذا هو الصواب ، هل تريد ان أرسله الى خوارزم كما ارسلت ابن الكرماني وشبيبا الملعون ؟»

قال : «اخاف ألا تنطلي عليه الحيلة ، فليس لنا في داره فتاة مثل الدهقانة تيسر علينا العمل . فأرى ان نستقدم شيبان الينا بحجة التشاور في امر المحالفة ونقتله فيخلو لنا الجو» .

قال : «ذلك امر يسير اذا شئت فعلته» .

وساد السكوت . فخاف الضحاك ان يهم ابو مسلم بالخروج ، فأصاخ بسمعه فلم يسمع حركة ، فعلم انه يفكر ثم سمعه يقول : «اذهب الان ، وسأنبئك بماذا ينبغي ان تفعل» .

فأدرك الضحاك انهما خارجان فرجع القهقرى وودع الحارس وشكره ، ثم سار مسرعا حتى خرج من مرو ، ومشى الى معسكر الخوارج وهو يلعن ذلك اليهودي الذي كان سببا في فشله . فمر في طريقه بمعسكر ابن الكرماني ، فخطر له خاطر انشرح له صدره لما توهمه فيه من السداد . قال في نفسه : «لأذهبن الى أمراء اليمنية اصحاب الكرماني ، وأطلعهم على مكيدة ابي مسلم وكيف أغتال اميرهم وأحرضهم على محالفتنا» . ثم بدل ثيابه وأسرع الى فسطاط امير من اليمنية كان يعرفه ؛ فلما وصل اليه اعترضه احد الحراس فسأله عن الامير ، فقال : «انه ذهب الى مرو منذ ساعة» .

قال : «ولماذا ؟» . قال : «لان ابا مسلم دعا أمراء اليمنية جميعهم

اليــه » •

قال : «وهل ذهبوا جميعا ؟» • قال : «نعم» •

فبهت الضحاك لذلك الدهاء ، وتحقق ان ابا مسلم بعث اليهم ليكونوا في قبضته حتى اذا اصبح الصباح وعلموا بموت ابن الكرماني كان هو في مأمن من عصيانهم • ووقف برهة يفكر فيما ينبغي ان يفعل ، فلم ير حيلة غير الفرار بالخوارج الى ان يتسنى له سبيل للانتقام • فأسرع الى معسكرهم وهو يخاف ان يكون ابو مسلم قد دبر حيلة لايقاعهم وقد صار يرى ان هذا الرجل قادر على كل شيء ، فقصد الى شيبان حتى اذا أقبل على فسطاطه دخل وقص عليه ما وقع له وقال له : «لم يبق لنا أرب في البقاء هنا ، فانصرف برجالك الى مكان تلبث فيه عسى الله ان يحدث امــرا » •

فتردد شيبان في اول الامر ، ثم اقتنع فأمر بالرحيل ، وطلب مــــن الضحاك ان يصحبه فقال : «دعني أتدبر الامر ، فاني لن أرجع عن هذا الخراساني حتى أنتقم منه شر انتقام» • قال ذلك وخرج •

* * *

تركنا جلنار وقد استلقت في حجرتها تحاول الرقاد ولا تستطيعه لهول ما شاهدته تلك الليلة من الامر العظيم ، وريحانة الى جانبها تخفف عنها وتفكر في الورطة التي وقعتا فيها ، وتبحث عن حيلة تنجوان بها من ذلك المعسكر قبل ان يصبح الامراء ويعلموا بموت ابن الكرماني • فتذكرت الضحاك فقالت : «الآن وقت الضحاك ، انه لا يغيب الا عند الحاجـة اليــه» •

فقالت جلنار : «وأين هو ؟ لا أظنه يتركنا الليلة وهو يعلم ما نحــن فيه ، فلا بد من مجيئه عاجلا» •

فقالت ريحانة : «واذا لم يأت ؟»

قالت : «ألا ترين ان نحتال في الذهاب الى ابي مسلم في مرو ؟»

فأطرقت ريحانة هنيهة ثم قالت : «وما قولك في الرجوع الى بيت سيدي الدهقان ، فنقص عليه ما حدث فانه اذا علم بفوز ابي مسلم وموت ابن الكرماني •• فلا شك انه يرضى بأبي مسلم بعلا لك فتزفين اليه مكرمة معززة» •

فشق على جلنار ان تعود الى بيت ابيها وتبعد عن مقر حبيبها ، فقالت: «ولماذا ذلك ؟ ألسنا على مقربة من مرو ؟• وقد كان ابو مسلم يؤجل امرنا حتى يقتل ابن الكرماني ويفتح مرو ، وقد تم له ما اراد ، ولم يعد هناك ما يدعو الى التأخير ؟»

قالت : «لا أعلم يا سيدتي • فلو كان هذا قصده وقد علم بموت ابن الكرماني لوجب ان يرسل اليك من يحملك اليه الآن» •

قالت ذلك وأطرقت ، فرفعت جلنار نظرها وتفرست في وجهها لعلها تفهم شيئا مستترا وراء تلك العبارة ، فرأتها مطرقة وفي وجهها ملامح الارتياب فقالت لها : «وماذا تعنين ؟»

قالت : «لا أعني شيئا ، ولكنني اقول ما يجول بخاطري ، وأنت تعلمين اني اشد الناس رغبة في حفظ كرامتك • وان زفاف الفتاة من بيت ابيها لأحفظ لكرامتها ، غير اني لا أشك في مقاصد ابي مسلم ولكنني احسبه مشتغلا الان بتدبير شؤون ما بعد الفتح • فذهابك الى بيت ابيك والانتظار حتى يفرغ ابو مسلم من مهام الدولة لا يقلل شيئا من حبه لك او رغبته فيك» •

وفيما هما في ذلك سمعتا سعال الضحاك وسط الخباء فأجفلتا ، ثم هرولت ريحانة نحو مصدر الصوت وهي تتعثر بأذيالها من المفاجأة والفرح، وظلت جلنار في فراشها وقلبها يكاد يطير من شدة الخفقان ، ثم رأت

ريحانة عائدة يتبعها رجل غير الضحاك ، عليه قلنسوة طويلة بدون عمامة، وجبة سوداء طويلة مثل زي اهل خراسان، وقد اخفى شاربيه وقص اطراف حاجبيه وقطبهما وقص لحيته . ولكنها ما لبثت ان عرفت انه الضحاك متنكرا ، فهشت له كما تهش لاقرب الناس اليها وابتسمت وهي تقول : «لقد صدق ظني ، انك لا تتركنا على ما نحن عليه . ما الذي اصاب ذلك رجل ؟ أتظنه يموت ؟»

قال : «بل أظنه مات لاني رأيت اهل فسطاطه في هرج واضطراب» .

قالت : «فما العمل الان ؟»

قال : «ارى ان ترجعي الى بيت سيدي الدهقان» .

فلما سمعت ريحانة قوله التفتت الى سيدتها ولسان حالها يقول : «ألم اقل لك ذلك ؟»

قالت جلنار : «وكيف نذهب ؟»

قال : «نذهب بأخف ما عندنا ، وأنا أدبر ذلك على ان تكتمي امري عن كل انسان» .

فاستغربت وقالت : «ماذا تعني ؟»

قال : «أعني اني رهن اشارتك ولا ازال عبدك المطيع ، ولكنني لا احب ان يعلم احد في الدنيا اني على قيد الحياة ، ولا تسأليني السبب الان . اما اسمي الجديد فهو صالح ؟»

فقالت : «سأفعل ذلك ، فما العمل يا صالح ؟»

قال : «سأعد كل شيء حتى تتمكن من الرحيل في الصباح والناس في شاغل عنا» .

قالت : «ألا ترى ان نصبر الى الغد لعل ابا مسلم يبعث بمن يحملنا اليه ؟»

قال : «اذا شئت بقينا ، ولكنني لا ارى ابا مسلم باعثا اليك غدا ولا

بعد غد ! »

فلم تستغرب قوله لانها سمعت مثله من ريحانة ، لكنه لم يعجبهـــا فقالت : «وكيف لا يبعث الي وأنت قلت لي انه انما أخر اجتماعنا حتى يفرغ من الحرب ويقتل هذا المسكين على يدنا . وقد حدث هذا ، فهل من سبب اخر للتأجيل ؟»

فقال : «لا ، ولكن ابا مسلم اليوم في شاغل عظيم بأمر هؤلاء اليمنية بعد مقتل اميرهم ، فاذا لم يتلاف امرهم خاف عصيانهم او انحيازهم الى الخوارج . ومهما يكن الامر فان الذهاب الى بيت ابيك أحفظ لكرامتك، وليس ثمة ما يمنع ابا مسلم ان يطلبك من مولاي الدهقان فتزفين اليه معززة مكرمة» .

فأذعنت وأشارت اليه ان يفعل ما يشاء .

فقال : «مري الخدم بأن يطيعوني ، ولا تقولي لهم اني الضحاك» .

فأشارت الى ريحانة ان تفعل ما قاله . فخرجت ريحانة وقالت لقيمة الخباء : «لقد بعث مولانا الدهقان الليلة هذا الرجل ليرجع بنا اليه فـــي الصباح فاعملوا باشارته» . فأخذ الضحاك في الاستعداد للرحيل .

- ١٠ -

في مجلس ابي مسلم

كان الدهقان قد زوج ابنته بابن الكرماني طمعا في الكسب على يده، لاعتقاده بقوة الكرماني وكثرة رجاله ، ولاستخفافه بأبي مسلم لقلة رجاله

وصغر سنه ، وأضمر في قلبه انه اذا انقلبت الآية ورجحت كفة ابي مسلم تقرب اليه بالاموال والرجال . فكان لا يغفل عن استطلاع احـــوال الجنود المعسكرة حول مرو ، وكانت الاخبار تأتيه تباعا كلها تدل على نجاح الخراسانيين وتغلبهم . حتى اذا جاءه الخبر بدخول ابي مسلم مرو حليفا لابن الكرماني مع بقاء هذا في معسكره تحقق فوز الخراسانيين ولبث يتوقع فرصة يتقرب بها من ابي مسلم وهو يظنه غير عالم بزفاف جلنار الى ابن الكرماني ، فلما بلغه ان ابا مسلم دخل مرو ، بعث اليه بالهدايـــا والاموال ، وكتب اليه يهنئه بالنصر ، وأنه بذل جهده في جمـع كلمـة الدهاقين على نصرته . كل ذلك وهو لا يعلم بموت ابن الكرماني ، فلما جاءه الخبر بقدوم ابنته خرج لاستقبالها وقبلها ورحب بها مستغربـــا مجيئها ، ولما سألها في ذلك لم تتمالك عن البكاء ، فأجابته ريحانة انهـا ستطلعه على السبب في خلوة . فأخرج من في حضرته من الناس ، فقالت ريحانة : «ان مولاتي الدهقانة تبكي حرقة على سوء حظها» .

قال : «ولم ؟ ماذا جرى ؟»

قالت : «ان خطيبها توفي في هذا الصباح فجأة» .

قال : «علي بن الكرماني مات ؟» . قالت : «نعم يا سيدي» .

فأطرق يحك ذقنه ويعمل فكرته وقد ثبت عنده انتصار الخراسانيين وفشل العرب فذهبت بقية آماله فيهم ، ونظر الى جلنار فاذا هي مطرقة تبكي ، فظنها تبكي زوجها وهي انما تبكي شوقا لحبيبها وضياع آمالها ، لانها كانت تتوقع ان ترى منه اهتماما بأمرها . فلما رآها الدهقان تبكي، رق لها وقال : «لا تبكي يا جلنار ولا بأس عليك» . ثم وجه خطابه الى ريحانة وقال : «سمعتك تسمين ابن الكرماني خطيبا وأنت تعلمين اننـا عقدنا له عليها وزففناها اليه» .

قالت : «نعم ولكنه لم يدخل على سيدتي بعد» . وحكت له ما كان

من اشتراطه على نفسه فتح مرو قبل ذلك ، وأنه مات غداة الفتح •

فلما علم بذلك انقشعت غياهب الفشل عن قلبه ورأى في عودة جلنار اليه بابا جديدا للتقرب من ابي مسلم لاعتقاده ان ابا مسلم يرغب في مصاهرته • فنظر الى جلنار وهو يبتسم تخفيفا لاضطرابها وقال : «لا بأس عليك ، اني سأعوضك من ابن الكرماني من هو خير منه وأقرب الينا وطنا ولغة وعادة» •

فأدركت جلنار انه يشير الى ابي مسلم ، فسري عنها ، وانتعشت آمالها لان اباها صار عونا لها في الوصول الى حبيبها ، فأمنت ما كانت تخشاه من زواجها بأبي مسلم بغير علمه او رضاه • فلما سمعت كلامه قالت : «بارك الله لي فيك من اب رحيم» •

فأشار اليها ان تذهب الى غرفتها لترتاح من وعثاء السفر ، فنهضت وريحانة معها فسأل ابوها : «وأين الضحاك اني لا اراه معكما ؟»

قالت ريحانة : «لا ندري ما اصابه ، فقد ذهب بالامس ونحن بعد في معسكر ابن الكرماني ثم لم نره بعد ذلك» •

قال : «وكأني رأيت معكما رجلا عليه القلنسوة والجبة ، فمن هذا ؟»

قالت : «هو رجل من اهل مرو اسمه صالح ، جاءنا به ابن الكرماني يوم الفتح وأضافه الى الخدم بدلا من الضحاك ولا بأس به» •

ومشى الدهقان والدهقانة ، وعاد كل منهما الى حجرته وفي نفسه انه خدع صاحبه • وأخذ الدهقان يفكر في السبيل المؤدي الى نيل الحظوة في عيني ابي مسلم بعد ان اصبح له الامر في خراسان ، فاعتزم بعد طول التفكير ان يزوجه ابنته ، على ان ينتظر جوابه على تهنئته التي كتب بها اليه يوم الفتح • ولبث في الانتظار يومين ، وفي اليوم الثالث جاءه رسول ابي مسلم ومعه كتاب يثني به عليه ويستقدمه اليه ليقيم عنده • فلما تلا الكتاب أسرع الى جلنار وأطلعها عليه ، فكان سرورها اعظم من

سروره ولكنها احبت ان تستوثق من امر مسيرها معه فقالت : «وهل عزمت على السفر الى مرو ؟»

قال : «وهل استطيع غير ذلك ؟»

قالت : «ومتى تذهب ؟» • قال : «ربما ذهبت غدا» •

قالت : «ألا تحمل اليه الهدايا والاموال ؟» • قال : «لا بد من ذلك، لان الرجل اصبح ملك خراسان ، وأرى دعوته ناجحة لا ريب فيها ، فيجب ان نبذل جهدنا في التقرب منه • وأرجو ان تساعديني على ذلك» •

قالت : «انا فتاتك ورهن اشارتك» •

قال : «اذا أطعتني لم يبق شك في فوزنا ،لان النصر حالفه ، وقـد اخبرني رسوله حامل الكتاب بأن الخوارج رحلوا عن مرو ، وان الذين بقوا أحياء من رجال الكرماني انضموا الى جند ابي مسلم ، فهو الان زعيم القوم وأمير مرو ، ولا يلبث ان تذعن له بلاد خراسان وما وراءها• فالتقرب منه غنم لا شك فيه» •

فأدركت انه يشير الى امر زواجها منه ، فقالت وقد أشرق وجهها سرورا رغم ما تكلفته من السذاجة : «انني لم أخالفك في امر علي بن الكرماني وهو بعيد عنا جنسا ولغة ، فكيف أخالفك في امر خراساني هو كما وصفته» •

قال : «بورك فيك من ابنة مطيعة حكيمة» • وضمها الى صدره وقبلها ثم قال : «سأذهب في الغد وأغتنم اول فرصة لأكلمه في شأنك ، ثم أبعث اليك فتأتي بموكب يليق بمقامنا» •

فعلمت انه لا ينوي اصطحابها ، فرضيت بما اراده وانتعشت آمالها فأظهرت الارتياح ولكنها كانت تفضل الذهاب معه فقالت : «وما ضرك لو ذهبت معك فأدخل مرو وأتفرج ريثما يتم لك ما تريد» •

فأطرق لحظة ثم قال : «لا بأس من ذهابك معي ، فأنزلك عند صديق

لي من دهاقين مرو أعهده يقيم بقصره بجوار دار الامارة» •

ففرحت جلنار وظهر الفرح في وجهها ، فأمر الدهقان خازنه بأن يعد الاموال ليحملها معه الى مرو ، وأن يعدوا الهدايا من الرقيق والثيـــاب والاشياء الثمينة •

وفي صباح اليوم التالي ركب في كوكبة من الفرسان ، وجعل الهدايا في جملة تسير في أثره ومعها هودج جلنار وريحانة ، ومشى صالح مع الخدم • وفي الضحى وصل الموكب الى مرو يتقدمه رسول ابي مسلم • فدخلوا المدينة وساروا حتى أقبلوا على دار الامارة ، فأمر الدهقان ان ينزلوا جلنار في قصر صديقه بقرب الدار فأنزلوها ، وترجل هو ورجال حاشيته يمشون بين يديه وعليهم الالبسة الفاخرة وبمناطقهم السيـــوف المحلاة بالذهب ، حتى اقبلوا على باب القصر وعليه الحراس ، فاستأذنوا للدهقان في الدخول فأذن له ان يدخل وحده ، وأن يتحول رجال حاشيته الى دار الاضياف فدخل الدهقان وعليه قلنسوة حولها عمامة موشـــاة بالذهب وقد ارتدى جبة من الخز فوقها مطرف من الحريـــر المزركش يساوي مالا كثيرا • ونزع سيفه ودفعه الى بعض الخدم السائرين بين يديه •

دخل القصر ومشى في الصحن الداخلي حتى وصل الى القاعة التي ينعقد فيها مجلس ابي مسلم ومعه نقباؤه وقواده • وهناك وجد فـــي صدرها ابا مسلم على كرسي ، والى جانبه خالد بن برمك وسليمان بن كثير وجماعة من النقباء ، فرحب به ابو مسلم وأمر له بالجلوس بين يديه، فجلس وأعاد التحية ، فقال له ابو مسلم بالفارسية : «نشكرك على هداياك ايها الدهقان» •

قال : «لم أهد شيئا وانما قدمت ما يجب» •

قال ابو مسلم : «بل انت تفضلت ، ولا ننسى ضيافتك يوم نزلنـــا

عنــدك» •

فانشرح صدر الدهقان لذلك الاطراء وقال : «كل ذلك واجب قمت به لان نصرة دعوتكم فرض على كل خراساني او فارسي» •

فنظر ابو مسلم الى خالد فرآه ينظر اليه ، ثم حولا نظرهما الـــى الدهقان فاذا به يزداد تصدرا ويده في لحيته يمشطها بأنامله ، فقال له ابو مسلم : «هل كنت عالما بذلك قبل الان ؟»

فاستغرب الدهقان السؤال وأوجس خيفة منه لعلمه ان ابا مسلم قليل الكلام كثير المعاني ، فقال : «كيف لم اكن اعرفه ؟ ألا تذكر مجلسنا تلك الليلة يوم تليت علينا وصية الامام وتعاقدنا على نصرة هذه الدعوة لانها أمانة في عنق كل فارسي ؟»

قال : «أتذكر نص الوصية ؟»

قال : «أذكر فحواها» •

قال : «وما فحواها ؟»

فأجفل الدهقان من تدقيقه وازداد خوفا مما وراء ذلك ، ولكنه أسرها في نفسه وقال : «أذكر انه يوصيك بألا تبقي في خراسان لسانا عربيا ، وأن تقتل من شككت فيه» •

ونظر ابو مسلم الى الدهقان متفرسا ، فلم يطق الدهقان صبرا على تلك النظرة خوفا من عواقبها وأطرق ، فقال له ابو مسلم : «وهل عملت بهذه الوصية ؟• وهل سعيت معنا على العرب اعدائنا ؟» • قال ذلك بلهجة المرتاب وتجاهل العارف •

فتجلد الدهقان وقال : «كيف لا وأنا لم أدخر وسعا في بذل الاموال واستنهاض الدهاقين لنصرة هذه الدعوة» • وكان الدهقان يظن ابا مسلم غير عالم بزفاف جلنار الى ابن الكرماني • فقال ابو مسلم : «أمن نصرة العجم على العرب ان تزف ابنتك الى ابن الكرماني ومعها الهدايا مــــن

الرقيق والمال ؟»

فوقع الرعب في قلب الدهقان ولم يدر كيف يجيب ، ورقصت لحيته وارتعشت اناملة وبدت الحيرة في وجهه ، ولكنه تجلد وقال : «ان زفاف ابنتي الى ذلك العربي انما كان قبل مجلسنا الذي اشرت اليه» •

فقال : «ألا تذكر ان الفتاة كانت في بيتك ليلة ذلك الاجتماع وقد جالستنا ؟ »

فارتبك الدهقان في امره وأخذ يتشاغل باصلاح قلنسوته ومطرفه ويبلع ريقه ويتنحنح وقد امتقع لونه ، ثم قال : «اني رأيت من الفتاة ميلا الى ابن الكرماني فسايرتها فيما ترضاه لانها وحيدتي» •

قال : «أصحيح ما تقول ؟»

قال : «هذا هو الصحيح ورأس الامير» •

فقال : «واذا كنت كاذبا ؟»

فلما سمع الدهقان ذلك ازداد رعدة وصار ينتفض ، والتفت الى من حوله من القواد والنقباء لعله يجد بينهم من ينصره ، فرآهم مطرقين لا يستطيع احد منهم ان يفوه بكلمة ، فلم ير بدا من الجواب لان السكوت اقرار بالكذب • ولم يكن يخطر له ان ابا مسلم مطلع على سر ابنته فقال: «حاشا لي ان اكذب بين يدي الامير» •

فقال ابو مسلم : «ان العقد لم يتم الا بعد زيارتنا ، وابنتك لم تكن راضية بذلك العربي وانما انت رضيته لها استخفافا منك بدعوتنا وتزلفا الى العرب • وقد جادلتك هي في شأنه في الليلة التي كنا فيها عندك فكنت تصر على تزويجها به» •

فلم يبق احد من الحضور حتى خالد بن برمك الا وقد دهش من اطلاع ابي مسلم على هذه التفاصيل على انشغاله بمهام القيادة وتدبير شؤون الدعوة ، وجعلوا يتلفتون بعضهم الى بعض والدهقان يكاد يموت

خوفا وقد جمد الدم في عروقه وود لو خسفت به الارض وابتلعته ، ولم يحر جوابا . واستولى السكوت على الجلوس ، وهـــــم مطرقون لا يتحركون كأن على رؤوسهم الطير ، الى ان وجه ابو مسلم خطابه الى النقباء وسألهم : «ما قولكم في هذا الخراساني الذي سمع وصية الامام بابادة العرب فنصرهم وصاهرهم ثم يقول انه ينصرنا ؟»

فلم يجب احد منهم بكلمة لعلمهم انه لا يستشيرهم وانما هو يهدد الدهقان ، ثم قال له : «انك لم تحفظ وصية الامام ، فبدلا من ان تنصر الخراسانيين نصرت العرب وقد نصرتهم وهم اعداؤنا . اما انا فالوصية منقوشة على صدري أعمل بها» .

فأدرك الجميع مراد ابي مسلم حتى الدهقان نفسه ، وفهموا انه يشير الى قول الامام : «من شككت فيه فاقتله» . فنظر الدهقان الى ابي مسلم نظرة المستغيث . فقال ابو مسلم : «ان طاعة الامام أولى من طاعة كل انسان ، وقد أوصاني ان أقتل كل من أشك فيه ، وقد شككت فيك فلا مفر من قتلك» . ثم نظر الى الباب فدخل اربعة على كل منهم دراعة من الجلد الى أسفل الركبة عليها رشاش من الدم ، وعلى رأسه قلنسوة طويلة ذات شعبتين عليها شيء من آثار الدماء ، وحول الدراعة منطقة من جلد علق فيها سيف .

فلما دخلوا علم الدهقان انهم الجلادون وسمع ابا مسلم يقول لهم : «خذوا هذا الخائن الى خوارزم» .

فعلم الدهقان انه يأمر بقتله ، فنهض وترامى على قدمي ابي مسلـــم وجعل يتضرع ويتوسل وهو يبكي ويقول : «اصفح يا مولاي عن ذنبي أعطك كل ما أملك» .

فأجابه ابو مسلم وهو ينظر الى سقف القاعة : «ان مالك لنا قتلت او بقيت حيا» . فلما لم ير الدهقان اصغاء من ابي مسلم ، تحول الى خالد

ابن برمك وترامى على قدميه واستشفعه ، فرق خالد له ولم يكن احد يجرؤ على مخاطبة ابي مسلم في شيء غيره ، فهمس في أذنه كلاما ، فقال ابو مسلم : «قد أجلنا قتله الان ، خذوه الى السجن وسننظر في امره» •

فتقدم الاربعة وساقوا الدهقان حتى خرجوا من باب سري يؤدي الى غرفة مظلمة وضعوه فيها •

* * *

نزلت جلنار في قصر الدهقان صديق ابيها بجوار دار الامارة ، وقد استأنست بقرب الحبيب • فأنزلها صاحب القصر بين نسائه ، فلقيت عندهن كل اكرام واحتفاء ، ولاسيما من الدهقانة صاحبة المنزل ، لانها كانت تعرفها وتعرف أمها قبلها ، ولكن جلنار لم تكن تستأنس بأحد لاشتغال ذهنها بأبي مسلم وما عسى ان يدور بينه وبين ابيها في شأنها ، وكانت تختلس الفرص لتخلو بريحانة وتحادثها فيما يهمها في انتظار عودة ابيها من تلك الزيارة • وعند الظهر كان اهل البيت ينتظرون مجيء الدهقان ليأكلوا معا ، فلما ابطأ ظنوه أكل على مائدة الامير فتغدوا وجلنار اكثرهم قلقا على غيابه ، لا خوفا على حياته لان ذلك لم يخطر لها ببال ، بل حبا في معرفة ما دار من الحديث عنها •

وقضت بقية ذلك النهار وهي على مثل الجمر ، وريحانة تعدها وتمنيها حتى امسى المساء • فلاحظت في اهل القصر تغيرا ورأتهم يجتمعون ويتسارون ، واذا لقوها تظاهروا بالمجاملة والمحاسنة فقلقت وأنبأت ريحانة بما لاحظته ، فقالت لها : «وأنا ايضا لاحظت ذلك فيهم» •

فقالت جلنار : «لا بد من امر حدث لابي» •

وما أتمت كلامها حتى جاء خادم يقول لجلنار : «ان احد خدمكم

بالباب » .

فنهضت ريحانة وتبعتها جلنار حتى اقبلتا على الباب ، فاذا هناك صالح (او الضحاك) وفي وجهه اضطراب فقالت ريحانة : «ما وراءك ؟»

قال : «ادخلاني الى مكان لا يسمعني فيه احد سواكما» .

فدخلتا به الى غرفة وأقفلتا الباب فجلس وجلنار يتزايد قلقها وخفقان قلبها حتى بدأ صالح بالكلام فقال لها : «هل سمعت ما حدث اليوم في مجلس ابي مسلم ؟» . قالت : «لا» .

فقص عليها ما دار بين ابي مسلم وأبيها كأنه كان حاضرا حتى بلغ الى حيث أمر ابو مسلم بقتله ، فاقشعر بدنها وامتقع لونها ، ثم اخبرها بتوسط خالد بالعفو عنه وأنهم أجلوا قتله وحبسوه . فطار صوابها ، وقالت : «أيحكم على ابي بالقتل ؟.. ولماذا ؟»

قال : «لانه زفك الى ابن الكرماني ورغب في مصاهرته وهو عربي، وكان مولاي الدهقان يدعي التحزب للفرس» .

فأطرقت ثم التفتت الى ريحانة كأنها تستطلع رأيها ، فرأتها أشد حيرة منها فنظرت الى صالح وقالت : «هذا أوان المروءة وصدق الخدمة» . وترقرق الدمع في عينيها .

فوقف صالح وقال : «اني رهين امرك يا مولاتي والذي اراه» . وسكت . فازدادت جلنار قلقا لتردده فقالت : «قل ، ما الذي تراه ؟»

قال : «لا ارى احدا يستطيع التوسط في ذلك سواك» .

فصادف قوله قوى في نفسها ، فقد طالما تمنت لقاء هذا الذي وهبته قلبها وظنت انه بادلها حبا بحب ، ولم يتسن لهما ان يجتمعا . فرأت في ذهابها اليه للشفاعة في ابيها ما قد يمهد السبيل الى ما تطمع فيه من عتاب المحبين ، فنهضت وقالت : «سأذهب اليه الان» .

فقال صالح : «حسنا تفعلين ، وأنا أستأذن لك عليه من الحاجب فقد

عرفته وهو الذي قص علي الحديث اليوم . انهضي غير مأمورة ، وتخمري ريثما اعود اليك بالاذن » . وخرج .

فدخلت جلنار حجرة هناك ، وأصلحت من شأنها قليلا والتفت بالمطرف المزركش ولفت رأسها بشال موشى . فقالت ريحانة : «هل أذهب معك يا مولاتي ؟»

قالت : «ربما لا يأذن لنا بالدخول معا وأنا احب ان أخاطبه على انفراد » .

ثم جاء صالح يقول : «هلم يا مولاتي ، قد أذن الامير» .

فنهضت وقد تسارع خفقان قلبها وتصاعد الدم الى وجهها فخرجت من باب القصر والليل قد سدل نقابه . ولم تمش خطوات قليلة حتى أطلت على باب القاعة وصالح يمشي بجانبها . فقال لها : «لا يخلو دخولك على هذا الامير من باعث على الحذر ، فكوني على يقين اني آتيك كما تأتي المردة اذا شعرت بضيق ، ولكن احذري ان تناديني باسمي القديم » .

فأوجست من هذا التحذير خوفا ، ولكنها شغلت بما هاجه فيها لقاء ابي مسلم لاول مرة على انفراد ، وفي قلبها من لواعج الحب وعوامل الاعجاب ما فيه ، فأوصلها صالح الى الباب وأشار الى الحاجب فوقف لها وأدخلها القاعة وقد وسع لها ستر الباب بيده ، فرأت قاعة كبيرة في بعض أركانها شموع منيرة . وفي صدر القاعة رجل متكيء على وسادة وعليه ثياب الامارة كأنه في مجلس الحكم ، فسبقها الحاجب حتى وقف بين يدي الرجل وقال : «قد اتت الفتاة التي استأذنت في الدخول على الامير » .

فقال ابو مسلم : «اين هي ؟» . وأشار بيده الى الحاجب فخرج ، ومشت جلنار وهي تخطو الهوينا ورجلاها لا تساعدانها على السرعة لما

ساورها من رعب لدخولها وحدها على ابي مسلم . واذا كان الرجال الأشداء يرتعدون في حضرته ، فكيف بفتاة مفتونة قاست الصعاب للحصول على رضاه ؟

فلما اقبلت جلنار ، اعتدل ابو مسلم في مجلسه وكان يلبس العمامة السوداء والجبة السوداء ، وقال بالعربية : «اهلا بالدهقانة» .

فأجابته بالفارسية : «لست دهقانة وانما انا أمتك» .

فأشار اليها ان تقعد فقعدت على وسادة بين يديه ، وقد ارهبتها الخلوة مع رجل تحبه وتعتقد انه يحبها فغلب عليها الحياء تمازجه رعشة الحب . ثم تذكرت أباها وانها اتت من اجله ، فلبثت تنتظر ما يقوله ابو مسلم . فقال لها بالفارسية : «اراكم لا تحبون من الفرس الا لغتهم ، وأما فيما خلا ذلك فأنتم عرب» .

فأدركت انه يعرض بالسبب الذي حكم على ابيها من اجله ، فرفعت بصرها اليه فلم تستطع التفرس في وجهه ، وأحست كأن سهاما تتطاير من عينيه الى عينيها ، وكأن نورا باهرا يسطع من حدقتيه فيبهر الناظر اليهما. فقالت وهي مطرقة : «وكيف نكون عربا وقد بذلنا النفس والنفيس في سبيل الفرس ؟. على اننا لو اردنا ان نكون عربا ما استطعنا الى ذلك سبيلا » .

قال : «وأنت ايضا تتعمدين خداعي ؟»

فلما سمعت ما في كلامه من الجفاء رأت غير ما غرسه الضحاك في ذهنها من حبه لها . على انها حملت ذلك منه على محمل غضبه من ابيها فقالت : «حاش الله ان أخادعك ، وما انت ممن يخدعون لانك تخترق القلوب بعينيك وتكشف غوامض الاسرار بذكائك ، فانى لفتاة مثلي ان تجرؤ على خداعك ولكنني اقول لك الحق» .

فقطع ابو مسلم كلامها وقال : «الحق ان أباك خدعنا ، فقد تقرب منا

وأظهر الميل الى نصرتنا ، على حين كان يخابر ابن الكرماني ليصاهره وقد زفك اليه ، هل تنكرين ذلك ؟»

فأفحمها ، ورأت ان تطرق باب الاستعطاف بالحب فقالت : «لا ريب ان ابي ارتكب خطأ كبيرا بتزويجي من ذلك العربي ، ولو علم ما فـــي قلبي لما رضي به . ومع ذلك فان ذلك العربي المسكين لم ينل من آماله غير الفشل» .

فقال : «لقد خدعنا ابوك وأثار الشك عندنا في تصرفه ، فحل لنا قتله عملا بوصية الامام صاحب الدعوة» .

فصاحت : «العفو يا مولاي ، اعف عن ابي وان كان ذنبه كبيرا ، ان المصاهرة التي تتهمونه بالاقدام عليها خداعا كانت سببا في ان عجلت بقتل عدوك . وهب ان ابي فعل ذلك رغبة عن ابي مسلم ، فان في هذا القلب (وأشارت الى صدرها) من الحب له ما لو تفرق في عشيرة لكان كل منهم عاشقا» . وشعرت عندما نطقت بهذه العبارة ، بأنها تسرعت في اظهـــار شعورها .. ولكنها لم تستطع صبرا ، وقد ارادت ان تستطلع ما فـــي قلبــه .

اما هو فلما سمع تصريحها بحبه استغربه وعده تهورا ، فأغضى عنه وقال : «اني اشكرك على حبك ايتها الدهقانة ، ولا انكر انك خدمت الخراسانيين ، غير ان ذلك لا يبرىء أباك» .

فاستغربت جوابه «البارد» على خطابها الحار ، وقالت : «ألا تزال تذكر ذنب ابي بجانب اخلاصي في حبك ؟»

قال : «لا تقولي حبي ، بل قولي حب دعوتي ومنفعة خراسان» .

فأنكرت تنصله من الحب وشعرت بأنها في واد وهو في واد ، فقالت: «بل في حبك ايها الامير» .

قال : «وما الباعث على ذلك والحب ينتهي الى الزواج ، وأنا لا مأرب

لي في النساء وأعد الزواج جنونا ، فقد تزوجت ويكفي للانسان ان يجن في حياته مرة واحدة . واعلمي يا جلنار اني لو كنت ممن يهيمون بالنساء لما استطعت القيام بالدعوة التي انا قائم بها» . وكانت جلنار تسمع كلامه وقلبها ينفطر غيظا لخيبة املها ، لكنها تجلدت وقالت وصوتها يرتجف : «ألم تحبني من قبل ؟»

قال : «لم احبك ولم احب سواك من النساء ، ولا آريد ان احب امرأة » .

قالت : «ألم تقل لرسولي انك احببتني عندما رأيتني ، وانك تؤجل امر الزواج الى ان تضع الحرب أوزارها ؟»

قال : «أظنك تعنين ذلك المهذار المنافق ، لقد قتلته جزاء خيانته ، فلا تصدقي قوله ؟»

فتذكرت جلنار ما قاله لها الضحاك من انه لا يريد ان يعلم احد ببقائه حيا ، فسكتت وهي مقتنعة بصدقه لاختبارها اياه من قبل ، ولانها رأت غيرته عليها وتفانيه في خدمتها ، فترجح عندها غدر ابي مسلم ، وأنه استخدمها واستخدم الضحاك في تنفيذ مآربه لقتل ابن الكرماني ثم قتل الضحاك ، فخافت اذا هي جادلته ان يغضب ويأمر بقتلها ، وليس اسهل عليه من القتل . فاستجمعت رشدها وعمدت الى الملاينة لانقاذ ابيها فقالت : «لا تغضب ايها الامير فاني لم احبك طمعا في الزواج منك ، ولكنني احببت مناقبك وسجاياك» .

فأدرك ابو مسلم انها تمكر خوفا من غضبه ، فمكر وقال لها : «وأنا احببت مناقبك وشكرت غيرتك ونصرتك» .

فلما سمعت هذه المجاملة وتحققت انه لا يحبها شعرت بذهاب حبها، ولكنها لم تر بدا من استعطافه لتنقذ أباها ، فقالت : «هل لي ان أطمع في ان تهب لي ذنب ابي فتعفو عنه ؟»

قال : «ذنب ابيك لا يغفر لانه خان» .

فقالت : «هب انه خان ، فاجعل خيانته مقابل خياتني ابن الكرماني» .

قال : «انك لم تقتليه في سبيل دعوتي ، بل طمعا في الزواج مني» .

قالت : «وهل تعد ذلك ذنبا ؟ على كل حال ، لقد ساعدتكم في قتل رجل كان زوجي ، أفلا تكافئني على قتله بالعفو عن ابي ؟»

قال : «أتعدين ذلك فضيلة وهي خيانة ، ثم تتوقعين ان أتزوجك . ومن يضمن لي انك لا تقتلينني ؟ . اما ابوك فلا تتعبي نفسك في شأنه ، فلو اردت العفو عنه ما استطعت ، وقد سبق السيف العذل» .

فنهضت ثم جثت بين يديه وهمت بتقبيل ركبتيه ، وذرفت الدمع وهي تقول : «أستحلفك بالامام ابراهيم صاحب الدعوة ان تعفو عن ابي ، لانني اصبحت بعد جفائك وليس لي سواه» . قالت ذلك بصوت متهدج وهي تشرق بدموعها .

فدفعها وأدار وجهه عنها ، وقال : «لا سبيل الى حياة ابيك» .

فأجفلت وتراجعت وقالت : «ماذا تعني ؟ . هل قتلته» . قال : «نعم» .

فصاحت : «قتلته ! لا ، لم تقتله . بل أجلت النظر في امره الى الغد . بالله ألا صدقتني ، ألا اشفقت على شبابي وأبقيت لي ابي .. انا مسكينة وحيدة» . وأغرقت في البكاء حتى كاد يغمى عليها .

ولم يكن ذلك ليؤثر في قلب ابي مسلم ، فأجابها بقوله : «قلت لك انه قتل . واذا كنت لا تصدقين ، فسترين أباك رأي العين» . ثم صفق فدخل غلام فقال : «ائتني بالدهقان» .

فلما سمعته انتعشت آمالها وتوهمت انه لا يزال حيا ، فتابعت الغلام بنظرها فرأته يدخل دهليزا في جانب القاعة ، ثم عاد وفي يده طبق كبير فوقه غطاء وتقدم به حتى وضعه بين يديها ، وكشف الغطاء فرأت رأس ابيها في قاع الطبق وقد تجمد الدم حوله وتلطخت لحيتـــه وشارباه ،

واشتبك شعر رأسه ، وتلوث بالدم ، وعيناه مفتوحتان كأنهما تنظـــران اليها . فلما وقع نظرها عليه ، صاحت : «واأبتاه !» . والتفتت الى ابي مسلم وقد غاب رشدها ولم تعد تفقه ما تقول ، ولطمت خديها وصاحت : «قتلته يا ظالم ! ويلاه !» وأخذت في البكاء حتى دوت القاعة بصـــوت نواحها .

فقال لها ابو مسلم : «اسكتي او أرسلك الى خوارزم» .

فأدركت انه يهددها بالقتل ، ولكنها لم تكن تبالي الموت لفرط حزنها فقالت : «ارسلني الى حيث شئت ، لم يبق للحياة عندي قيمة بعد خيانة حبيبي وقتل ابي» . وعادت الى البكاء بصوت عال .

فصاح ابو مسلم بالحاجب فجاءه فقال : «خذ هذه الفتاة الى سجن النساء ، ولولا خوفي ان يقال قتل امرأة لقتلتها» .

- ١١ -

الفــرار

مشت جلنار مع الحاجب وهي تبكي وتصيح : «واأبتاه» . حتى اذا دنت من باب القاعة سمعت الحاجب يكلمها همسا ويقول : «لا تخافي يا سيدتي ، لا بأس عليك» .

فعرفت صوت صالح ، فنظرت الى ثيابه فاذا هي ثياب الحاجب . فاستغربت قيامه بتلك الحيلة ، ولكنها كانت في شاغل من الحزن ، ورأس ابيها الملطخ بالدم ما يزال ماثلا امام عينيها . فلما خرج بها من الباب ،

رأت في الدهليز شبحا نائما وبقربه ثياب . فالتقط صالح الثياب بخفة ، ودفعها الى جلنار وهو يقول : «البسي» ، فاذا هي جبته وقلنسوته . فلبستهما مسرعة ، وعبرا الدهليز حتى بلغا الباب الخارجي فخرجا ، ولم يعترضهما الحراس لاعتقادهم انهما الحاجب وأحد الخدم . فلما خرجا من دار الامارة ، مشى بها صالح الى حجرة في خان وقد قطعا الطريق ساكتين لا ينطقان .

وأخذ صالح في تخفيف الامر على جلنار ، فقال لها : «ألم ألمح لك غير مرة انه خائن غادر ..؟ قد سمعته ينكر ما قاله لي عن حبه لك وافتتانه بجمالك ، ولكن انى لي ان أكذبه وهو صاحب السيف ولا شفقة عنده ولا عهد له . ولم اكن أعلم انه فعل ذلك خداعا حتى يستخدمنا في قتل ذلك الرجل المسكين ، وقد اراد قتلي معه فأوصى الرجل الذي أرسله معي لقتل ابن الكرماني بأن يدس السم في قدحي ايضا ، ولولا القدر والقيء لكنت الان في عالم الاموات ، وهو يظنني ميتا وقد قال لك ذلك الليلة. على اني لم اكن أتوقع ان ينكر حبك ، وانه يبغـي أذاك او أذى مولاي الدهقان ، والا لمنعتك من الذهاب اليه . وقد احتطت وهيأت ما يلزم للفرار بك عند الحاجة ، فأغريت الحاجب حتى اسكرته . ولبست ثيابه وتزييت بزيه لأتمكن من انقاذك ، وقد وفقت الى ذلك بحول الله» .

وكانت جلنار تسمع كلامه وكأنها في حلم ، لما مر بها تلك الليلة من الاهوال وذهاب آمالها أدراج الرياح ، فاستغرقت في التأمل وصالـح جالس بين يديها ، ثم قال لها : «اتأذنين لي في ان اذهب لاستقـــدام ريحانـــة ؟ »

فانتبهت وقالت : «لا بد من ذلك ، اذهب حفظك الله» .

فقال لها : «اعطيني جبتي وقلنسوتي» .

فلما خلعتهما ، لبسهما وهو يقول : «امكثي في هذه الحجرة ، ولا

تخرجي منها حتى اعود» • وخرج وأغلق الباب وراءه •

فجلست وقد خلت بنفسها في تلك الحجرة الحقيرة ، فتلفتت فلم تجد حولها الا جدرانا عارية عليها رفوف من الخشب قد سمرت فيها • وعلى الارض حصير بال فوقه فراش قذر ، والمكان موحش مظلم • وذكرت قصر ابيها وما كانت فيه من النعيم وما بنته من قصور الآمال ، وكيف تهدمت تلك القصور في ساعة ، فقتل والدها وخانها حبيبها وخرجت هاربة تائهة لا تعرف مقرها ، وفكرت في اسباب هذا الشقاء فلم تجد ملوما غير ابي مسلم ، وتصورت ما كان له من الحب في قلبها وكيف قابلها بالجفاء وهددها بالقتل بعد ان فتك بأبيها • فانقلب حبها بغضا شديدا وأصبحت لا تستطيع تصوره • وهذه سنة الطبيعة في البشر : فان المحب اذا رأى من حبيبه غدرا او خيانة انقلب حبه بغضا شديدا ، وما نبريء أبا مسلم من الشدة والقسوة ، ولعل عذره انه كان يكره النساء ويعد الزواج جنونا ، بل هو لا يعرف عواطف المحبين لانه لم يكن يحب ولا يشعر بالحب • وذلك نادر في الناس لان الحب يدمث الاخلاق ويلطف الطباع وهو ابو الشفقة وشقيق الحنان ، ولولاه لأكل الناس بعضهم بعضا • وقد كان ابو مسلم لا يبالي قتل ابيه او اخيه اذا رآه حاجزا في سبيل مطامعه • فلما علم بتلاعب الدهقان ، بادر الى قتله ليأمن شره ، ولو كان في صدر ابي مسلم ذرة من حب لاستجاب لاستغاثة جلنار ، ولم يكافئها على حبها بعرض رأس ابيها عليها •

قضت جلنار في مثل هذه الهواجس حينا حتى نسيت نفسها ، ثم فطنت الى انها وحيدة في تلك الحجرة لا تسمع الا صهيل الخيل في الخان وقد ملأته رائحة الدواب • وتذكرت بيت ابيها وموته ، فغلب عليها الحزن فعادت الى البكاء ولم تر ما يفرج كربها سواه • ولكنها كانت تحاذر ان يسمع صوتها ، فيأتي اليها احد وهي وحدها • والمصيبة تبدو

ساعة وقوعها هينة في عيني صاحبها ، ثم تعظم عنده حتى تبدو على حقيقتها ، فاذا طال صبره عليها تصاغرت حتى يزول وقتها • وكذلك جلنار لم تدرك عظم مصيبتها لاول وهلة ، فلما خلت بنفسها وأطلقت العنان لخيالها اخذت مصيبتها تنجلي لها وتتعاظم عندها ، وكانت حتى هذه الساعة تشعر بشيء كالانعطاف نحو ابي مسلم هو بقية الحب الصادق له، على ان ذلك الشعور لم يكن يمكث الا كلمح البصر ثم يزول ويخلفه الغضب وحب الانتقام •

وغلب عليها النعاس : فغمضت عيناها لحظات قليلة رأت في اثنائها فيما يرى النائم ابا مسلم كما رأته للمرة الاولى في بيت ابيها ، وانه جاملها ولاطفها فتشاكيا وتعاتبا • وتذكرت وهو يلاطفها ما كان من جفائه وخيانة عهدها بقتل ابيها ، فتوهمت ان الجفاء كان في الحلم وأنها عادت الى اليقظة فرأت حبيبها على عهده • ثم ما لبثت ان استيقظت فرأت حلمها يقظة ويقظتها حلما • ولكن شبح ابي مسلم كان لا يزال مرسوما امامها ، فجعلت تخاطبه وتعاتبه قائلة : «آهذا شرط المحبة يا قاسي القلب ؟• تقتل ابي وتخون عهدي ثم تهددني بالقتل وتزج بي في السجن ؟»

وفيما هي كذلك سمعت خشخشة ورأت شيئا مر من بين يديها مرور السهم : فأجفلت ونظرت حولها ، فاذا هو جرذ دخل الحجرة من ثقب في الحائط تحت الباب وانصرف الى ثقب تحت بعض الجدران ، فقلقت وخافت الجلوس على الحصير ، فوقفت وكان لوقوفها فجأة ضجة افزعت جرذا كان كامنا وراء الفراش فنفر ، وكان لعدوه على الحصير خشخشة شغلت جلنار عن هواجسها • وأصبح همها تجنب الجرذان والحشرات ، مخافة ان تمس يدها او رجلها • وحدثتها نفسها بأن تخرج من الحجرة ولكنها لم تجرؤ لانها لا تعرف احدا في الخان ، فاستبطأت عودة الضحاك وخافت ان يكون لابطائه سبب ينذر بالشر ، فضاقت الدنيا في عينيها •

ثم سمعت سعاله في فناء الدار ، فخفق قلبها بسرعة وتهيأت لملاقاته ، وأصغت لتسمع وقع قدميه على السلم ثم في طريقه الى الحجرة فلم تسمع شيئا ، فاستغربت وتوهمت انها سمعت هتاف بعض الارواح من الجان ، فاقشعر بدنها وجمد الدم في عروقها • وظلت واقفة في مكانها لا تجرؤ على المشي ولا على القعود ، وأمسكت تنفسها مبالغة في الاصغاء • فمضت دقائق وهي لا تسمع غير وقع حوافر الدواب وأصوات شخيرها ، ثـم سمعت صوتا لم تشك في انه صوت صالح يقول : «أعد كل شيء ريثما اعود» • ثم سمعت خفق نعاله على السلم فاطمأن خاطرها ، وأسرعت نحو الباب وفتحته فرأت صالحا وحده والدهشة ظاهرة على وجهه • فقالت : «اين ريحانة ؟»

قال : «هي هنا ، هيا بنا للخروج من المدينة قبل اقفـــال ابوابها ، والخيول معدة في فناء الخان» • قال ذلك وأخذ يبحث عن جبة الحاجب وقلنسوته وكان قد تركهما هناك عند ذهابه ، ولبسهما بعد ان خلع قلنسوته وجبته بأسرع من لمح البصر ، ثم مشى بين يدي جلنار •

فتبعته على السلم وهي تتعثر بأذيالها ، ولما وصلا الى فناء الخان رأت جلنار ثلاثة جياد مسرجة وريحانة واقفة بجانب واحد منها ، فقال صالح : «اركبي يا مولاتي هذا الجواد» • وأشار الى ريحانة فركبت جوادا ، وركب هو الجواد الباقي ، وأشار الى صاحب الخان فأمر رجلا بأن يسير في ركابهم ليعود بالجياد • ثم ساق جواده اولا ، وقال لجلنار : «تثبتي على جوادك يا مولاتي واتبعينا» • وأوصى الرجل بأن يبقى الى جانبها ليساعدها عند الحاجة •

مشى الركب على هذه الصورة وكلهم سكوت ، وجلنار تصبر نفسها عن استطلاع السبب الذي اوجب هذه العجلة • وبعد قليل وصلوا الى باب المدينة فوجدوه موصدا كالعادة عند الغروب • فصاح صالح بالبواب

صيحة ذي سلطان : «ما بال بابك لا يزال مقفلا ، كنت نائما عندما جاءك الامر بفتحه منذ ساعة ؟»

فرأى البواب رجلا يخاطبه كمن له سلطان وعليـه ثياب الحجاب ، فصدقه وخاف ان يبلغ امره لابي مسلم ، لانه كان عند العشاء غائبا اذ ذهب لتناول الطعام في منزله ، ولم يدر في خلده ان الامير بعث مـن يأمر بفتح الباب . فظن الامر جاءه اثناء غيابه فهم بالاعتذار فقطع صالح كلامه قائلا : «لا بأس الان ، اسرع وافتح الباب فان مهمتنا عاجلة ولا وقت لدينا لسماع الاعذار» .

فأسرع الرجل وفتح الباب ، وما ان اصبحوا خارج المدينة حتـى ساقوا خيولهم وصالح دليلهم ، وكلما قطع مسافة تفقد جلنار وريحانة فقد كان الظلام مخيما ، ولكنه كان خبيرا بتلك المنطقة ، يعرف الطرق السهلة والصعبة والجهات المأهولة وغير المأهولة . فلما بعدوا عن مرو ، أمسك عنان جواده حتى لحق به جواد جلنار ، وسألها : «هل انت متعبة ؟» . فقالت : «نعم ، تعبت ولم أفهم سبب هذه العجلة» .

قال : «سأخبرك عند وصولنا الى القصر» .

قالت : «وأي قصر ؟»

قال : «قصر مولاي الدهقان فاننا على مقربة منه» .

فاطمأن قلبها لقربها من بيت ابيها ، وبعد قليل أطلوا على القصر ، فأسرع الى الباب فطرقه ، وصاح بالبواب : «افتح للدهقانـة» ، فدهش البواب ولم يصدق حتى سمع صوتها تناديه . ففتح لهم ، فدخلوا علـى جيادهم وترجلوا في الحديقة ، ومد صالح يده وأعطى الغلام كيسا وأمره بالرجوع ، فركب احد الجياد وساق الجوادين الاخرين وراءه ورجـع الى مرو .

وكان اهل القصر نياما ، فأمرت الدهقانة البواب ألا يوقظ احدا منهم

حتى الصباح • ودخلت وصالح وريحانة معها الى قاعة ابيها ، وهي على مثل الجمر لاستطلاع الخبر • فلما دخلوا قالت : «قل ما وراءك يا صالح، فقد اقلقت بالي» •

قال : «ان الذي ستسمعينه أخطر ، فلا ينبغي لنـــا ان نبيت هنا ، فاسمحي لي ان آمر باعداد الخيول من مرابط ابيـــك لنبرح القصر مسرعين » •

قالت : «افعل» • فأيقظ السياس ، وأمرهم ان يعدوا ثلاثة جياد سهلة القياد • وعاد الى القاعة وجلنار وريحانة في انتظاره على أحر من الجمر، فلما دخل جلس جاثيا وقال : «اني لما رجعت لاستقدام ريحانة مررت بدار الامارة ، فرأيت الناس في هرج ومرج ، وعلمت ان ابا مسلم علم بفرارك فأمر بالبحث عنك في غرف الدار وما يجاورها • فاذا لم يجدوك بعثوا من يأمر بوابي المدينة بمنع الناس من المرور الا من عرفوه او اتاهـــم بجواز ، فهرولت مسرعا الى قصر صاحبكم الدهقان ، وناديت ريحانـــة وأتيت بها حتى وصلت الى الخان • ثم امرت صاحب الخـــان باسراج الجياد ، وذهبت لاستقدامكم فركبنا وجئنا الى هنا» •

فأعجبت بدهائه وغيرته ، وقالت: «وما هي الباعث على سرعة خروجنا من هذا القصر ؟»

قال : «السبب يا سيدتي ان ابا مسلم سيبعث في صباح الغد مـــن يصادر هذا القصر وما فيه ، وقد سمعته يقول ذلك عندما هدد المرحوم أباك بالقتل ، فلا بد له بعد ان يعلم بفرارك من مرو ان يبحث عنك هنا ، وهل في وسعك الوقوف في وجهه وهو صاحب السلطان وليس في قلبه شفقة ولا حنان ؟»

فعظمت مصيبتها بهذا الخبر ، لانها كانت تنوي ليأسها ان تأوي الى بيت ابيها فتقيم به وتعيش راضية ، وتتناسى مقتل ابيها بالزواج مــــن

احد الدهاقين . فلما سمعت كلام صالح غصت بريقها ، ولم تتمالك عن البكاء وقالت : «ألا يكفي هذا الظالم قتل ابي وخيانة عهدي حتى يضع يده على أموالنا وضياعنا ؟»

قالت ذلك وأجهشت بالبكاء ، وشاركتها ريحانة ، فقال صالح : «ان البكاء لا ينفعنا يا مولاتي ، بل هو يزيد في وقع المصيبة ، وليس حطام الدنيا مما يطمع فيه بعد ذهاب صاحبه . دعي ابا مسلم يفعل ما يريد ، وسوف ينال جزاءه باذن الله . سوف ننتقم منه انتقاما ينسيك كل هذا العذاب » .

فارتاحت نفسها الى ذكر الانتقام ، وليس أشفى منه لقلب الموتور ، فقالت : «أتنتقم لي منه ؟»

قال : «أنتقم لك ولي . ألم يأمر بقتلي ، ولولا المقادير لذهبت مع ابن الكرماني في ساعة واحدة ؟. ولكن الله ابقاني لانتقم لك» .

فقالت : «ان الاقدار دبرت ذلك رفقا بي ، لانـــي لولاك ما عرفت مصيري . فالآن كيف العمل ؟»

قال : «ينبغي لنا قبل كل شيء ان نحمل ما في هذا القصر من خفيف الحمل وغالي الثمن . فاعهدي الي في ذلك وعلي تدبيره» .

فالتفتت جلنار الى ريحانة وقالت : «ريحانة تعرف كل شيء» .

فقال لها : «اذهبي وأتيني بالنقود والحلي» .

فنهضت ريحانة ، فقالت لها جلنار : «لا تتركي شيئا من الحلي ولا النقود ولا تنسي ثيابي . واختاري منها أحسنها وأمري الخازن ان يعطيك مفتاح خزانة ابي لعله ابقى فيها شيئا لم يحمله الى ذلك الخائن» .

فقالت ريحانة : «ان هذه الاموال تحتاج الى دابة او دابتين لحملها» .

قالت : «مري السياس ان يعدوا بغلين مع الدواب التي يعدونها» .

فخرجت ريحانة وظل صالح مع جلنار ، فقال لها : «أريد منك يــا

مولاتي ان تتخلقي بأخلاق الرجال وتخلعي عنك ضعف النساء ، فاننا مقبلون على عمل عظيم يقتضي الصبر والدهاء ، فاذا كنت لا تصبرين على التعب او لا تريدين الانتقام فقولي الان ولا تحملي نفسك مشقة الاسفار » .

فقالت : «وكيف لا أرغب في الانتقام من رجل سلبني اهلي ومالي وأخرجني من بيت ابي طريدة شريدة ، وخان عهدي وهددني بالقتل ؟ فاذا كنت انت تريد الانتقام لانه اراد قتلك فكيف بي انا ؟» ولا تحسب خيانة العهد أخف وقعا على نفسي من اليتم . ولا لوم علي اذا اردت قتله وأنا فتاة ، فهو الذي علمني قتل الرجال ، وأنت تعلم كم ترددت يوم اقترح علينا قتل ابن الكرماني ، وكم أعظمت تلك الجريمة ثم ارتكبتها التماسا لقربه وتضحية لحبه ، فكافأني بالخيانة والغدر ، فلا غرو اذا انقلبت عاقبة سعيه عليه» .

قال : «اذا كنت مصممة على هذا فأنا طوع مشيئتك . وأما الان فلا بد لنا من وضع الخطة للبدء في العمل ، لاننا لا نقدر على هذا الرجل بالسيف وهو صاحب القوة ، ولا نقدر عليه بالدهاء وهو أدهى الناس» .

فأحست جلنار بقصر باعها في هذا الشأن وبان الارتباك في وجهها ، فابتسم صالح وقال : «لا تقنطي يا مولاتي ، ولا تظني اني اسألك لعجزي عن الوسيلة ، ولكنني أستطلع رأيك» .

قالت : «كيف اعرف الوسائل وأنا لم اخرج من بيت ابي قبل ذلك ، فدبر انت ما تراه وأنا معك» .

قال : «ذلك ما كنت ارجوه من تعقلك وحزمك . فاعلمي يا مولاتي اننا لا نقدر على الكيد لابي مسلم الا في الشام عند الامويين ، فهم اعداؤه الألداء وهم الذين ينتقمون لنا منه» .

قالت : «وكيف ينتقمون لنا ؟ هل يجردون جيشا لقتاله دفاعا عنا ،

وهب انهم يفعلون فهل تراهم يفلحون والرجل محصن في مرو ؟»

قال : «لا أعني ان يجردوا جيشاً لحربه ، لانهم كما قلت لا يفعلون ذلك من اجلنا ، واذا فعلوه لا يفلحون . ولكنني أهديهم الى جذر الشجرة ليقطعوه فتسقط الشجرة» .

فلم تفهم جلنار مراده فقالت : «وأي شجرة تعني ؟»

قال : «أعني صاحب هذه الدعوة الذي قام ابو مسلم وأصحابه يدعون الناس اليها باسمه» .

قالت : «أظنك تعني ابراهيم الامام ؟»

قال : «اياه أعني» .

قالت : «وكيف تتوصل الى ذلك الجذر وأين هو ؟»

قال : «هو في الشام في مكان لا يعرفه الا القليلون» .

قالت : «وهل تعرفه ؟ وأين هو ؟»

قال : «انه في الحميمة في ارض البلقاء بالشام» .

قالت : «وما الذي جاء به الى هناك ؟»

فقال : «لا يتسع الوقت لسرد حكايته بالتطويل فأختصرها لك ، وهي انه لما مات النبي لم يرض بالخلافة لاحد فاختلف اصحابه عليها . وكانوا فئتين : المهاجرين الذين هاجروا معه من مكة الى المدينة فرارا من ظلم اهلها ، والانصار الذين نصروه لما جاء المدينة . وبعد خلاف شديد أجمعوا على ان المهاجرين أولى بالخلافة فتولاها واحد منهم ثم الثاني والثالث ، شورى بينهم ، ولم يكونوا يعرفون توريث الملك كما يفعل الفرس . ولكن اهل النبي الاقربين كانوا يرون التوريث ويعدون خروج الخلافة من أيديهم حيفا وظلما . وأقرب الاقربين من النبي عمه العباس وابن عمه علي بن ابي طالب . فبعد الخلفاء الثلاثة تولاها علي ابن عمه لكنها لم تبق في ولده ، فأخذها منهم بنو أمية بالدهاء والعصبية ، وتوارثوها نحو

مائة سنة ، حتى مروان بن محمد الذي يحاربه ابو مسلم الان . وكان اولاد علي وأولاد العباس في هذه الفترة يسعون الى استرجاع الخلافة ، وهم اهل البيت وكل منهم يطلبها لنفسه . وآل علي فئتان احداهما نسل ولده من فاطمة بنت النبي ، والاخرى نسل ابنه من اخرى واسمه محمد بن الحنفية . وكان كل من هؤلاء يطلبها لنفسه ايضا . فاتفق ان هاشم بن محمد بن الحنفية جاء دمشق وافدا على سليمان بن عبد الملك الاموي ، فرأى سليمان منه فصاحة وقوة فخافه وأوعز بدس السم له في اللبن ، فلما حس هاشم قرب أجله وهو راجع الى المدينة خشي ان يموت قبل ان يعهد في امر الخلافة لاحد من اهله ، ولم يكن احد منهم معه ، فعرج على بلد في البلقاء يقال لها الحميمة كان بنوالعباس يقيمون بها ويدعون الناس الى بيعتهم سرا . وكان صاحب دعوتهم يومئذ محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس ، فنزل عنده هاشم وأوصى اليه . وكان معه جماعة من شيعته انزلهم عنده وأوصاه بهم ، ولما مات هاشم اخذ محمد في بث الدعاة ، ثم مات هو ايضا وخلف اولادا كثيرين منهم الامام ابراهيم ، فقام بعد ابيه بالامر واستكثر من بث الدعاة الى الاطراف ولاسيما خراسان ؛ لان الشيعة كانوا أشد وثوقا بأهل خراسان» .

فسألته جلنار قائلة : «ولماذا لم يسعوا في غير هذه البلاد ؟»

قال : «لان هوى هل الشام ومصر مع بني أمية ، وفيهما اهل الدولة. اما الحجاز فأهله قليلون لا يستطيعون القيام بالدعوة . وأما اهل البصرة والكوفة فكان اهل البيت لا يأمنون جانبهم لانهم خانوهم غير مرة . وهذا فضلا عن ان الخراسانيين ناقمون على بني أمية لاحتقارهم اياهم ولعسفهم فيهم كما تعلمين ، فرأوا منهم أذنا صاغية . وكان اهل خراسان من قبل يبايعون لآل علي ضد بني أمية ، فوفق ابراهيم الامام الى ابي مسلم هذا وبعثه قائدا لدعاته ونقبائه . فتمكن بدهائه وبأسه

وقسوته من فتح مرو كما رأيت ، وهو يتظاهر بالمبايعة لاهل البيت على التعميم ، فالناس يبايعون الان لابراهيم الامام باسم اهل بيت النبي على ان يتناوبها العباسيون والعلويون . ولكنني ارى العباسيين يعتزمون ان يستأثروا بالامر لانفسهم ، فابراهيم الامام هو مركز الدائرة التي تدور عليها هذه الدعوة وهو مقيم بالحميمة ، ولا يعلم به مروان بن محمد صاحب دولة أمية . فالذي اراه ان نسعى في كشف هذا السر لمروان فيبعث من يقبض عليه ، ومتى حبسه او قتله ذهبت مساعي ابي مسلم هدرا فيشتد امر بني أمية ، وهذا أشد انتقام نستطيعه » .

فارتاحت جلنار الى رأيه ، وقالت : «هذا هو الصواب» .

قال : « لابد لنا من مغادرة هذا المكان سريعا بما خف حمله وغلا ثمنه ، ثم نسافر الى العراق فالشام ونسعى في الامر» .

فقالت : «لمن نترك هذا القصر وهذه الحدائق ؟»

قال : «نتركها لذلك الظالم صاحب السلطان الان . وهو يطلب حياتنا ، فاذا نجونا بها غلبناه ، ولا يغنيه البنيان ولا الاشجار شيئا عما سندبره لهلاكه باذن الله» .

***

وفيما هما في الحديث جاءت ريحانة مسرعة تقول : «قد اعددت ما يلزم وجمعت الحلي والنقود والثياب ، وهي كثيرة تحتاج الى عدة بغال لحملها ، وأوصيت السائس ان يعد الجياد والبغال» .

فقال صالح لجلنار : «هلم بنا يا مولاتي» .

فنهضت وخرجت من القاعة وأطلت على الحديقة ، فسمعت صهيل الجياد ورأت البغال وعليها الاحمال ، فذكرت انها خارجة من البيت الذي ولدت فيه وربيت بين اشجاره وجدرانه في عز ونعيم وحولها الجواري

والخدم ، ورأت كيف تخرج منه هاربة الى ديار غربة لم تطأها قدماها من قبل ، سعيا الى امر خطير يقصر عنه كبار الرجال ، فغلب عليها ضعف النساء فدمعت عيناها . وكان صالح يراقبها ويخاف ضعفها ، فلما لحظ ذلك فيها ابتدرها قائلا : «لا بد لنا من الاسراع قبل ان يدركنا ذلك الظالم برجاله ويقبض علينا جميعا فينال منا مرامه وتذهب مساعينا أدراج الرياح ، فاختاري من خدمك اثنين او ثلاثة تثقين بهم يكونون معنا لخدمتك» .

فلما سمعت قوله ، قنعت بالنجاة والتفتت الى ريحانة وقالت : «من ترين ان نصطحب من الخدم الامناء ؟»

قالت : «نصطحب سعيدا الصقلبي ، فانه امين ذكي فيكون في خدمتك خاصة ، ونأخذ معنا ابا العينين ، لان اصله من العراق ويعرف عادات البلاد وطرقها فيكون لنا عونا ودليلا ، واذا شئت خادما ثالثا فسليمان الحلبي لا بأس به لان اصله من الشام» .

فاستحسنت جلنار رأيها وقالت لها : «ابعثي اليهم الساعة» .

فمضت ريحانة في مهمتها هذه ، ووقفت جلنار في انتظارها تفكر في امرها وفي مصير القصر وأهله ، قائلة لنفسها : «ان اهل هذا القصر سعداء لانهم لم يعلموا بما اصاب مولاهم ولا بما يهددهم من الخطر في الغد ! » . ثم نظرت الى صالح وقالت له : «أتترك اهل هذا القصر مهددين في خطر القتل والاسر ولا نحذرهم ؟»

قال : «لا بد من ذلك ، ولكن بعد خروجنا ونجاتنا بما معنا» .

ثم جاءت ريحانة ومعها الخدم الثلاثة . وكان سعيد الصقلبي من اسرى الاندلس لما فتحها موسى بن نصير سنة ٩٢ هـ وقد اخذ يومئذ وهو في الخامسة من عمره ، فكان من نصيب احد الجند ، وباعه هذا الى احد النخاسين الذين يتجرون بالرقيق الابيض ، فألحقه بمن عنده من

الخصيان وسماه سعيدا ، ثم اشتراه منه دهقان مرو ، وعاش في قصره زمنا طويلا يتكلم بالعربية والفارسية ، ناسيا لغة بلده ، وسموه صقلبيا لبياضه • وكان طويل القامة والساقين ، قليل شعر الوجه ، صغير العينين، صوته كصوت النساء • وأما ابو العينين فلقب بذلك لكبر عينيه وجحوظهما ، وأصله من أنباط العراق ، دخل في خدمة الدهقان من صغره ، وانقطع اليه • وأما سليمان الحلبي فأصله رومي ، وقد وقع اسيرا في احدى المعارك بين الروم والعرب ، وبيع على العادة الجارية في تلك الايام ، وظل يتنقل من سيد الى سيد حتى دخل في حوزة الدهقان• فأعجب هذا بحسن خلقه ، ورأى فيه مروءة فأعتقه وخيّره بين البقاء عنده او الذهاب الى بلده ، فآثر المكوث عنده لانه ألف المكان ولم يعد يعرف مصير اهله •

وأخذ الثلاثة يستعدون للرحيل وهم لا يعرفون الغرض منه • وكان الفجر قد دنا فأشار صالح بالركوب ، فركبوا وهو في مقدمتهم ، بعد ان ذكر لبواب القصر وبقية الخدم انه عائد اليهم بعد قليل ، فصدقوا ذلك لانهم لم يعلموا بمقتل دهقانهم ، ولا بما ينويه ابو مسلم من الفتك بهم•

وبدأ الركب سيره بعد الفجر بقليل ، فلما بعدوا من المحلة أوقفهم صالح وأخبرهم انهم ذاهبون في خدمة الدهقانة جلنار الى الحج ، وان ذهابها لا ينبغي ان يعلم به احد ، فاذا سئلوا عن المكان الذي جاءوا منه فليذكروا انهم من مدينة بلخ ، خرجوا يريدون اللحاق بقافلة سبقتهم منذ يومين قاصدة بيت الله الحرام • وأوصاهم بألا يذكروا اسم الدهقانة ولا الدهقان لاسباب سيطلعهم عليها بعد قليل • ثم تقدم الى الدهقانة ، وقال لها : «سأرجع الى القصر لاخبر من فيه بالواقع ، فابعثي معي رجلا من أتباعك يؤيد قولي • وامكثوا هنا حتى نعود» •

فأمرت سعيدا الصقلبي ان يرافقه ، فسار معه طوعا لامرها وهو لا

يفهم القصد من ذلك • ولكن صالحا أسر اليه حقيقة الامر وأوصاه بأن يساعده في اداء تلك المهمة ، فلما بلغا القصر ، رأيا اهله في مرج وقــــد استيقظوا من رقادهم وعلموا بمسير مولاتهم ، فدعا صالح قيّم الـــدار وأخبره على انفراد بمقتل الدهقان وان ابا مسلم سيرسل من يستولي على القصر وما فيه وطلب اليه ان يتدبر الامر على اساس ان الدهقان أعتق عبيده وجواريه جميعا وان القصر صار ملكا حلالا لهم •

وسأله القيّم عن الدهقانة ، فأجابه بقوله : «انها انتقلت الى بعض اهلها في نيسابور ، وقد ارسلتني لأبشركم بالعتق والحرية ، وبأن لكم كل ما في القصر ، وهذا سعيد يؤيد قولي» •

وأمن سعيد على قوله مؤكدا ان الدهقانة آوصته بهم خيرا ، وانه بعد ان يعاونهم على تدبير امرهم سيوافيها الى نيسابور بعد بضعة ايام •

وعاد صالح وسعيد الى الدهقانة ومن معها ، وجدوا في السير حتى انتصف النهار وقد بعدوا عن مرو ، فحطوا رحالهم للاستراحة ، ونصبوا خيامهم بجانب عين ماء في ظل الاشجار • ثم دخل صالح على جلنار في خيمتها وعندها ريحانة وقال لها : «ينبغي ان نطلع خاصة خدمك على الامر ، ونكتمه عن الاخرين من السياس وأمثالهم» •

فقالت : «افعل ما تراه ، فاني ما زلت أحسبني في حلم من هول ما رأيته بالامس ، كما اني لم أذق طعم النوم» •

قال : «نحن هنا في مأمن ، فنامي واستريحي لان سفرنا طويل • وسأدبر انا الامر الاخر» •

قالت : «وأي امر تعني ؟» • قال : «آتظنين صالحا يغفل عن فرصة تسنح له فلا يغتنمها ؟• سأدبر حيلة القي بها الشقاق بين ابي مسلـــم ونقبائه ! »

قالت : «وكيف ذلك ؟ وأي النقباء تعني ؟»

قال : «أتعرفين سليمان بن كثير ؟»

قالت : «انت اخبرتني بأنه كبير النقباء وأنه قديم في تلك الدعوة» .

قال : «هو أقدم من ابي مسلم فيها ، ولكنه كان يدعو اهل خراسان الى بيعة ابناء علي بن ابي طالب ، فلما توفي صاحب الدعوة العلوية ، وآلت بعد ذلك الى الامام ابراهيم ، اختار أبا مسلم رئيسا للنقباء وفي مقدمتهم سليمان بن كثير ، وهذا كما تعلمين شيخ وقور ، فشق عليه ان يكون مرؤوسا لشاب ناشىء كأبي مسلم ولم يقبل ان يكون تحت قيادته الا مرغما . على ان ابا مسلم ما لبث ان حول الدعوة فجعلها لآل النبي عامة من العباسيين والعلويين . والذي اراه انه فعل ذلك تمهيدا لنقل الدعوة الى آل العباس وحدهم . واني أعلم ان سليمان بن كثير لا يريد ذلك بل يؤثر بقاء الدعوة لآل علي : ولهذا ارى ان أكتب الى سليمـان أستحثه على البيعة لآل علي ، وأبين له غرض ابي مسلم لأهيج الضغائن بين الرجلين ، وهما دعامة الدعوة فاذا اختلفا اختل نظامها » .

فأعجبت جلنار بدهائه ، وتجددت قواها وآمالها وقالت : «بورك فيك افعل ما تراه» .

فنهض وقال لريحانة : «انت ايضا في حاجة الى النوم ، فاذهبي الى فراشك وأنا ذاهب الى شأني» . قال ذلك ومضى الى حيث انتحى ناحية، وكتب كتابا هذا نصه :

«من دهقان يخاف ان يذكر اسمه الى سليمان بن كثير» .

«أما بعد فانك جئتنا منذ بضع سنين تدعونا الى بيعة اهل النبي ؛ لانهم اقرب للتقوى والعدل ، فأطعنا وبايعناك لننجو من ظلم بني أمية لانهم يرهقوننا بخراجهم ويسيئون الينا ، وكنا نرجو ان تكون نجاتنا على يدك وأنت شيخ عاقل حكيم . ثم ما لبثنا ان رأيناك وجميع النقباء في قبضة غلام لا يعرف له اصل ، وقد استبد بكم وتطاول عليكم ، وحسبنا

اول الامر ألا ضير من رياسته عليكم ، وانه اختير لها لميزة فيه ، ولكننا وجدناه لا يمتاز الا بسفك الدماء والقسوة وحب الاثرة، وانه يستخدمكم لمطامعه ولا يبالي ان يقتل ايا كان التماسا للسلطان ، فيستخـدم الناس لغرضه ثم يقتلهم ، كما فعل بالكرماني، وكما فعل بدهقان مرو الذي قتله شر قتلة . وهو يزعم انه يقتل على الشبهة بأمر الامام ، وقد عرفنا الأئمة يحاسبون انفسهم على حشرة يقتلونها ، فكيف يقتل الناس ؟ بل كيف يقتل كبار المسلمين الذين هم عمد الدعوة وخراسان في قبضتهم . ومن اجل ذلك اصبح دهاقين خراسان وأنا منهم في خوف على حياتهم من ظلم ذلك الغلام . على ان ظلمه لن يلبث ان يشمل النقباء انفسهم وأنت في مقدمتهم، فلا بد من ان يأتي يومك ، وهو لا يحتاج في تبرير قتلك الى اكثر من الشبهة . والذنب في ذلك ذنبك انت ، لانك سبب هذا البلاء ، وقد كنت على رأس النقباء تدعو الناس الى بيعة خليفة يأمر بالمعروف وينهي عـن المنكر ، ولا يقتل المسلمين ولا يظلمهم ، فجعلت نفسك عبدا لغلام يزعم ان امامه أمره بقتل الناس على الشبهة . وما اراه الا متلاعبا بكم جميعا ، فهذا هو قد حول البيعة من ابناء علي الى اهل البيت عامة ، تمهيـــــدا لاخراجها من العلويين وجعلها في بني العباس وحدهم ، وذلك ليستقل بها صاحبه ومولاه الامام ابراهيم ، وتذهب مساعي العلويين ونقبائهم هباء منثورا . فاذا كنتم لا تزالون وفيكم بقية عقل وحمية ، فاستدركوا الامر قبل استفحاله ، وارجعوا البيعة لاصحابها الاتقياء . واعلموا انكم اذا فعلتم ذلك كان دهاقين خراسان وكل اهل فارس من أنصاركم .

«فبادر يا ابن كثير الى استدراك ما فات وارجع البيعة لاصحابها ، وأنقذ المسلمين من أناس يقتلون على الشبهة ، ولا يستثنون . فان لم تفعل فستكون اول من تقع النقمة على رأسه . وهذا انذار لك ولكـل النقباء الذين استسلموا لذلك الغلام ، والسلام» .

ولما فرغ من كتابة الكتاب ، لفه وجعلـــه في انبوب من القصب الفارسي ، وحمل الانبوب بعد ان سده وخرج الى خيمة الخدم . فلقي سعيدا في الطريق عائدا من خيمة جلنار . فناداه وسأله عن الدهقانة ، فلما علم منه انها ما زالت مستغرقة في النوم . قال له : «عندي كتاب اريد ان أبعث به الى مرو ، فهل عندك خادم تثق في أمانته لنرسله في هذه المهمة على ان يكتم امرها ؟»

فقال : «عندنا سائس أبكم سريع الفهم» .

قال : «ا ن البكم نافع في هذه المهمة ، ولكن الابكم يكون أصم ايضا . فكيف نفهمه مرادنا ؟»

قال : «ان هذا الابكم غير أصم . فهو يسمع ولكنه لا يقدر على الكلام » .

قال : «وهل امتحنت أمانته ؟» . قال : «نعم» . ثم اشار الى احد السياس ، فجاء اليهما مهرولا ، وهو قصير القامة اسمر اللون ممتلىء الجسم ، ودلائل الصحة بادية في استدارة وجهه وغلظ عنقه واتساع صدره ، وكان جذعه عاريا الى الحقوين فبان الشعر كثيفا على صدره وكتفيه . ولم يكن عليه من الكساء الا سراويل قصيرة تغطي فخذيه الى اعلى الركبة ، فوقف وأشار برأسه اشارة التحية ، فقال له صالح : «أتعرف مرو ؟» . فأشار برأسه ان «نعم» .

قال : «أتعرف اميرا اسمه سليمان بن كثير ؟» . فأشار بيديه وأصابعه انه عرفه عندما نزل ابو مسلم على الدهقان .

وتحقق صالح من اشارات اخرى انه يعرف الامير ، فناوله الانبوب وقال له : «خذ هذا وامض مسرعا الى مرو ، فاذهب توا الى دار الامارة حيث تجد الامير هناك فادفعه اليه ولا تجبه بأي شيء . ثم ارجع الينا فتجدنا في انتظارك هنا او في المحطة التالية» .

فتناول السائس الانبوب ، وهم بالانصراف ، فاستوقفه صالح وقال : «اختر لنفسك دابة تركبها» • فضحك السائس وأشار الى قدميه الغليظتين، وقبض يده بشدة معبرا بذلك عن قوتهما وعن اعتماده عليهما اكثر من اي دابة • فربت صالح كتفه تحببا وثناء . وقـــال له : «بورك فيك» • فأشار الرجل برأسه اشارة الوداع ، ومضى آخذا طريقه الى مرو ، وكأنه نعامة تعدو هربا من مطاردة صياد ، وظل صالح وسعيد ينظران اليـــه ويعجبان من سرعته حتى توارى عن أبصارهما • فمضى صالح الى خيسته حيث استلقى ، وأخذ يفكر فيما ينبغي له ان يعمل بعد ذاك •

★ ★ ★

رآى صالح ان المكان الذي نزلوا به لا يبعد كثيرا من مرو ، وخيل اليه ان ابا مسلم علم بسكانهم . فأرسل من يقتفي أثرهم ويقبض عليهم ، ثم الحاقهم بمن سبقوهم من ضحاياه العديدين • فاعتزم الرحيل من ذلك المكان ، اتقاء لذلك الخطر المحقق اذا هم وقعوا في قبضة ابي مسلم ، ولكنه رأى تعذر متابعة السير في تلك الساعة ، لما تشكوه جلنار مـــن التعب والاجهاد وشدة حاجتها الى النوم ، فعزم على السفر حالما تستيقظ ولو في منتصف الليل • وبينما هو غارق في تلك الهواجس ، اذ سمـــع أجراسا ترن عن بعد . فاختلج قلبه ونهض مذعورا ، لعلمه انها أجراس قافلة مارة من هناك • وأصاخ بسمعه ليتبين وجهة القافلة . فأدرك انها قادمة من الشمال • ورجح عنده انها من القوافل التي تتردد بين العراق وخراسان ، فخرج من خيسته لعله يراها عن بعد ، ولكنه لم يستطـــع لاحتجابها خلف التلال ، فأسرع الى ثيابه وتنكر بلباس حاجب ابي مسلم وقلنسوته ، ثم ذهب الى سعيد وأبي العينين وسليمان ، وأخبرهم بخبر القافلة وانه عازم على تنسم الاخبار منها ، وأوصاهم بأن يكونوا علـــى

حذر فلا تبدر منهم كلمة او اشارة تدل على حالهم • ثم امتطى جوادا مضى به الى مصدر صوت الاجراس • فلما لاحت له القافلة ، وجدها تتألف من بعض الجمال ؛ وفي مقدمتها حمار يمتطيه دليل شيخ ، والى جانبي القافلة فرسان مدججون بالسلاح لحراستها ؛ فعلم انهم قاصدون ابا مسلم بأموال ومؤونة • فوقف معترضا طريقهم ؛ وأشار بيده الى اقرب الفرسان اليه مستقدما ، فلما جاءه الفارس ، صاح به في لهجة الآمر قائلا : «لماذا هذا التباطؤ في المسير ؟»

فلما سمعه الفارس يخاطبه بهذه اللهجة . ورای علیه ثياب حجاب ابي مسلم ، ظنه قادما من لدنه لاستعجالهم فقال : «اتعدون مسيرنا بطيئا وقد جئنا من الكوفة الى مرو في عشرين يوما حاملين هذه الاثقال ؟»

فقال صالح : «بارك الله فيكم . ان الامير متلهف على وصولكم . خشية ان يقابلكم في الطريق نصر بن سيار . ومن فروا معه في هـــذه الاودية بعد فتح مرو» •

فقال الفارس : «وهل فتحتم مرو ؟» • قال : «فتحناها منذ بضعة ايام. وأعلام الحق تخفق الان فوق دار الامارة ، ولو عجلتم قليلا لاشتركتم في الغنيمة • كيف فارقتم شيعتنا في الكوفة ؟»

قال : «تركناهم في خير ؛ وستشتد قلوبهم بخبر الفتح ؛ ولاسيما ابو سلمة » •

قال : «وكيف ابو سلمة ؟»

قال : «هو عمدتنا وذخرنا . وهذه الاموال كلها من عنده ، فانه لا يدخر وسعا في سبيل الدعوة» •

فتذكر صالح ان ابا سلمة هذا من كبار الاغنياء ، وانه بذل ماله في نصرة الشيعة ؛ وكان قبل ظهور ابي مسلم ينصر شيعة علي اسوه بسليمان ابن كثير ، فلما تحولت الدعوة الى العباسيين ورأسها ابو مسلم . أذعن

كما أذعن ابن كثير ، وصار يبذل أمواله في نصرتهم • ومرت القافلة وهما واقفان يتكلمان ، وصالح ينظر الى الاحمال الكثيرة وفيها صناديــــق الاموال • فقال للفارس : «واصلوا السير مسرعين الى مرو ؛ ولا تقفوا في هذه المحطة لتصلوا عند العشاء • أما انا فسأجعل طريقي الى الكوفة لنبشر شيعتنا بالفتح» •

ثم سار الفارس في سبيله . وتظاهر صالح بأنه يسير نحو الكوفة . حتى اذا توارت القافلة عن بصره . رجع مقتفيا أثرها بحيث يرى اطرافها ولا يراه احد من اهلها ، فرآها لم تقف عند وصولها الى المحطة الا قليلا ثم اقلعت ، فسر بذلك ، ومضى الى خيمته وبدل ثيابه . وهو يفكر في ابي سلمة الخلال والسبيل الى تحويله عن نصرة ابي مسلم ، وفيما هو في ذلك جاء اليه سعيد الصقلبي مسرعا مضطربا وقال له : «أدرك مولاتــي الدهقانة ، فانها افاقت من نومها تبكي وتنتحب ، ولا نعلم ما بها» •

فعلم انها تبكي يتمها وغربتها وقد اخذت تعي مصابها وتتبين هوله ، فأسرع الى خيمتها ، فلقي ريحانة بالباب تشير اليه ان يسرع • فدخــــل الخيمة فرأى جلنار جالسة وشعرها مرسل على كتفيها ، وقد احمرت عيناها وتكسرت أهدابها من البكاء ، فلما رأته قالت له : «آه يا صالح ، بل يا ضحاك لاني هكذا كنت أناديك ايام نعيمي» •

فقال : «هوني عليك يا مولاتي ، هل حدث شيء جديد ؟»

قالت وهي تمسك نفسها عن البكاء : «آه يا صالح ، كنت نائمة فرأيت كأن ذلك القاسي جاءني وفي يده خنجر ، وهم بقتلي ، فصحت به : (ويلك يا ظالم ، أهذا جزاء المحبة ؟) وعنفته وعاتبته عتابا شديدا وهو واقف لا يتكلم • وكنت مع شدة غيظي وحنقي أشعر بشيء في قلبي يجذبني نحوه، وكأن بين ناظريه وقلبي رباط لا ادري كنهه ؛ فقلت له : (لا يغرنك ضعف هذا القلب فاني سأغلبه وأغلبك وأنتقم لابي شر انتقام) ••»

فقطع صالح كلامها متماجنا وقال : «احذري ان تذكري اسمي او تقولي له اني خادمك في الانتقام لئلا يرسلني الى خوارزم» . قال ذلك وضحك .

فلم يسع جلنار الا الضحك رغم ما بها ، ثم امسكت نفسها ونظرت اليه شزرا ، فابتدرها قائلا : «لا ذنب لي فانك ناديتني باسمي القديم وتمنيت ان أرجع اليه فرجعت ، والضحك على كل حال خير من البكاء . ولم اكن أعهدك تهتمين بأضغاث الاحلام وتستسلمين للضعف النسائي . وقد طلبت اليك منذ اول خطوة خطوناها أن تخلعي هذا الضعف» .

قالت : «لا ازال متعبة ، لا استطيع تفكيرا او عملا» .

قال : «لا أكلفك عملا ، فقد شرعت في العمل فكتبت كتابا الى سليمان بن كثير (وذكر فحواه) ، وانما اطلب اليك الصبر» .

فشعرت جلنار بثقل أزيح عن صدرها وقالت : «صدقت لا حيلة لي غير الصبر» . ثم مسحت عينيها والتفتت الى ريحانة فرأتها تذرف الدموع بلا بكاء ولا شهيق . فلما رأت مولاتها تنظر اليها تبسمت والدمع ملء عينيها وقالت : «تجلدي يا مولاتي ، ان الفرج قريب باذن الله» .

ورأى صالح ان يغير مجرى الحديث فقال لجلنار : «اخبريني يا مولاتي ، هل تعرفين ابا سلمة الخلال ؟»

فظلت جلنار صامتة مطرقة كأنها تستوحي ذاكرتها ، ويخيل اليها انها سمعت بهذا الاسم قبل الان ، فبادرت ريحانة الى الجواب قائلة : «اظن مولاتي لا تذكره ، ولكنني أعرف هذا الاسم جيدا فانه لرجل فارسي من اثرياء العراق وفارس ، وكان بينه وبين مولاي رحمه الله علاقات قديمة ، وكثيرا ما كان يزوره وينزل في داره اياما . وكانت مولاتي لا تزال صغيرة» .

فابتسم صالح وبدا السرور في وجهه وقال : «ان الرجل من اكبر

دعائم هذه الدعوة ، فهو يؤيدها بماله كما يؤيدها ابو مسلم بسيفه ودهائه . وكان ابن كثير يدعو للعلويين ثم اطاع ابا مسلم في الدعوة الجديدة مرغما . فاذا استطعنا تحويلهما عن الدعوة ضمنا فشلها وفشل ابي مسلم ، ولاسيما اذا استطعنا القبض على ابراهيم الامام نزيل الحميمة » .

فقالت جلنار : «تذكرت ابا سلمة هذا ، وأذكر انه جاءنا مرة ومعه الهدايا والاحمال وفيها الحلي والجواهر وكان ابي رحمه الله يحبه» .

فقالت ريحانة : «وأنا اعرف امرأة من نسائه اصلها من مرو ، بينها وبين أم مولاتي الدهقانة رحمها الله قرابة» .

فقال صالح : «لقد هان الامر الان ، فأرى ان نحمل مولاتنا الى الكوفة ، فتقيم آمنة بمكان نختاره ، ثم أذهب انا لقضاء المهمة الاولى في الشام ، وآتيكم الى الكوفة ، وسأصطحب الحلبي فقط لانه يعرف الشام، والأن لا بد لنا من الاسراع في الرحيل لئلا يكشف ابو مسلم مكاننا فيذهب سعينا عبثا» .

- ١٢ -

مروان بن محمد

كان الامويون ، قد اتخذوا دمشق عاصمة للخلافة بعد ان آلت اليهم واغتصبوها من اهل البيت الذين كانوا يتخذون المدينة عاصمة لهم .

وكانت دمشق من المدن العظمى التي لها شأن كبير في التاريخ القديم،

فلما جعلها الامويون عاصمة خلافتهم حدثتهم انفسهم بأن ينقلوا اليها منبر النبي من المدينة ، ليضيفوا الى عصبيتهم اعظم أثر اسلامي يفاخرهم به اعداؤهم المقيمون بالحجاز . ولكن هذا لم يتيسر لهم فاكتفوا بالعصبية العربية ، وظلوا يحكمون المسلمين نحو مائة سنة ، وامتد سلطانهم الى معظم انحاء العالم المعمور في ذلك الحين ، وبلغ العرب على عهدهم اسمى درجات العز . والدولة الاموية اقوى دول العرب وأشدها بطشا ، وهي وحدها (بعد الراشدين) الدولة العربية الخالية من شوائب العجمة ، لأن أمراءها عرب ، وعمالها عرب ، على انها بالغت في تعصبهـــا للعرب ، واستبدت بالفرس وغيرهم ممن دانوا لسلطانها حتى نقموا عليها وأعانوا اهل البيت على حربها لاخراج الامر من يدها .

وكان على عرش الخلافة ايام قصتنا هذه ، مروان بن محمد ، وهو من خير الخلفاء وأكثرهم حمية وحزما وغيرة على الاصلاح ، ولكنه جاء وقد تسكن الفساد من جسم الدولة الاموية ، وتسرب الخلل الى كيانها حتى انقسمت على نفسها ، فقام من بني أمية غير واحد يطلب الخلافـــة لنفسه ، واستطاع مروان ببسالته وتعقله التغلب عليهم . وكان الخلفاء الذين تقدموه قد انغمسوا في الترف واللهو ، فلما تولى مروان الخلافة ورأى ما هي عليه من الوهن ، حزم أمره وحرم الخمر واللهو في مجالسه، وعكف على تدبير شؤون الدولة . ولكن هذا كله لم يجده شيئا ، لان الدعوة العباسية كانت قد استفحلت في ايامه ورسخت أقدامها فـــــي خراسان ، وانتشر دعاتها في انحاء فارس والعراق . فارتبك وبذل جهده في دفع اعدائه .

وكانت ثقته عظيمة بنصر بن سيار ، لانه شيخ جليل حنكته الايام ، وفي طبعه ميل الى الاصلاح . فألقى اليه مقاليد خراسان وأوصاه بحمايتها وحفظها من الشيعة . ولم يدر بخلده الخوف عليها لعلمه بقلة الشيعـــة

وتسترهم ، حتى جاءه النذير بسقوط مرو ، وفرار نصر بن سيار منها بأهله وأولاده ، فسقط في يده وأيقن بخروج خراسان وما وراءها من سلطانه ، وأصبح يخشى ضياع الملك كله .

وكان مروان قد أدرك الثالثة والستين من عمره ، وأمه كردية ، وذلك نادر بين الخلفاء الامويين لمحافظتهم على العصبية العربية ، خلافا لمـــا صارت اليه الحال في ايام بني العباس فيما بعد . فان معظم خلفائهم من الهجناء ، اي من آباء عرب وأمهات غير عربيات . وكان مروان قـــوي الجسم ربع القامة ، ابيض اللون ، شديد السهلة ، ضخم الهامة كث اللحية ابيضها . فأخذ يجمع رجاله وقواده ويشاورهم فيما صارت اليه الدولة من الاضطراب ، وقد اخذ في اعداد الجنود وهم بأن ينهض بنفسه لانه رأى من الحـــزم ألا يثق بأحد من رجاله في مثل تلك الحال . فكان يقضي نهاره مشاورا ومعظم ليله مفكرا ، وربما قضى الليل كله ساهرا يخطر في غرفته .

فاتفق في احدى الليالي وهو ساهر يفكر فيما جاءه من أنباء تفاقـم امر الشيعة ان جاءه الحاجب مهرولا ، فظنه قادما يصحب رسولا او يحمل رسالة ، وكان من عادتهم ألا يردوا عن باب الخليفة صاحب خبر ولو جاء في نصف الليل او بعده . فصاح فيه مروان : «ما وراءك ؟»

قال : «ان بالباب رجلا غريب الاطوار يسأل المثول بين يدي امـير المؤمنين » .

قال : «لعله صاحب خبر او رسول . من هو ؟»

قال : «لا ادري ، ولما اردت تأجيل امره الى الغد قال ان ما جاء في شأنه لا يجوز تأجيله لحظة واحدة» . قال : «ادخله» .

وكان مروان جالسا على سريره فنهض والتف بالعباءة وأخذ يمشي وظله يتنقل شمالا او يمينا حسب موقعه من الضوء القائـــم في جانب

الغرفة . ولم تمض لحظات قليلة حتى عاد الحاجب ومعه رجل طويل القامة حاسر الرأس ، تجعد شعر رأسه ولحيته وتلبد من الوسخ والاهمال ؛ وعليه قميص يكسوه الى الركبة ، وهو حافي القدمين عـاري الساقين والزندين ، والقذارة ظاهرة على يديه وأنامله وفي وجهه ولحيته وعلـى قميصه وعلى كل شيء فيه ، مع بله ظاهر في نظرته وحركاته .

فلما رآه مروان ابتدره بالسؤال عما يريد ، فأجاب بقولـه : «ألا تدعوني الى الجلوس ؟ كأنك تخاف على الطنافس من جلدي ، ام غرك ما رأيته من زهدي ؟ ان أولياء الله لا يلبسون الحرير والديباج ولا يهتمون بالطيب » .

فلما سمع مروان كلامه هابه . ولم يكن يعتقد بالولاية لانه كان قد اخذ عن الجعد بن أدهم مذهبه في خلق القرآن والقدر ، ولكن شـدة افتقار المرء الى الشيء ورغبته في نيله تسهلان عليه تصديق المستحيل . ومروان في حاجة الى من يشير عليه او يرشده الى الصواب ، فتحمل جرأة الرجل ورحب به وأمره بالجلوس . فجلس على طنفسة ، وجلس مروان على وسادة تجاهه وأصاخ بسمعه : فأخذ الرجل يتمتم بكلام غير مفهوم، ثم مسح وجهه بيديه واعتدل في مجلسه وقال : «اعلم يا مروان اني جئتك برسالة من عالم الغيب اتتني في الحلم ، وقد اوصاني صاحب الرؤيا ان أبادر بابلاغها اليك وأوصيك بوصية ، فهل انت على استعداد لسماع ما اقول ؟» . قال : «نعم قل» . فقال الرجل : «بدأت رؤياي بصوت ايقظني واذا برجل ينادي (الحميمة .. الحميمة .. الحميمة) . فقلت : (ومـا الحميمة ؟) . قال : (في الحميمة اصل الشر ورأس العداوة) . فقلت : (وأي عداوة ؟) . فزجرني وقال : (اذهب الى امامكم مروان بن محمد ، وقل له ان عدوه الاكبر ابراهيم في الحميمة ، وهو اصل متاعبه ، فاذا قبض عليه وقتله فقد قطع رأس الحية) . وأحببت ان أستزيد صاحب

الصوت ، ولكنني استيقظت ، فلم يسعني الا المبادرة اليك . وها قد بلغت رسالتي ، وسأعود الى مغارتي» . قال ذلك وهم بالنهوض ، فأقعده مروان وسأله رأيه في هذه الرؤيا فقال : «نحن لا نفسر الرؤيا ، وانما ننقلها كما اتتنا ، فعليك الان ان تسأل عن الحميمة ، فاذا كانت قرية فابعث من يبحث فيها عن رجل اسمه ابراهيم» .

وكان مروان قد ادرك ان ابراهيم المقصود هو ابراهيم الامام صاحب الدعوة العباسية ، ولم يكن يعرف مقره ، فصدق رؤيا الرجل لانها وافقت هواه ــ والانسان وان أنكر السحر وكذب اقوال السحرة اذا رأى في أقوال احدهم قولا يوافق ما في نفسه مال الى تصديقه ــ ثم تذكر مروان انه يعرف بلدة بالبلقاء اسمها الحميمة ، فعزم على ارسال الجند اليها للبحث فيها عن ابراهيم الامام والقبض عليه . ولاحظ ان الشيخ ما زال متحفزا للخروج فقال له : «امكث يا شيخ عندنا على الرحب والسعة» .

فقال وهو ينفض يديه : «أعوذ بالله ! أتريد يا مروان ان تحجب عني وجه الخالق وتفصل بيني وبين اهل الغيب ؟»

فقال مروان : «اخبرني اذن ما اسمك وأين مقامك حتى أبعث اليك عند الحاجة» .

قال : «لا أقدر على ذلك الان ، ولا حاجة لك الي ، فاني انما أبلغك ما اراه في الرؤيا او أسمعه من الهاتف ، ولا جواب عندي على ما قد تسأله . فاذا شئت ان تنتفع بي، فدعني أنصرف الى مغارتي . واذا اتتني رؤيا اخرى ، او وجدت مكانا للقول فاني آتيك على عجل . وكل ما اطلبه ان تأمر حاجبك ألا يمنع بابك عني ، وألا تطلع احدا على امري» .

فرأى مروان في كلام الرجل قوة ، وكان يود استبقاءه . فلما سمع قوله لم يشأ ان يخالفه ، فقال له : «اصبر اذن لنأمر لك بالجائز» .

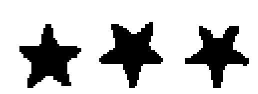
فقال : «اننا لا نأكل طعامكـــم ، ولا نشرب شرابكم ، ولا نمس اموالكم . فهكذا أمرنا ، فاطلق سراحي يا مروان او اقتلنـــي فاني بين يديك ، ولا ارى سببا لتأخيري سوى انك تريد نفسي ، فخذها» .

فاستغرب مروان غضبه بلا سبب وقال في نفسه : «لعلها أخـــلاق أمثاله من اهل الصلاح» . ثم اخذ يلاطفه ليخفف من غضبه ويسترضيه فقال له : «افعل ما بدا لك ، واذا شئت فاني أرسل معك من يوصلك الى حيث تقصد» .

فقال والغضب باد في وجهه وفي صوته : «أريد منك يا ابن الكردية ان تطلق سراحي قبل ان تزهق روحي» .

فحمل مروان قوله هذا ايضا على انه من عادة النساك لاعتزالهـــم الناس وانقطاعهم للعبادة آناء الليل وأطراف النهار في مغارات لا يرون فيها انيسا ولا يعاشرون غير الحشرات ، فقال له : «سر في حراسة الله ، واعلم أن بابنا لا يغلق دونك ليلا ولا نهارا» . ثم امر الحاجب ان يخلي سبيله وأوصاه بألا يذكر خبره لاحد . فخرج مهرولا بخطى واسعة ، وعاد مروان الى حجرته وقد شغل بما سمعه من الناسك . وما لبث ان بعث في طلب بعض خاصته وأهل ثقته ، فلما جاءوه قال لهم : «لقد رأيت رؤيا دلتني على مكان الامام ابراهيم» . فقالوا : «وآين هو مقيم ؟» . قال : «في الحميمة بالبلقاء بين بعض الشيعة هناك» . ثم استشارهم في ان يبعث الى هناك بمن يقبضون عليه ، فوافقوا على هذا الرأي .

وكتب مروان الى عامله في البلقاء بأن يتوجه الى الحميمة، ويبحث فيها عن رجل من العباسيين اسمه ابراهيم ، وذكر له آوصافه . ثم يقبض عليه ويأتي به اليه .



كان الناسك . او صالح ، او الضحاك ، قد أوصل جلنار ومن معها الى الكوفة ، وسأل عن منزل ابي سلمة الخلال فعلم ان له معسكرا خاصا في محلة «حمام أعين» خارج الكوفة يقيم به ومعه حاشيته ورجـــال بطانته ، كأنه في دولة قائمة بنفسها ، وأهل الكوفة يرعون حرمته ويخشونه ولاسيما بعد قيامه بالدعوة العلوية ، وبذله الاموال الطائلة في سبيلها . ثم استمراره في البذل لنصرة الدعوة بعد ان صارت للعباسيين وقام بها ابو مسلم .

وكان ابو سلمة يتوقع فشل ابي مسلم في الدعوة لابراهيم الامام . ليعود هو الى الدعوة العلوية ، وقد مهدت لها الاسباب . على ان تظاهره بالدعوة لبني العباس خوفا من بطش ابي مسلم به ، لم يكن يمنعه من بغض كبار قوادها وبعض الشيعة من اهل الكوفة ، وكان هؤلاء يتملقونه ليستدروا أمواله ويستعينوا بها على نجاح الدعوة .

فلما وصل صالح بمن معه الى الكوفة ، وعلم ان أبا سلمة معسكر في «حمام أعين» قصد بهم محلته . فحطوا رحالهم ونصبوا خيامهـــم خارجها للاستراحة ، وذهب هو وريحانة حتى اتيا المعسكر فطلبا مقابلة ابي سلمة فأدخلوهما الى فسطاط كبير مبطن بالحرير الاحمر ، وببابـــه الحراس ، ودلائل الثروة ظاهرة على رياشه وأساطينه . وكان صالح بلباس اهل خراسان ، فرحب به ابو مسلم وسأله عن غرضه ، فقال : «اذا أذن مولاي فان معي جارية ارجو ان يسمح لها بالدخول» .

فأذن ابو سلمة في دخول ريحانة ، فدخلت وقد غطت وجهها بالخمار على عادة النساء ، ووقفت متأدبة فدعاها الى الجلوس فقالت : «ألا يذكر مولاي انه رأى هذا الوجه ؟» . وكشفت عن وجهها .

فلما وقع نظره عليها تذكرها وقال : «ريحانة ؟» . قالت : «نعم يا مـــولاي» .

قال : «وأين مولاك الدهقان ؟ هل تركته ؟»

فقالت بصوت مختنق : «لا يا سيدي بل هو الذي تركنا» • ولم تستطع ان تمسك عن البكاء •

فلم يستغرب ابو سلمة بكاءها لظنه ان مولاها طردها ، فقال لها : «وكيف تركك ؟» • فلم تجبه واستمرت في البكاء • وتصدى صالح للاجابة فقال : «اذا اراد مولاي ان نقص عليه الخبر ، فليأمر بأن تذهب جاريته الى دار النساء ، ويأذن ايضا في ذهاب الدهقانة جلنار ابنة صديقه دهقان مرو معها ، لانها مقيمة خارج هذا المعسكر !»

فدهش ابو سلمة وقال : «جلنار ايضا هنا ؟ وأين ابوها ؟»

قال : «اذا امرت بدخولها دار النساء قصصت عليك خبرها» •

قال : «لتدخل حالا ، فان شيرين زوجتي ستسر برؤيتها» •

ثم نهض وأخذ صالحا معه الى دار مجاورة خاصة بحريمه ، فأدخل ريحانة وقال لصالح : «ارسل بعض الخدم ليأتوا بجلنار» • فشكره وذهب هو الى جلنار فجاء بها الى الدار ، فاستقبلتها الجواري وذهبن بها الى خالتها ، فلما رأتها شيرين القت نفسها عليها وجعلت تقبلها وترحب بها لانها كانت تحبها كأولادها ، فهاجت تلك القبلات ذكرياتها عن موت ابيها وفرارها ، فغلب عليها البكاء ولم تقو على مغالبته • وجاءت ريحانة فأخذت تخفف عنها بعبارات استدلت شيرين منها على وقوع الفتاة في مصيبة ، فأجلستها بجانبها وجعلت تمسح دموعها وتقبلها •

ودخل ابو سلمة دار النساء فرأى جلنار على تلك الحال ، وقد توردت وجنتاها واحمرت عيناها وتكسرت أهدابهما ، فنادى ريحانة ، فأتته ايضا وهي تبكي ، فسألها عن سبب هذا البكاء فقالت : «ستسمع ذلك من صالح ، ولولاه لكنا في عداد الاموات» •

فرجع ابو سلمة الى صالح وعلامات التأثر بادية في وجهه ، فأدرك

صالح ان قد آن الوقت لاطلاعه على الامر ، فقال : «انها تبكي أباهـا الدهقان » .

قال : «وما الذي اصابه ؟» . قال : «قتلوه» .

قال : «ومن قتله ؟» . قال وهو يتظاهر بالتهيب : «قتله .. قتله .. قائد رجال دعوتكم !»

قال : «ابو مسلم ؟» . قال : «نعم يا سيدي» .

فهز ابو سلمة رأسه اسفا وقال : «لا حول ولا قوة الا بالله . ولماذا قتلـه ؟ »

قال : «قتله لانه بذل كل ما في وسعه لنصرته !»

فضحك ابو سلمة ضحكة يمازجها غضب شديد وقال : «كيف يقتله لهذا السبب ؟ قل الحق» .

قال : «هذا هو الحق وحياة رأسك ، انه كان يعطيه الاموال بالبدر، وقد أوعز الى سائر دهاقين خراسان ان يناصروه بالمال والرجال !»

فقال ابو سلمة : «هذا غير معقول» . فاعتدل صالح في مجلسه ، وقال : «وعل يستغرب ذلك من رجل يقتل على الشبهة ؟ ألم نسمع بوصية الامام ابراهيم ؟»

فأمسك ابو سلمة لحيته بيده ، وقال : «انا لله وانا اليه راجعون» . وبدا كأن في خاطره شيئا يخاف اظهاره . فتظاهر صالح بالبكاء والحزن، وقال بصوت ضعيف : «ان كل ذنب الدهقان انه تفانى في نصرة الدعوة لامام يوصي بالقتل على الشبهة ، وكان عهدنا بالأئمة انهم لا يقدمون على قتل نملة بغير حق !»

فلم يتمالك ابو سلمة ان قال : «اولئك أئمة الهدى ابناء بنت النبي ، وأبناء الامام علي كرم الله وجهه» . وأطرق .

فاغتنم صالح الفرصة وقال : «فلماذا حولتم الدعوة اذن الى هؤلاء

وأنتم اصحاب الامر ؟» ام الدعوة لا تزال لابناء الامام علي وانما تظهرون البيعة لابراهيم لغرض لا نعلمه ؟»

فسكت ابو سلمة ولم يجبه ، فعاد صالح يقول : «يلوح لي ان اولئك الناس داهنوك وخدعوك طمعا في أموالك . وأنا أعلم يقينا انك غير راض بامامهم هذا . ولكنك لا ترى ان تفند عليهم امرهم بالجهر بما في نفسك عليهم» .

فلم يعد ابو سلمة يستطيع كبت ما في نفسه وقال : «كلا ، ولكنني أعلم انني لو قلت ما في نفسي لم اجد من ينصرني . ولا ادري كيف تغيروا جميعا وقبلوا الدعوة لامام يوصي بمثل تلك الوصية ؟»

ففرح صالح بهذا التصريح وقال : «وماذا عسى ان يكون من امر هذا الامام وهو كأحد الناس ، وأنتم الذين انزلتموه هذه المنزلة ، وجمعتم له قلوب اهل فارس وخراسان ؟»

وكان ابو سلمة جالسا يسمع كلام صالح ، فلما سمع قوله هذا ، هب من مجلسه فجأة ، وجعل يخطر في الغرفة ذهابا وايابا ومطرفه يجر وراءه ، وصالح يراقب حركاته ، ثم وقف ابو سلمة امام صالح وقال : «قد جمعنا له قلوب اهل خراسان وفارس ، ومكناه من سيوفهم وأيديهم وألسنتهم ، فأصبح صاحب الامر والنهي ولا حيلة لنا الان» .

فقال صالح : «الحيلة سهلة يا مولاي» .

فضحك مستهزئا وقال : «كيف تستسهل ما لا سبيل اليه ، ان مئات الالوف من الفرس وغيرهم يدعون له الان ، فكيف نستطيع تغيير قلوبهم؟»

قال : «ما قولك في قطع الشجرة من جذرها وأخذ الرجل بشريعته ؟»

فلما سمع ابو سلمة قوله ، أطرق وسبابته بين شفتيه ينقر بها قواطعه ويده الاخرى في منطقته ، ثم رفع بصره اليه وقال : «ومن يجرؤ على ذلك ؟»

قال : «تدبير ذلك علّي • انا اقتله دون ان يشعر بذلك احد • ولا شك في ان قتله يسهل اعادة الدعوة الى اهلها ومقاومة ابي مسلم ، فان هذا لا يستطيع عملا دون معونتك ، واذا علم الناس بمقتل صاحب الوصية فلا شك عندي انهم يسرون ، وأولهم هذه المسكينة التي قتل ابو مسلم أباها ونهب قصره وجعلها شريدة طريدة ، ولو انه علم بوجودها هنا لأرسل من يقتلها ، ويقتلك معها اذا وقفت في سبيله ، بل ان هذه هي عادته مع كل من ناصروه متى وجد نفسه غير محتاج الى نصرتهم • فليحذره كـــل منكم » •

فتجاهل ابو سلمة وقال : «وهل انت واثق من قدرتك على مـــا ذكـــرت ؟ »

قال : «لك علي ان اقوم بذلك في بضعة ايام • ان صاحبكم فـــي الحميمة ، وأنا أعرف الطريق اليه» •

واستبشر ابو سلمة بما سمعه من صالح اذ صادف هوى في نفسه ، وتوسم فيه قوة ودهاء ، فأظهر له الارتياح ، وعزم على استخدامه وهو لا يعلم ان صالحا انما فعل ذلك خدمة للخوارج وانتقاما لنفسه من ابـــي مسلـــم •

فلما بلغ بهما الحديث الى هذا الحد ، اشار ابو سلمة الى صالح ان ينزل للاستراحة في دار الاضياف على ان يعودا الى الكلام في الامر • فقضى صالح بقية يومه في الراحة وتدبير بعض الشؤون ، ثم افضى الى ريحانة بما دار بينه وبين ابي سلمة ، وأسر اليها بوصية تقولها لجلنار ، كما أوصاها بالسهر على راحتها حتى يعود من مهمته في الشام مصطحبا سليمان الحلبي لانه يعرف تلك البـــــلاد • ثم دعا سعيدا وأبا العينين فأوصاهما بكتمان الامر • وفي اليوم التالي استأذن في الرحيل ، فعرض عليه ابو سلمة بعض المال ، فأبى وقال : «اني اقوم بهذا الامر لوجه الله

ولا أبتغي عليه اي جزاء» •

- ١٣ -

ابو جعفر المنصور

ركب كل من صالح وسليمان جملا خفيفا ، وحملا ما يحتاجان اليه من الطعام والماء ، وتوجها الى الشام• وكان صالح خلال ما مر به من الاحداث لا يكف عن البحث عن مصير شيبان والخوارج • وكان شيبان قد رحل عن مرو لما أيقن بوقوعها في يد ابي مسلم • فلما استتب الامر لهذا ، بعث اليه يدعوه الى البيعة فأجابه شيبان : «بل انا ادعوك الى بيعتي» • فكتب اليه ابو مسلم : «ان لم تدخل في بيعتنا فارتحل» • فسار شيبان الى «سرخس» واجتمع اليه كثيرون من بكر بن وائل ، فخافه ابو مسلم وبعث اليه رسلا يفاوضونه في الصلح فسجنهم ، وأرسل ابو مسلم اليه جندا طاردوه من بلد الى بلد حتى دخل المدينة فقتل فيها وذهب امر الخوارج•

وجاء الخبر بمقتل شيبان الى صالح وهو في طريقه الى الشام ، فشق الامر عليه وكاد يذهب بنشاطه وسعيه ، ولكنه ذكر اساءة ابي مسلم اليه ورأى انه مطالب ايضا بالانتقام لشيبان والخوارج •

وما زال يواصل السير هو وسليمان حتى وصلا الى دمشق فنزلا في ضاحيتها ، وقضى صالح اياما يدرس أحوالها • ثم ترك سليمان هناك ، وسار الى الحميمة فتحقق وجود بني العباس بها وفيهم ابراهيم الامام ، ثم عاد فتنكر في زي ناسك وذهب الى مروان بن محمد محرضا اياه على

قتل ابراهيم الامام بالحيلة التي ذكرناها • فلما خرج من عنده سار توا الى حيث ترك سليمان الحلبي ، وهناك بدل قيافته فلبس العمامة والجبة كأهل الشام ، فبدت عليه سيماء اهل التقوى ، وأمر سليمان ان يسير وراءه كأنه خادمه ، وأوصاه بوصايا تنفعه في المهمة التي هما سائـــران فيها • ثم سارع الى البلقاء وتوجه الى الحميمة ، فنزل في خان هناك • وأشاع خادمه سليمان انهما قادمان من الحجاز ، لمقابلة رجل سيكون له شأن عظيم اسمه ابراهيم ، فلما سمع اهل الحسيمة ذلك خشي الذيـــن يعرفون منهم ابراهيم الامام ان يكون في الامر دسيسة ، فأنكروا وجود احد بهذا الاسم في البلدة ، وأخذ بعضهم يقصدون الى صالح في الخان للتجسس عليه ، فكان يتظاهر بالبله ويقول : «تكبدت مشقة السفر من الحجاز الى الشام لأرى الامام وتمنعونني منه ، وأنا انما جئت لانبئه بأن هاتفا جاءني وأوحى الي انه في خطر قادم قريب ؟!» • ولم يقل صالح ذلك الا وقد تحقق قرب وصول رجال مروان ، بحيث لم يعد الفرار في استطاعة ابراهيم ومن معه • وكان هذا حين علم بأمر صالح قد أرسل اليه اخاه أبا العباس متنكرا لاستطلاع حقيقته ، فلما سمع ابو العباسي اقوال صالح لم يعبأ بها ولا بدعواه انه من الاولياء • وأنبأ بذلك اخاه ، مرجحا ان الرجل جاسوس او دجال •

ولم يمض على ذلك يومان حتى جاءت جنود مروان فجأة فأحاطوا بالمحلة ، ودلهم بعض اهلها على دار بني العباس وكانوا كثيرين ، فقاوموا الجند ، ثم قال لهم رئيس هؤلاء : «ان امير المؤمنين لا يريد بكم الا الخير، وهو يطلب ان يقابله واحد منكم اسمه ابراهيم لاستطلاع رأيه في بعض الامور ، ثم أعادته عزيزا مكرما • فاذا أبيتم اطاعة امر الخليفة فاننـــا سنضطر الى حملكم جميعا بالقوة» •

وهنا تذكر القوم كلام صالح ، واعتقدوا صدقه بعد ان لم تبق امامهم

حيلة للنجاة ، فتشاوروا فيما بينهم وأجمعوا على ان يسلموا الامـــام ابراهيم ، فسلموه • وبقي اخوته الثلاثة وهم : ابو العباس ، وأبو جعفر المنصور ، وعبد الوهاب • وخشي ابراهيم ان يقتله مروان ، فأوصـــى بالامر بعده الى اخيه ابي العباس ، وأمره ان يتنقل بمن بقوا معه الـــى الكوفة وفيها شيعتهم •

علم صالح بالقبض على ابراهيم فسر لنجاح مسعاه ، ولما جاء المساء جلس للعشاء وهو لا يزال بلباس اهل الشام ، وقد تنكر وصبغ لحيته بالحناء وجعدها بحشوها بالشعر ، وتظاهر بالبله • فلما فرغ من العشاء، قعد في حجرته يتوقع ان يأتيه بعض اهل الامام للاستشارة بعد ان تحققوا صدق نبوءته ، واذا بخادمه سليمان قد دخل يقول : «ان بالباب رجلا شريفا يود ان يراك» • فتظاهر بعدم رغبته في لقاء احد في تلك الساعة لاشتغاله بالصلاة ، ثم أذن للقادم فدخل عليه شاب اسمر نحيف البدن ، عليه قباء اصفر وعمامة سوداء والهيبة تتجلى في وجهه مع صغر سنه ، فعرف صالح انه ابو جعفر المنصور ، وكان قد رآه من قبل ، فرحب به قائلا : «مرحبا بصاحب القباء الاصفر» •

فلما سمع المنصور قوله دهش وتحقق كرامته واطلاعه على الغيب ، فأسرع اليه واستأذنه في الجلوس ، فجلسا وصالح يبتسم كأنه يضمـــر شيئا فقال له المنصور : «لقد جئتك لاني تحققت كرامتك ، فهل أبوح لك بما في نفسي ؟» •

قال : «سواء أبحت ام كتمت ، فاني عالم بما في نفسك ، فاذا احببت ان أطلعك على ما في ضميرك فعلت ، واذا شئت ان تقول فاني اسمع» •

فازداد المنصور اعجابا بالرجل وقال : «قد تحققت صدق كرامتك من اول كلمة سمعتها منك ، وانما اطلب اليك ان تخرج خادمك لأكلمك على انفراد » •

فأشار صالح الى الخادم فخرج • ثم اخذ يعبث بلحيته وهو مطرق يجيل عينيه في جوانب الحجرة كأنه يفتش عن ضائع ، فابتدره المنصور قائلا : «أتعلم لماذا جئتك ؟»

وكان صالح يعلم ان العباسيين لا يهجسون الا بالخلافة وكل منهم يطمع فيها لنفسه ، فقال له : «جئتني في شأن الخلافة !»

فقال المنصور : «صدقت ، وأرجو ان تشير علي بما تراه» •

وكان المنصور شديد الاعتقاد بالتنجيم ، وقد علم بذلك صالح • فقال له : «اني خبير بالتنجيم الروحاني ، أطلع على المخبآت بمراقبة النجـوم ولكنني لا أستخدم الاسطرلاب • فقل ما تريد ، فاني سامع» •

قال : «لقد عرفت صدقك من قبل • ولم يسعدنا الحظ بالعمل برأيك الا بعد فوات الفرصة ، فأخذوا اخي الامام ابراهيم اسيرا ، ولا ندري ما مصيره • غير اننا لا نرجو بقاءه ، وقد أنبأنا هو بذلك وأوصانا بوصية تتعلق بالبيعة» •

فقطع صالح كلامه ، وقال : «البيعة لك» •

فقال : «وما أدراك انها لي ؟ فقد أوصي بها لاخي ابي العباس الليلة» •

قال : «بل هي لك ان لم يكن عاجلا فآجلا» •

وكان المنصور من اهل الذكاء والدهاء ، ولكنه اعتقد صدق صالح وتوسم الولاية في وجهه لما شاهده من تبالهه فقال له : «انما جئتك لهذه الغاية وقد تحققت صدقك منذ ناديتني بصاحب القباء الاصفر» •

ولم يكن صالح قد عني شيئا بتلك الكلمة ، ولكنها صادفت اعتقادا قديما للمنصور ، وأخذ يروي له قصة ذلك فقال : «ان امر القباء يشهد بصدقك ، فقد اجتمع بنو هاشم منذ زمن في المدينة وأنا معهم ، للنظر في امر البيعة بعد ذهاب دولة بني أمية ، وكان الامام جعفر الصادق حاضرا فقال : (لا ينال الخلافة الا صاحب القباء الاصفر) • وكنت لابسا هـذا

القباء ، فانطوت نفسي على الامر ورتبت العمال من تلك الساعة» .

فسر صالح بهذه الصدفة ، وأخذ يستخدم دهاءه لاتمام الحيلة فقال: «ألم اقل لك ذلك ؟»

قال : «نعم ، ولكن الواقع انهم بايعوا قبلي لاخي ابراهيم ، ولما ساقوه اليوم الى السجن بايعوا لاخي ابي العباس ، وقد اوصانا ابراهيم ان نذهب الى شيعتنا في الكوفة» .

فقطع صالح كلامه كأنه لا يريد ان يسمع قوله ، وقال : «لا .. لا ، بل انت الخليفة.. هذا ما اعرفه، ولو بويع بها كل اهلك فانها صائرة اليك. ابشر بها من الان ، وسترى ويرى ان شاء الله» . قال ذلك ووقف كأنه يريد ان يصرف جليسه ، فلم يعبأ المنصور بتدلله لعلمه بأن اهل الكرامة يغلب فيهم غرابة الطباع . فوقف وهو يقول : «ما بالك ؟»

قال : «لقد آن لي ان اعود الى بيتي» .

قال: «ألا تمكث فنذهب معا الى الكوفة، وان صح قولك كافأناك».

قال : «حبذا ذلك ولكنني مضطر للذهاب الى المدينة بجوار قبر الرسول ، وأما الكوفة فلا أعرفها ولا أريد الذهاب اليها» .

قال : «أتشير علينا بالذهاب اليها ؟» . قال : «كيف لا ؟ وفيها ابو سلمة !»

فاستغرب معرفته باسم ابي سلمة بعد ان قال انه لا يعرف الكوفة فقال له : «أما من سبيل الى استبقائك معنا ؟»

قال : «ليس لي الخيار في البقاء او الرحيل . فقد كنت في المدينة من قبل ، فسمعت الهاتف يأمرني بالمجيء لهذه المهمة وقادني الى هنا ، ولكنكم لم تصدقوني فأصابكم ما رأيت . وقد يأتيني مرة اخرى بأمر يتعلق بك فآتيك حينما تكون . اما الان فلا مندوحة عن الرحيل» .

وكان المنصور ذا دهاء ومكر مع ايمانه بالولاية والتنجيم . فلما رأى

صالحا ، رغم الحاحه عليه ، يأبى البقاء عنده ، تحقق ان الرجل منزه عن الغرض ، والا لآثر البقاء معه بعد علمه بأنه سيكون الخليفة . ولما رآه مصرا على الرحيل ، قال له : «ما اسمك وأين مقامك ، حتى اذا وفقت الى الخلافة قربتك واستعنت بعلمك ؟»

قال : «لا تنفعنك معرفة اسمي ولا مكاني . دعني أنصرف الان . وسآتيك عند الحاجة ، وربما جئت عما قريب لاني أشعر بظلمة تحدق بخلافتك اذا انقشعت ظهرت الحقيقة . أما الان ، فأستودعك الله» . قال ذلك ووقف ، فودعه المنصور وخرج .

ورأى صالح بعد ان علم بعزم ابي العباس واخوته على الذهاب الى ابي سلمة ان يسبقهم اليه ليخبره بما كان ، ويدبر حيلة لاتمام ما يبيتانه لآل العباس ، فأصلح لحيته وبدل ثيابه وأمر خادمه سليمان ان يهيىء الجملين . فلما فرغ سليمان من اعدادهما ذهب الى صاحب الخان وجلس ينتظر صالحا . وقد أذهله دهاؤه ومكره . فطال انتظاره وخاف ان يكون قد لحق به سوء ، فسار الى حجرته حتى بلغها فوجدها مغلقة ، فأخذ يتطاول بعنقه ويصيخ بأذنيه لعله يسمع حركة او صوتا يستدل به على شيء ، ثم رأى نورا خارجا من بعض شقوق الباب ولكنه لم يسمع صوتا ، فوقف مترددا بين ان يقرع الباب او يتربص ساكنا . فاذا بالنور قد انطفأ ، ثم سمع وقع أقدام فعلم ان صالحا خارج . وما عتم ان رأى الباب فتح وأطل منه رجل طويل القامة حاسر الرأس حافي القدمين عاري الزندين ، وقد تجعد شعر رأسه ولحيته وتلبد من الوسخ والاهمال ، وعليه قميص طويل يكسوه الى الركبة ، والقذارة ظاهرة على كل شيء فيه . فدهش سليمان لاول وهلة ثم تذكر انه رأى صالحا في مثل هذه الهيئة منذ بضعة ايام فعرف انه هو .

وسارع صالح الى عباءته فالتف بها حتى غطى رأسه ولحيته ، ثم

اشار الى سليمان فتبعه الى الجملين ، فركبا وسارا حتى أمسيا خارج المحلة . فقال صالح : «أتعلم الى اين نحن ذاهبان ؟»

قال : «أظننا ذاهبين الى دمشق» .

قال : «نعم اننا ذاهبان اليها ، وستبقى انت في انتظاري خارجها حتى اعود اليك» .

فقال : «سمعا وطاعة» .

وساقا الجملين طول ليلتهما واليوم التالي وما بعده ، دون ان يستريحا الا قليلا ، وأشرفا على دمشق عند الغروب فاذا بغبار يتطاير قرب بابها ، فوقفا وقال صالح : «اسرع يا سليمان وائتني بخبر هذا الغبار ، واحذر ان يعلم احد بأمرنا» .

فهز سليمان رأسه استنكارا لذلك التحذير ، ثم مضى في مهمته ، وظل صالح في انتظاره على جمله ، وقد التف بالعباءة . وعاد سليمان بعد هنيهة ، فابتدره صالح قائلا : «ماذا رأيت ؟»

قال : «رأيت معسكر الخليفة مروان بن محمد» .

قال : «وهل الخليفة معهم ؟» . قال : «نعم» .

قال : «هل علمت سبب خروجهم ؟» . قال : «علمت انهم عسكروا هنا تأهبا للسفر في صباح الغد» .

قال : «والى اين ؟» . قال : «أظنهم ذاهبين الى القتال في بلاد بعيدة، لكثرة ما أعدوه من الاحمال والاثقال !»

فأطرق صالح مفكرا ، وقد ادرك ان مروان خارج لقتال شيعة العباسيين في العراق ، بعد ان رأى استفحال امرهم بعد فتحهم مرو وزحفهم نحو العراق . فترجل وأشار الى سليمان فنزل ، وجلسا تحت شجرة هناك ، فتناولا طعاما كان سليمان قد تزود به للطريق ، حتى اذا فرغا قال صالح : «اني ذاهب في مهمة الى هذا المعسكر ، فامكث انت

هنا حتى اعود اليك ، وأطعم الجملين ، وكن على أهبة الرحيل» .
قال : «سمعا وطاعة» .

ونهض صالح فخلع العباءة فظهرت قيافته الجديدة بشعره المجعد وقميصه القصير وقذارته ثم تمرغ في تراب ناعم هناك حتى كساه الغبار كأنه قادم من سفر طويل ، وقصد الى معسكر الخليفة .

وكان مروان قد أقض مرقده امر الشيعة في فارس والعراق حتى خاف على سلطانه ، فأخر حملته عليهم حتى جاءه البشير بالقبض على الامام ابراهيم في صباح ذلك اليوم ، فأمر بأن يحبسوه في (حران) وخرج بجيشه ليبيتوا في الغوطة ، ثم يبكروا بالرحيل في الصباح . فلما فرغ من طعامه صرف امراءه وجلس في فسطاطه يدبر شؤونه ، وكان مبلبل الذهن بادي الاضطراب لما أحدق به من الشواغل ، فلم يستطع رقادا . وفيما هو في ذلك جاءه الحاجب يستأذن للناسك المعلوم . فاضطرب لاول وهلة ، ثم شعر براحة واطمئنان وقال : «ليدخل حالا» .

فدخل صالح بهيئته تلك ، فرحب به مروان ولم يجرؤ ان يدعوه الى الجلوس . فابتدره صالح قائلا : «لقد كابدت مشقة كبرى وسفرا طويلا حتى تمكنت من الوصول اليك قبل سفرك» .

فقال : «هل جئت تبشرني بشيء ؟»

قال : «ليس عندي جديد يا ابن محمد ، ولكنني أنبئت بأنهم قبضوا على الرجل ، وانك حبسته في حران ، فاذا أبقيت عليه فكأنك لم تفعل شيئا ، اقتل ، ثم اقتل ، ثم اقتل !»

فأطرق مروان ، ولم يستغرب الرأي وقال : «طب نفسا فانه مقتول» .

فلما سمع قوله تحول يريد الخروج . فهم بأن يدعوه الى الجلوس ولكنه ذكر ما كان من انكاره ذلك في المرة الماضية . فلبث صامتا وهو يرى صالحا يخطو نحو باب الفسطاط خطوات طويلة وعيناه في السقف

حتى خرج من الباب ولم يلتفت الى الوراء !

فعاد مروان الى هواجسه رغم الطمأنينة التي بعثها فيه مجيء الناسك، ومال الى الاعتقاد بكرامته •

وعاد صالح الى حيث ترك سليمان وقد تحقق ان ابراهيم مقتول عما قليل ، فأخذ في التفكير في امر اخوته وذهابهم الى الكوفة وما يكون من امر ابي سلمة معهم • ثم ركب جمله وركب سليمان جمله ايضا ، وسارا مسرعين • وقبل خروجهما من الغوطة ، ترجل صالح عند بركة هنـــاك اغتسل فيها ، ثم أصلح شعره وتلثم بالكوفية والتف بالعباءة ، وسار يطلب العراق ، مواصلا السير ليلا ونهارا حتى لا يسبقه العباسيون الى ابـــي سلمـــة •

وبعد ايام ، أشرف في الصباح على الكوفة ، فأطل على «حمام أعين» فرأى قصورها وحدائقها وفساطيطها ، وذكر المهمة التي هو قادم لاجلها فأيقن انه فائز بغرضه ، فقد اخفق العباسيون بمقتل ابراهيم ، وجاء اخوته وبقية اهله الى ابي سلمة ، وليس أسهل من اغرائه بقتلهم او حبسهم ، فتذهب دولتهم ويفشل ابو مسلم •

وبعد ان استراح هنيهة في ظل شجرة ، ركب مسرعا الى «حمام أعين» وأمر سليمان ان يذهب الى جلنار ليخبرها بمجيئه • ثم سار توا الـــى منزل ابي سلمة وهو لا يزال ملثما بالكوفية وملتفا بالعباءة • فلما وصل الى الباب ترجل وأراد الدخول ، فاعترضه الحراس ومنعوه ، ولكنه قال لهم : «أعلموه اني رسول احمل اليه كتابا» •

فقال احدهم : « لايستطيع احد ان يدخل عليه الآن» •

فقال : «ولكنني رسول اتيته بخبر هام لا ينبغي تأجيله» •

قال : «مهما يكن من شأن رسالتك ، فانا أمرنا ان نمنع الجميع بغير استثناء من الدخول عليه ، لاشتغاله بمقابلة سرية» •

فأوجس صالح خيفة من امر هذه المقابلة ، ولم ير بدا من الاذعان . فتحول الى مقعد بجانب الباب ، وحل عقال كوفيته لاشتداد الحر وجلس يفكر فيما سمعه . وما لبث ان سمع تصفيقا ورأى الحراس في حركة واهتمام ، وقد دخل احدهم ثم عاد يتقدمه رجل قصير القامة غريب الزي عليه عمامة كبيرة ، وقد كحل عينيه وأرسل سالفيه على صدغيه ، وجعل لحيته شطرين أرسل كلا منهما الى جانب من صدره ، وعليه جبة من الخز واسعة ، وبيده عصاة يتوكأ عليها ، ووراءه غلام يحمل على كتفه جرابا مزركشا واسطرلابا كبيرا ، ويتأبط كتابا ضخما . فلما رآه صالح اختلج قلبه في صدره . اذ رأى فيه شبها بابراهيم اليهودي خازن ابي مسلم . ثم تفرس فيه فكاد الدم يجمد في عروقه اذ تحقق انه ابراهيم بعينه ، وندم على نزع لثامه مخافة ان يراه فيعرفه وينكشف امره .

اما ابراهيم فانه خرج يمشي الخيلاء ويضرب الارض بعكازه ملتفتا يمينا وشمالا والحراس واقفون له تجلة واحتراما ، ولما وقع بصره على صالح اخذ يتفرس فيه حينا ، ثم امتقع لونه اذ عرفه ، ولكنه تجاهل وظل سائرا حتى وصل الى بغلة عليها عدة مغشاة بالديباج ، فأسرع بعض الغلمان في تقديمها له ، وأعانه غلامه على ركوبها . ثم ساقها فانطلقت به .

وظل صالحا واقفا ذاهلا ، ثم انتبه وقال في نفسه : «ما الذي جاء بهذا الخبيث الى هنا ؟ لا بد انه قادم بدسيسة !» . ثم التفت الى الحاجب وقال : «هل تظن مولانا يأذن في دخولي عليه الان ؟»

فدخل الحاجب ثم عاد فدعا صالحا الى الدخول ، فدخل حتى أقبل على ابي سلمة في قاعة كبيرة كان جالسا في صدرها وحده على وسادة ، وقد ظهر الاهتمام في وجهه . فلما رأى صالحا ابتسم له ورحب به ودعاه الى الجلوس بجانبه . فهم صالح بتقبيل يده ، ثم جلس ، فقال ابو سلمة : «ارجو ان تكون قد نجحت في مهمتك ليتم حظنا اليوم» .

فقال : «لقد جئتك بما تبتغيه ونجحت في مهمتي احسن نجاح ببركتك ودعائك ، فهل نحن في مأمن من الرقباء ؟»

قال : «نحن في مأمن ، فقل ما بدا لك» •

قال : «لي سؤال ارجو ألا يثقل على مولاي» •

قال : «اسأل ولا ضير» •

قال : «رأيتك اليوم بادي الغبطة • فهل من خبر جديد يدعو الى ذلك ؟»

فضحك ابو سلمة وقال : «وليس ثمة خبر جديد ، ولكن منجما بارعا جاءني منذ قليل ، وقد رأيت منه العجائب وتحققت انه من الحذق في التنجيم بمكان عظيم» •

فقال صالح : «لعله الرجل الذي خرج من عندك الساعة ؟»

قال : «نعم ، هو بعينه المنجم حاييم ، وهو من يهود حران» •

قال : «وكيف عرفت حذقه ؟»

قال : «عرفته مما شاهدته من كشفه الاسرار ، فقد اخبرني بأمور لم يكن احد يعلمها غيري ، وذكر لي قدومك الي وبعض ما حدثتني به» •

فلما سمع صالح قوله ، أجفل وتحقق ان ذلك اليهودي قادم للبحث عنه ، ولكنه استغرب اطلاعه على وجوده هناك وعلى ما دار بينه وبين ابي سلمة ، وخاف ان يبدو ذلك في وجهه ، فتجاهل وأظهر الاستخفاف وقال وهو يضحك : «وما الذي قاله لك ؟»

قال : «أخبرني بما يكنه ضميري في امر العباسيين وطمعهم في الاستئثار بالخلافة ، فأنكرت ذلك لئلا يكون قادما بدسيسة من احدهم، ولكنه لم يعبأ بانكاري ، وبرهن على صدقه بأقوال لم يكن احد عالما بها سواي ، وبعضها لم يطلع عليه احد سواك • ومن ذلك انه ذكر قدومك علينا ومعك ابنتنا جلنار ، وقص علي ما اصابها من الاذى على يد ابي

مسلم ، ورأيته ناقما على هذا الخائن لغدره بها ، مع انه لم يعرف الفتاة ولا ابا مسلم ولا رآهما . وكان لا يقول شيئا الا بعد مراجعة كتابه واستعمال اسطرلابه . فلما رأيت منه تلك المعرفة ، وثقت به وسألته عما يراه في امر المستقبل فطمأنني وبشرني !»

فلم يتمالك صالح عن قطع كلام ابي سلمة قائلا : «هل اخبرته بالمهمة التي ذهبت من اجلها الى الشام ؟»

قال : «لم يترك لي فرصة لاخباره بشيء . بل كان يخبرني بكل ما في نفسي ، وقد ذكر لي ان المهمة التي مضيت في شأنها لا ريب في نجاحها » .

فاستعاذ صالح بالله ، وأيقن ان ابراهيم انما اتى بدسيسة من ابي مسلم للبحث عنه وعن جلنار ، ولكنه استغرب اطلاعه على جلية امرهما. فانقبضت نفسه وأطرق مبهوتا ، ولم يحر جوابا . فأنكر ابو سلمة حاله فقال له : «مالي اراك ساكتا لا تتكلم ؟ اخبرني بما فعلته في رحلتك» .

فقال : «ما الفائدة من نجاحي في مهمتي بعد ما سمعته منك ؟»

فاضطرب ابو سلمة ولم يفهم مراده ، وقال : «ان ما سمعته مني لمما يسر ، فهو يشير لنا بحسن العاقبة» .

قال : «كلا يا مولاي ، بل هو يذهب بمساعينا أدراج الرياح ، ويجعل حياتنا في خطر» .

فازداد ابو سلمة دهشة لما سمعه ولم يفهمه ، وقال : «ولماذا ..؟ قل يا صالح فقد اقلقتني» .

قال : «ان هذا المنجم سينقل كلامك الى ابي مسلم ، وربما زاد فيه من عنده ما يضاعف نقمته علينا» .

فتطاول ابو سلمة بعنقه وحملق بعينيه وتحفز كأنه يهم بالوثوب ، وقال : «ينقل كلامي الى ابي مسلم ؟!. كيف هذا وهو لا يعرفه ؟. أظنك

واهما » .

قال : «لست واهما يا مولاي ، فاني اعرف الرجل معرفة جيدة ، وهو من أتباع ابي مسلم ، بل هو من اكبر ثقاته وأمضى ادوات القتل عنده» .

فقال ابو سلمة وقد تلعثم لسانه من شدة التأثر : «وكيف ذلك ؟»

قال : «قد عرفت هذا اليهودي خازنا عند ابي مسلم ، وعلمت من دهائه ومكره ما أكد لي ان ابا مسلم يعول عليه في التجسس ، ولا ريب عندي في ذلك» .

قال : «وما الحيلة الان ؟»

قال : «لا حيلة لنا الا القبض عليه او قتله حتى لا يستطيع ابلاغ خبرنا الى ابي مسلم» .

قال : «نعم الرأي» . ثم صفق فدخل حاجبه فقال له : «هل تعلم المكان الذي سار اليه المنجم الحراني ؟»

قال : «كلا يا مولاي ، ولكنني رأيته ركب ووجهته الكوفة ، وقد حث بغلته على الاسراع» .

فنظر ابو سلمة الى صالح كأنه يستطلعه رأيه ، فقال صالح : «أظنه ينزل في خان هناك او في بعض منازل اليهود او معابدهم» .

فالتفت ابو سلمة الى الحاجب وقال : «ادع لي ابا ضرغام العيار» .

فخرج الحاجب وقد استغرب صالح طلب ابي سلمة ، فقال له : «هل تنوي ارسال العيار في طلب اليهودي ؟»

قال : «نعم ، وقد ادخرت هذا العيار ومعه نخبة من أمثاله لمثل هذه المهمة لسرعة حركاتهم واطلاعهم على المخبآت» .

ولم يتم كلامه حتى عاد الحاجب ووراءه رجل عاري الصدر والظهر ، مكشوف الرأس حافي القدمين ، ليس عليه من الثياب الا سراويل قصيرة من خيش متين ، وقد علق بكتفه مخلاة مملوءة بالحصى ، وفي يده

اليمنى مقلاع ، وفي اليسرى قطعة من الخبز يمضغها . فابتسم له ابو سلمة وقال : «أتعرف الكوفة يا ابا ضرغام ؟»

فضحك ابو ضرغام وقال : «وكيف لا أعرفها ؟»

قال : «أرأيت المنجم الذي جاءنا في هذا الصباح وخرج من عندنا الان ؟ »

قال : «أتعني اليهودي المكحل صاحب العكاز ؟ . لقد رأيته خارجا ووراءه غلامه ، وقد اعجبني الجراب الذي كان يحمله فانه يصلح لحمل الحصى » .

قال : «أتستطيع ان تأتيني به ولك جرابه ، وملء جرابه مما تشتهي؟ وهو قد ذهب الى الكوفة ، فاما انه نزل في خان بها ، او نزل عند بعض اليهود » .

قال : «اني اسوقه اليك كما يساق الغنم للذبح ، ولكن هب اني لم أستطع استقدامه حيا فماذا أفعل ؟»

قال : «انني أوثر ان تأتيني به حيا . هل يعسر عليك ذلك ؟»

فهز العيار رأسه وضحك ، ثم قال : «يعسر علي ؟! كلا فأني سائقه اليك ولو كان في الجحيم ، وهب انه طار في الهواء فاني أرسل اليـــه حجرا بهذا المقلاع» . قال ذلك وأشار الى المقلاع الذي بيده .

فضحك ابو سلمة وقال : «اذهب سريعا ، واحذر ان يفوتك» . فودع العيار وانصرف لانجاز مهمته .

* * *

انشرح صدر ابي سلمة لوثوقه بمقدرة العيار ، فالتفت الى صالح وقال : «لا يلبث هذا اليهودي ان يأتيك صاغرا ، فأخبرني الان بما فعلته في الشام ؟»

وكان صالح قد اطمأن قلبه ايضا وسرى عنه • فقص على ابي سلمة حديث سفره من اوله الى اخره ، فأعجب بدهائه ومكره غاية الاعجاب • وقال : «أواثق انت من ان امامهم ابراهيم قد قتل ؟»

فقال : «لا شك في ذلك ، وقد انتقلت البيعة الى اخيه ابي العباس ، فعلينا ان نقضي على هذا ايضا وعلى بقية العباسيين لتفضي الخلافة الى العلويين • وهذا محمد بن عبد الله الحسني مقيم بالمدينة ، وقد بايعه بنو هاشم من العباسيين والعلويين على ان يكون خليفة المسلمين بعد ذهاب دولة بني أمية» •

فقطع ابو سلمة كلامه وقال : «انا على يقين من ان ابا العباس وأخاه المنصور وكل بني هاشم باعوا محمدا هذا ، ولكنهم ينكرون هذه البيعة الان • ولولا ذلك لما كان ثمة باعث على هذا الاختلاف» •

قال : «مهما يكن من الامر فان ابا العباس واخوته وأعمامه وبقية اهله قادمون اليك بعد قليل ، وسينزلون عندك فتستطيع ارسالهم الى خوارزم !» • قال ذلك وضحك •

فلم يفهم ابو سلمة مراده فقال : «ولماذا نرسلهم الى هناك ؟»

قال : «انما اريد ان تقتلهم ، وهذا تعبير تعلمناه من ابي مسلم كبير القتلة والسفاحين» •

فضحك ابو سلمة ، وقال : «وهل تريدني ان اقتل آل العباس ؟»

قال : «سواء أعنيته ام لم أعنه فان الامر لا يتم للعلويين الا بقتل هؤلاء واذا لم تقتلوهم قتلوكم !»

فأطرق ابو سلمة وهو ينظر في بساط بين يديه عليه رسوم ملوك الفرس ، وظل صالح ساكتا يراقب ما يبدو منه ويرجو ان يوافقه على قتلهم ، لاعتقاده انها فرصة ثمينة اذا لم يغتنموها ولت ولن تعود • ثم رفع ابو سلمة بصره الى صالح وقال : «لا ، لا •• لن أقدم على هذا

الامر ، فاني اذا اقدمت عليه ارتكبت منكرين كبيرين • أولهما قتل جماعة من ابناء عم النبي لا ذنب لهم ، والثاني اني أخفر ذمتي وأغدر بجيراني وأضيافي • فكيف أقتلهم ؟• هذا لا يكون» •

فهز صالح كتفيه وزم شفتيه ، ثم اشار بعينيه وحاجبيه اشارة التبرؤ كأنه يقول : «افعل ما بدا لك ، هذا الامر لا يعنيني» • ثم تحفز للقيام وقال : «لا أنكر فظاعة هذا العمل ، ولكن الدول لا تقوم الا بمثل ذلك• وهذه وصية امامهم لو اخذناهم بها جاز لنا قتلهم ، فهو يقول : (من شككت فيه فاقتله) • وكم قتلوا من أبرياء لا ذنب لهم • ولو ان ابا مسلم كان مكانك ما ضيع هذه الفرصة ، لان الفوز مضمون • فالناس بايعوا لآل البيت وأكثرهم يرون البيعة لابناء علي ، ولكن أبا مسلم يموه عليهم ويدعوهم الى بيعة آل العباس • فاذا لم يبق احد منهم فالبيعة تنحصر في آل علي • وهذا محمد بن عبد الله في المدينة وبيعته فيأعناق العباسيين• ومتى علم ابو مسلم بموت ابناء العباس فانه لن يرى بدا من مبايعة ابناء علي ، والا فان حروبه وفتوحه تذهب سدى ولا ينتفع احد بها ، لعلمه ان الناس لا يخضعون الا لخليفة قرشي» •

فقال ابو سلمة : «لا استطيع دفع حجتك هذه ، ولكني لا استطيع ان أتصور سيفا مسلولا لقتل جماعة من ابناء عم النبي ، ويكفي ما دبرناه لقتل احدهم» •

فضحك صالح ، وقال : «كأنك فهمت اني أريد قتلهم بالسيف جهارا كما يقتل المجرمون ؟ كلا وانما نقتلهم بلا ضوضاء ولا بكاء ، فلا يشعر احد بهم • نقتلهم بالسم في اللبن او العسل ، كما يفعل بنو أمية بأعدائهم• واذا أكبرت ان تقتل كل القادمين عليك من بني العباس ، فاقتل اخوة ابراهيم الامام الذين يخشى نقل البيعة اليهم وهم ثلاثة ، او اقتل ابا العباس الذي انتقلت البيعة اليه على الاقل • فاذا شق عليك مباشرة ذلك

بنفسك ، فاعهد فيه الي فأقضيه لك من أيسر سبيل» .

وكانا يتكلمان واقفين ، وظن صالح انه تغلب على رأي ابي سلمة ، ولكنه ما عتم ان رآه ينكر ذلك ويعظمه الى ان قال : «لا اراني استطيع اتيان هذه الجريمة ، سواء على يدك ام على يد سواك . فالذنب ذنبي على كل حال . فاذا كانت لديك حيلة غير هذه فاذكرها» .

قال : «هذه فرصة سانحة ، فاذا لم تغتنمها ذهب سعيك في نصرة العلويين عبثا ، لان اهل الفتك والغدر لا ينبغي ان يعاملوا الا بمثل ذلك . والا فهم الفائزون . ولا أظنك تجهل ان عليا وأولاده وأحفاده انما فشلوا فيما يطلبون من امر الخلافة لانهم لا يستعينون في تأييد حقهم بغير التقوى والعدل . وكم من فرصة مثل هذه سنحت لدعاة العلويين ولكنهم عدوا اغتنامها منكرا ، فذهبت وضاعت حقوقهم . وعلى عكس ذلك سار الامويون ، فانهم ينقبون عن مثل هذه الفرص ويبذلون في سبيلها المال والرجال . فاذا أطعتني نلت ما تبتغيه وأقمت الدولة العلوية ، ولم يضع مال العلويين هذه المرة كما ضاع من قبل . وأنت بعد ذلك مخير ، واذا خالفتني أطعتك» .

فقال ابو سلمة : «لي أسوة بالامام علي وأهله ، ولا أطمع في ان اكون أشد منهم حزما وأصوب رأيا !»

فلم ير صالح حيلة في اقناعه فسكت ، ثم تذكر امر ابراهيم اليهودي الخازن فقال : «وهل تظن العيار عثر على المنجم ؟»

قال : «اذا كان هذا المنجم على سطح الارض فانه لا يستطيع الفرار من يده» . ثم صفق فدخل الحاجب ، فقال له : «هل علمت شيئا عن ابي ضرغام ؟»

قال : «علمت انه حينما خرج من حضرتك اشار الى رجاله فتبعوه ، وكل منهم في مثل لباسه وسلاحه ، بعد ان تلا عليهم ما أمرتهم به ، وفرقهم

في أطراف المدينة ، وذهب هو الى وسطها ولم يعد بعد» .

فهز رأسه اشارة الى الاكتفاء بما سمع . فخرج الحاجب . ثم استأذن صالح في الانصراف لرؤية جلنار ، فأذن له وقال : «كنت أحسب انك لقيتها قبل مجيئك الي ، فاذهب اليها وخفف عنها» . قال ذلك وعيناه تدمعان .

★ ★ ★

خرج صالح من عند ابي سلمة يقول لنفسه : «ان من كان فيه حنان النساء وضعف الغلمان لا يصلح لانشاء الدول ، وانما تنشأ الدول بالدهاء والحزم والفتك !»

ثم سار حتى بلغ دار النساء وهي قريبة من قصر ابي سلمة ، فوجد سليمان ينتظره ببابها ، فسأله عن جلنار فقال : «هي في خير ، ولكنها قلقة لطول غيابك» .

فقال : «وأين هي الان ؟»

قال : «في هذه القاعة ومعها ريحانة» . وأشار الى قاعة داخلية .

قال : «ادع لي احد الخصيان» .

فذهب وعاد بخصي ابيض ، فقال له صالح : «أبلغ ضيفتكم الخراسانية اني اريد مقابلتها» . ولم يذكر اسمها رغبة في كتمان امرها لاسباب تقدم بيانها . ولم يكن احد عالما بحقيقة امرها غير ابي سلمة وامرأته وبعض الجواري . فذهب الخصي ثم عاد ودعاه الى قاعة توصل الى الخارج بباب خاص . فدخل صالح واستقبلته جلنار باسمه لاول مرة منذ انتابتها تلك المصائب ، فانشرح صدر صالح او أظهر الانشراح ، لانه يضمر أمورا هي اكبر شأنا فانشرح صدر صالح او أظهر الانشراح ، لانه يضمر أمورا هي اكبر شأنا عنده مما يظهره من رغبته في قيام الدعوة

العلوية وسقوط العباسيين والامويين . ولو خيروه لاختار ذهابهم جميعا. ولكن الظروف اضطرته الى الانتقام لجلنار ولنفسه من ابي مسلم .

فلما دخل صالح القاعة ، ابتدرته ريحانة بالترحاب والسؤال عن حاله ثم قالت : «لقد اقلقنا غيابك حتى الان ، وقد اخبرنا سليمان انك اتيت منذ ساعات » . قالت ذلك معاتبة .

فقال : «كان يجب ان أسرع في المثول بين يدي مولاتنا الدهقانة ، ولكنني احببت ان أكلم ابا سلمة في بعض الشؤون المتصلة بمهمتنا» .

فقالت جلنار : «علمت من سليمان بعض ما بذلته من الجهد في سبيل غرضنا ، مثل جعل مروان الاموي يقبض على ابراهيم الامام ويحبسه ، وكنت احب ان اسمع تفصيل هذا الخبر منك» .

فأشار برأسه مطيعا ، وقال : «لم يعرف سليمان من اعمالي الا القليل، هل اخبرك اننا قتلنا الامام ؟»

قالت : «كلا ، وهل قتلتموه ؟»

قال : «نعم» . وقص عليها حكاية رحلته وما دبره من الحيل لينجح في مهمته ، فأحست بانفراج كربتها كأنها انتقمت لابيها وشعرت بجميل صالح حتى غدت لا تعرف كيف تبدي شكرها له ، فسره ما بدا من سرورها ، ثم تذكر امرا ابراهيم الخازن واطلاعه على مقرهم ، وخشي ألا يستطيع العيار القبض عليه قبل رجوعه الى خراسان فتكون العاقبة وخيمة عليهما وعلى ابي سلمة . كما تذكر الرسالة التي بعث بها الى ابن كثير مع السائس الابكم ، فالتفت الى ريحانة وقال : «ألم يرجع السائس من مهمته ؟ »

فضحكت ريحانة وقالت : «عاد منذ بضعة ايام» .

فاستغرب ضحكها ورأى جلنار تضحك معها كأنهما تكتمان امرا ، فقال لها : «ما بالك تصمتين ؟ ألم يبلغ رسولنا الرسالة ؟»

قالت : «لا أضحك لهذا فانه بلغها كما ينبغي ، ولكنني تذكرت حاييم المنجم الذي جاء معه» .

فخفق قلبه عند سماع الاسم ، وقال : «ومن هو حاييم هذا ؟»

قالت : «منجم يهودي من اهل حران ، التقى به سائسنا اثناء رجوعه من مهمته» .

فعلم صالح انها تعني ابراهيم الخازن ، فخاف ان يكون قد علم منها شيئا ، فقال : «وما الذي اضحكك من هذا المنجم ؟»

قالت : «أضحكني منه انه خفيف الروح كثير المجون ، فضلا عن مهارته في استطلاع الخفايا بالتنجيم . اني لا انسى حركاته في استخدام الاسطرلاب فقد اضحكنا كثيرا ، وكان تسلية كبرى لمولاتي اثناء انتظار رجوعك . وقد رأينا منه المعجزات !»

فازداد خوف صالح وقال : «ما الذي كشفه لكم من الخفايا ؟»

قالت : «كشف لنا اشياء كثيرة ، وأغرب ما في مهارته انه كان يطلعنا على اسرارنا بالاشارة ولا يتكلف لفظا» .

فتحقق صالح ان المنجم لم يكشف لهما سرا ، ولكنه ساقهما الى كشف اسرارهما بالاشارات المبهمة على عادة المشعوذين ، اذ يستخدمون اشارات تنطبق على معان عدة ، فاذا كان السائل يعتقد صدق المنجم فسر اشارته بما يوافق هواه فيبوح بسره وهو يحسب المنجم قد كشفه بمهارته. وهز صالح رأسه وظهر الارتباك في عينيه ، فظنته ريحانة لم يصدقها فقالت : «كأنك لم تصدقني ، فاسأل مولاتي كيف قص عليها حديث ابيها ومقتله وفرارها معك الى هنا حتى ذهابك الى الشام !»

فلم يستطع صالح ان يمسك نفسه ، فدق كفا بكف وقال : «لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم» . فلم تفهما سر قلقه واضطرابه وقالت جلنار : «ما بالك يا صالح ، ماذا جرى ؟»

فوقف وقال : «لم يبق لنا مقام هنا ، فقد افتضح امرنا . خدعكما اليهودي الخبيث وعرف اسرارنا ، لعنك الله يا ابراهيم ولعن الساعة التي رأيتك فيها» .

فابتدرته ريحانة قائلة : «ليس هو ابراهيم وانما هو حاييم» .

قال : «بل هو ابراهيم اليهودي خازن ابي مسلم ، وهو الذي سقاني السم كما سقى ابن الكرماني عندما كان يرقص بجلد الدب . وقد رأيته في الصباح خارجا من عند ابي سلمة بعد ان عرف سره ايضا . ولولاكما لم يستطع ذلك لانكما ساعدتماه على معرفة خبري ، فساعده ذلك على خداع ابي سلمة حتى ظن فيه القدرة على معرفة الغيب فباح له بأسراره!»

وكان يتكلم وهو يخطر في الغرفة ، وجلنار وريحانة تتبادلان نظرات الاسف والجزع ، وقد ترقرقت الدموع في مآقيهما ، فقال صالح : « لا فائدة من الاسف على ما فات . وسأريه عاقبة مكره» .

ثم روى لهما انه أطلع ابا سلمة على حقيقة امر ابراهيم اليهودي ، فأنفذ بعض العيارين ليأتوا به اليه حيا او ميتا . فلما قال ذلك ، لحظ ان جلنار تنظر الى ريحانة كأنها تدعوها الى التصريح بشيء تخجل هي من ذكره ، فاستغرب ذلك وقال : «مالي اراكما ترددان ..؟ هل اخطأت اذ سعيت للقبض على هذا الخبيث ؟»

فقالت ريحانة : «كلا فقد قمت بالواجب ، ولكن ..» . ونظرت الى مولاتها فاذا هي مطرقة خجلا ، فواصلت كلامها وقالت : «ألا تستطيع تأجيل قتله يوما ؟»

فاستغرب صالح هذا الاقتراح ، وقال : «ولماذا هذا التأجيل ؟»

فالتفتت الى مولاتها وسكتت . فازداد صالح استغرابا ووجه كلامه الى جلنار وقال : «ما الذي تكتمانه عني ؟. لعلكما تسيئان الظن بي ؟»

فقالت ريحانة : «حاشا لنا ان نسيء الظن بك بعد ما رأيناه من

جهادك في سبيلنا ، ولكن مولاتي تود تأجيل قتل المنجم لانه شغل ذهنها بكلمة قالها ووعد بتفصيلها في الغد» .

قال : «وأي كلمة ؟ هل يجوز ان أعرفها ؟»

قالت : «نعم ، يجب ان تعرفها . انه لما جاءنا وجرى ذكر ابي مسلم عرضا في الحديث نظر الى مولاتي نظرة اهتمام . وقال لها : (سأفاجئك غدا بخبر يفرح قلبك ، ولكن لا احب ان يعرفه احد) . وأحببنا ان نستزيد ، بيانا ، ولكن خادم ابي سلمة جاء ومضى الى مقابلته» .

فلما سمع صالح ما قالته ادرك ان جلنار لا تزال عالقة بأبي مسلم ، فارتبك في امره وخاف ان يكون ابو مسلم قد ندم على مجافاته جلنار فأحب استرضاءها ، فبعث بابراهيم متنكرا لهذه الغاية . ولعله اوصاه بأن يفعل ذلك خفية ، وربما كان من بعض مهمته ان يستطلع مساعيه ، ويتجسس أحوال العلويين ونحو ذلك . مرت هذه الخواطر في ذهنه ، بينما جلنار تنظر اليه خلسة وتخاف ألا يلبي طلبها . فرأى صالح ان يجزم بكذب ابراهيم ويقبح نيته ، مخافة ان يكون وراء اقواله ما يعرقل مساعيه او يعود بالخطر عليه ، فتضاحك وقال : «اني لأعجب من مولاتي الدهقانة كيف تعلق اهمية على كلمة قالها هذا المنافق وهو يريد بها التمويه ليستطلع ما بقي من اسرارنا او ليوقعنا في الفخ ؟. ألا تعلمين دهاء هؤلاء القوم وكم غدروا بالناس وغرروا بهم ؟»

فقالت ريحانة : «صدقت ، ولكننا اذا سمعنا قوله فليس حتما ان نعمل به ، واننا لن نخطو خطوة الا برأيك وتدبيرك ، فاذا تيسر الابقاء على الرجل يوما او يومين كان في ذلك وسيلة لزوال قلق مولاتي باطلاعها على ما وعدها بسماعه» .

قال : «لا حيلة لنا في الواقع ، وقد ذهب العيارون للبحث عنه وأخذه حيا او ميتا . فاذا جاءوا به حيا بعثنا به الى الدهقانة ، وأما اذا

قتلوه فلا سبيل الى احيائه • على اني لا اراه الا منافقا يريد التمويه ، فاذا أطعتماني وجاءكما فانبذاه وابصقا في وجهه» • قال ذلك وفي صوته وملامح وجهه امارات العتب • فأدركت ريحانة انه استاء من الحاحها ، وقد سبق الى ذهنها حسن الظن به ورأت مجاراته في رأيه لتخفف من قلق سيدتها فقالت : «وأنا ارى رأيك ، فان هذا الرجل لا يحمل غير الاذى ، والاجدر بنا ان نحذره ونسعى في القبض عليه وقتله لننجو من شره ! »

ولم يسع جلنار بعد اتفاق ريحانة وصالح في الرأي ، الا ان توافقهما ولو من وراء قلبها فقالت : «دعوا المقادير تفعل ما تشاء ، فاذا جاءنا حيا سألناه ونظرنا فيما يقوله ، واذا قتل فلا حيلة لنا • وعلى كل حال لا أظنه يستطيع الفرار اذا اراده لان العيارين لا يفلت منهم احد» •

وعاد صالح الى هواجسه وأراد ان يعرف كيف جاء ابراهيم الى الكوفة ، لعله يستطيع بذلك ادراك الغرض من قدومه • فقال لريحانة : «كأني سمعتك تذكرين السائس الابكم مع هذا اليهودي» •

قالت : «نعم قلت لك انه جاء به معه في عودته من مرو» •

فقال : «وأين هو ؟• احب ان اراه» •

فخرجت ريحانة مسرعة ثم عادت والسائس معها وهو في حاله التي وصفناه بها قبلا ، فلما دخل حيى ووقف • فسأله صالح عما تم له في سفره ، فأشار الرجل بيديه وعينيه بما يدل على انه وصل الى مرو ودفع الكتاب الى سليمان بن كثير • فسأله كيف عرف منزله ، فأجاب بأن رجلا كان يعرفه من قبل دله عليه • فسأله عن شكل ذلك الرجل وأين عرفه فأشار بأنه قصير القامة وأنه عرفه للمرة الاولى في بيت الدهقان يوم نزل ابو مسلم عندهم • فترجح عند صالح انه ابراهيم بعينه ، وأنه لما رأى السائس يسأل عن ابن كثير وتذكر انه شاهده في منزل الدهقان ظنه

قادما بمهمة من الدهقانة او منه ، فخاف صالح ان يكون قد اطلع على فحوى الكتاب فيتعرض ابن كثير للقتل . فسأله كيف دفعت الكتاب الى صاحبه ، فأشار انه دفعه اليه سرا وكان وحده في حجرته . فقال : «وماذا فعلت بعد ذلك ؟» . فأشار الى انه خرج من مرو في صباح اليوم التالي، فلقي اثناء الطريق منجما يهوديا صحبه الى الكوفة ومعه خادمه ، وكان يسايره ويركبه احيانا على بغلته ويطعمه من طعامه حتى اتى الكوفة .

فتحقق صالح عند ذلك انه ابراهيم اليهودي جاء الى الكوفة في مهمة سرية من عند ابي مسلم ، نبهه اليها قدوم ذلك السائس الجاهل بالكتاب الى ابن كثير . وأيقن انه اذا نجا من العيارين وأبلغ ابا مسلم خبرهم فانه قاتلهم ومعهم ابو سلمة لا محالة . فأصبح همه البحث عما افضت اليه مساعي العيارين في القبض عليه . فأشار الى السائس ان ينصرف ، فلما خرج تقدم صالح الى جلنار وخاطبها بصوت منخفض ، كأنه يحاذر ان تسمعه جدران الغرفة قائلا : «لقد اخطأنا في الاعتماد على الخدم والاعوان في شؤوننا ، ولئن لم يظفر العيارون بذلك اليهودي فاننا لن نأمن الخطر هنـا ! »

فأجفلت جلنار ، وبدت الدهشة في عينيها وهي تقول : «وكيف ذلـك ؟ »

قال : «ذلك لان ابراهيم هذا انما جاء للبحث عنا ومعرفة مقاصدنا ، وقد نجح في ذلك اذ عرف كل شيء عنا وعن ابي سلمة ، وعرف انـنـا سعينا في مقتل الامام ابراهيم . فاذا نجا من العيارين ووصل الى ابي مسلم ، فان هذا لن يدخر وسعا في الانتقام منا جميعا» .

فارتبكت جلنار وشعرت بقلق وخوف وقالت : «لم يكن لنا ملجأ فيما مضى سواك ، وما زلت ملجأنا وعوننا فأشر علينا» .

قال : «ارىٰ قبل كل شيء ان نستغني عمن معنا من الخدم ، فـاذا

انتقلنا الى مكان كنا وحدنا فقط . وأنا ذاهب الان للسؤال عن العيارين وما فعلوه ، فاذا تحققت فشلهم عدت اليكما وأخبرتكما بما ينبغي عمله. وانما أتوسل اليكما ان تكتما ما دار بيننا ، وأرى ان تقوم ريحانة بجمع ما خف حمله وغلا ثمنه من المتاع لنكون على أهبة السفر متى اردنا» .

ثم نهض وودعهما وخرج ، ودخلتا تتأهبان للرحيل وهما مضطربتان .

***

خرج صالح قاصدا الى قصر ابي سلمة ليسأله عما فعله ابو ضرغام العيار ورفاقه ، وقد اعتزم ان يحرض ابا سلمة على قتل ابراهيم اليهودي اذا جاءوا به حيا ، على ألا يطلع جلنار على ذلك . فلما كان في منتصف الطريق سمع ضوضاء وقرقعة وصليلا وراء بعض البيوت مما يلي طريق الشام ، فالتفت فرأى قافلة من جمال يتقدمها حمار عليه عبد اسود ، وحول القافلة بغال مسرجة عليها رجال بألبسة حسنة يبلغ عددهم العشرين ، وفي ركابهم بعض الخدم والعبيد ، وفي ذيل القافلة بغال عليها هوادج النساء والاطفال . ويتقدم الجميع فارس عليه لباس اهل الكوفة ، كأنه خرج من الكوفة للقائهم . فتفرس في الرجل فعرف انه من حراس ابي سلمة . فرجح عنده ان هؤلاء القادمين هم بنو العباس . وقد جاءوا من الحميمة بعد مقتل ابراهيم الامام ، فتقدم حتى وقف بحيث يراهم وهم مارون والناس لا يهتمون بهم لانهم لا يعرفونهم وقد تعودوا قدوم مثل هذه القافلة الى ابي سلمة . ثم ما لبث ان تحقق صحة فراسته اذ رأى المنصور بينهم ، وتذكر ما دار بينه وبين ابي سلمة في شأنهم . كما تذكر حديثه مع المنصور وكيف بشره بالخلافة يوم رآه في الحميمة ، لعله يفيد منه اذا صحت البشرى .

وكان صالح اثناء تلك المقابلة لا يزال يعتقد ان في وسعه نقل الخلافة

الى العلويين ، فلما رأى ما رآه من ضعف ابي سلمة وعجزه اصبح لا يرجو للعلويين فوزا ، فحصر همه في قتل ابي مسلم انتقاما منه لنفسه وللخوارج اميرهم شيبان .

وظل واقفا حتى دنت القافلة من دار الاضياف . فتقدم اليها بعض اهل القصر ودعوها الى قصر اخر لابي سلمة في بعض اطراف المحلة . فأدرك صالح ان ابا سلمة ينوي كتمان امرهم عن الناس . وعلم انه لا يلبث ان ينزل لملاقاتهم او زيارتهم للترحيب بهم ، فأسرع لمقابلته قبل خروجه ليسأله عما فعل العيارون .

فمشى حتى دخل القصر واستأذن على ابي سلمة فأدخلوه اليه ، فرآه جالسا وقد حمي غضبه وبان الارتباك في وجهه ، فلما دخل عليه صالح لم يتمالك عن النهوض بغتة ومشى نحوه مشية مستنجد وقال : «كأننا سعينا لقتل واحد من هؤلاء العباسيين لنتحمل أثقال بقيتهم . هل رأيتهم قادمين ؟ »

فلما سمع صالح تذمره ، استبشر لعله يستطيع اغراءه بقتلهم فقال : «لو انني علمت يا مولاي ان نصرتك للشيعة العلوية تقف عند هذا الحد، فيذهب سعيك وجهدي عبثا . وتعرض حياتك وحياة سائر اهلك وأصحابك للخطر ، ما اقدمت على ما اقدمت عليه . وانك قادر في هذه الساعة ان تنقل الخلافة الى العلويين كما اخبرتك في هذا الصباح ، ولا يكلفك ذلك الا ان تأمر وأنا أنفذ الامر . وهي فرصة لا ينبغي اغفالها . فوالله لو ظفر ابو مسلم بمثلها ما أغفلها . ورد علي ذلك ان حياتك اصبحت في خطر اذا استبقيتهم» .

فقال ابو سلمة : «وأي خطر ؟»

قال : «اذا لم يظفر عياروك بذلك المنجم وتمكن من الفرار الى ابي مسلم وأطلعه على خبرك ، فهل تظنه يعفو عنك ؟»

قال : «وهل تحسبه يقتلني ؟ لا ، لا .. انه لا يفعل ذلك لما يعلمه من نصرتي اياه بالمال والرجال . والشيعة كلهم يعلمون انه لولا اموالي ونفوذ كلمتي عند الدهاقين وبيوتات الفرس لم تقم لهم قائمة . فهل يجرؤ احد منهم ان يمسني بأذى ؟»

فابتسم صالح وهز رأسه قائلا : «اما ابو مسلم فيفعل ، وقد فعل ذلك غير مرة» .

فاستخف ابو سلمة بنصيحة صالح وحول وجهه عنه ومشى نحو مشمعة من الذهب قائمة في وسط القاعة على كرسي من الابنوس المطعم ، وتشاغل بنزع الغبار باصبعه عن قاعدتها ، ثم هم بتغيير الحديث فقال : «هل علمت ما فعله ابو ضرغام ؟»

قال : «كلا ، ماذا فعل ؟»

قال : «عاد الي منذ ساعتين ، وأخبرني انه قلب الكوفة رأسا على عقب هو ورجاله ، ولم يغادروا خانا ولا منزلا ولا كنيسا ولا حانوتا الا دخلوه وفتشوه ، فلم يقفوا للرجل على أثر ، ولا رأوا احدا يعرفه . حتى حراس ابواب المدينة أجمعوا على انهم لم يشاهدوا احدا بهذه الصفة او ما يقرب منها ، مع انه أكد لي انه مقيم بالكوفة . وقد امرت ابا ضرغام ان يبحث عنه في ضواحي المدينة وأرباضها ، وألا يترك منزلا حتى منزلي الا بحث فيه عن ذلك المنجم المنافق ، ولا ادري ما تكون النتيجة» .

فأيقن صالح ان ابراهيم الخازن قد افلت ، وأنه مضى ليبشر ابا مسلم بنجاح مهمته ، ولن يتيسر لاحد اللحاق به . ولكنه اظهر انه لا يزال يرجو العثور عليه فقال : «لا يبعد ان يكون هذا الخبيث قد اختبأ في بعض هذه الارباض وعسى ان نظفر به» . قال ذلك وودعه وخرج يبحث عن مكان يلجأ اليه مع جلنار وريحانة فرارا من بطش ابي مسلم ريثما تتبدل الشؤون .

وفيما هو يفكر في الامر ، تذكر انه مر في الطريق الى دمشق بدير بالقرب من الكوفة يقال له دير هند، كانت هند بنت النعمان قد انشأته قبل الاسلام • وتذكر ان هذا الدير عامر بالرهبان ، كما علم من حارسه حينذاك • فخطر له ان يذهب بجلنار وحاضنتها لتقيما به على ان يتردد عليهما متنكرا • فعزم على ان يذهب الى الدير ويستفهم عن طريقـــة الدخول اليه والاقامة معه •

فبات تلك الليلة ولم يغمض له جفن لعظم ما انتابه من الغضب على ابراهيم الخازن • وفي الصباح توجه الى دير هند ، فوجده آهلا بالرهبان وعلم ان به مضيفة ينزل بها من شاء على الرحب والسعة • ثم احب ان يسأل : هل هناك مكان خاص يمكن ان تنزل به جلنار وريحانة دون ان يراهما احد • فطلب مقابلة رئيس الدير ، فأخذوه الى شيخ جليل عليه سيماء الوقار ، فسلم عليه وأكب على يده يهم بتقبيلها ، فقبله الرئيس ودعاه الى الجلوس وأمر له بالزاد والفاكهة والشراب ، فشكره صالح وقال : «اني لا أحتاج الى طعام ولا شراب ، وانما جئتك لانني اريد ان أستودعك سرا وأستشيرك فيه • فأنتم رجال الله ومستودع اسرار خلقه» •

فانشرح قلب الرئيس لهذا الثناء ، وقال : «مرحبا بك ، قل ما تريد ولا تخف » •

قال : «معي فتاة من اهل البيوتات أصابتها نكبة أدت الى فرارها من وجه الظلم ، فلم تر خيرا من التجائها الى هذا الدير ، فهل يجوز ذلك ؟»

قال الرئيس : «كيف لا وعندنا دار خاصة بالاضياف ؟ ولكن ما دمت قد استشرتني فاني اقول ان دار الاضياف عندنا لا تخلو من المارة ، ولا نستطيع ان نمنع احدا من النزول بها ، فلا يكون سركم في أمان • ولكني أدلكم على دير للعذارى الراهبات على مرحلة من هذا المكان هو أولى بنزول النساء ، لانه غير مطروق ولا يقيم به الرجال • فاذا شئت اوصيت

رئيسته بك ، فتهيىء للفتاة غرفة خاصة . وأما انت فلك ان تقيم عندنا» .

فسر صالح بهذا التوفيق المزدوج ، وكان يعلم ان الاديرة تقوم على هبات المحسنين .. فاذا تبرعت جلنار لرئيسة الدير ببضع مئات من الدنانير ، ملكت قلبها وكانت آمنة عندها ، فارتاح لهذا التدبير ، وعاد الى «حمام أعين» وأحب قبل انتقاله الى الدير ان يبحث عما فعله العيارون ، فسار الى قصر ابي سلمة واستفهم منه فأجابه بأنهم لم يقفوا للرجل على أثر ، فتحقق صالح ان ابا سلمة وبطانته اصبحوا في خطر ، ورأى ان يحتال للبعد عنهم ، فذهب الى جلنار وأطلعها على ما دبره وقال لها : «فالآن ينبغي ان نخرج من هذه المحلة خلسة بحيث لا يشعر اهلها بنا ، ولا يعلم احد غايتنا» .

فقالت : «وخالتي ايضا ؟» . قال : «نعم . يجب ألا يعلم بأمرنا اي انسان غيرنا ، فنأخذ ما خف حمله من متاعنا ونركب بعض الجياد وحدنا ، ونوهم الخدم بأننا ذاهبون للتنزه على ضفاف الفرات . ومتى بعدنا عن المحلة عرجنا على الدير ، فنقيم هناك الى ان يقضي الله امرا كان مفعولا» .

فأحست جلنار كأن حبلا غليظا التف حول عنقها وكاد يخنقها لعظم ما ثار في نفسها من اليأس لاضطرارها الى الفرار الى دير تنقطع فيه عن الناس ، بعد ان اقامت بمنزل ابي سلمة واستأنست بخالتها ، وأحبت نساء القصر وأحببنها .. فانفجرت باكية ، وأخذ صالح يواسيها فقال : « لا تيأسي يا مولاتي لا بد من الاخذ بالثأر ولو بعد حين ، وكل آت قريب» .

وفي الاصيل خرج الثلاثة من المحلة بقصد التنزه على ضفاف الفرات وليس معهم احد من الخدم ، حتى اذا توازوا عن الناس تحولوا نحو دير هند ، فقدم صالح لرئيسه صرة فيها مائة دينار هبة للدير ، وكان الليل قد سدل أستاره ، فدعاهم الى المبيت على ان يبكروا في الذهاب الى دير العذارى ، وقدم لهم من أطعمة الدير وفاكهته فأكلوا وشربوا وباتوا

ليلتهم • وفي الصباح التالي ، دفع الرئيس كتابه الى صالح ، فحمله وذهب بجلنار وريحانة ومعهم دليل يوصلهم الى دير العذاري • فوصلوا اليه عند الظهر ، فاستقبلتهم رئيسته احسن استقبال وأنزلتهم على الرحب والسعة، ولاسيما بعد ما رأت من لطف جلنار وكرمها ، فأفردت لها ولريحانة غرفة طلقة الهواء نظيفة الاثاث ، وأوصت الراهبات بأن يقمن على خدمتهما أحسن قيام •

- ١٤ -

بيعة ابي العباس السفاح

اطمأن صالح على جلنار ، فأقام بدير هند متفكرا في شؤونه وأخذ يتردد الى دير العذارى حينا بعد حين ، وينزل الكوفة متنكرا ليرى مصير الامور ويترقب فرصة يتمكن بها من بلوغ غايته • فعلم ان بني العباس نزلوا عند ابي سلمة ، وانه كتم امرهم عن اهل الكوفة فلم يعلموا بمجيئهم • وكان الخراسانيون قد علموا بانتقالهم الى هناك ، فجاء جماعة منهم وعسكروا خارج الكوفة عند «حمام أعين» وأخذ قوادهم يبحثون عنهم • وكان ابو سلمة بعد ان استنكر امام صالح الغدر بهم ، عاد فنظر في امرهم فرأى السداد في رأي صالح ، ولكنه أعظم الاقدام على قتلهم فحبسهم وكتم امرهم وتوقع ان يرجع اليه صالح فيشاوره في شأنهم •

وكان صالح يمر «بحمام أعين» متنكرا ، فيسمع اهل ابي سلمة وخدم

جلنار يذكرون فقدها منذ خرجت مع خادمتها الى ضفاف الفرات ، وقد رجحوا غرقهما في مائه ، وكان يتنكر احيانا بأثواب الفقهاء فيقضي يومه في المسجد يسمع احاديث القوم ، وأحيانا يلبس ثوب الاجناد او العيارين او غيرهم • فعلم ان الناس علموا بمقتل الامام ابراهيم ، وألحفوا في السؤال عن اخوته وأهله ، ثم علم بعد اربعين يوما من قدوم العباسيين ان الخراسانيين المعسكرين بظاهر الكوفة علموا بوجودهم في دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم ، وهي الدار التي أنزلهم فيها ابو سلمة ، وان ابراهيم اوصى بالخلافة لاخيه ابي العباس ، فاتهموا ابا سلمة بأنه حبسهم هناك لرغبته في نقل الخلافة الى العلويين • وذهب الى تلك الدار رجل من كبار شيعة العباسيين اسمه ابو حميد الحيري ، فلما أقبل عليهم لم يعلم أيهم الخليفة فسأل : «من الخليفة منكم ؟» • فتقدم داود بن علي، احد أعمام ابي العباس ، وأشار اليه قائلا : «هذا امامكم وخليفتكم» • فسلم ابو حميد عليه بالخلافة ، وقبل يديه ورجليه وقال له : «مرنا بأمرك» • ثم رجع وأخبر جميع القواد ، وأعاظم الشيعة ، فجاء جماعة منهم حتى دخلوا على ابي العباس فسلموا عليه بالخلافة فلما علم ابو سلمة بانكشاف امر القوم اراد إن يدخل فيبايع ابا العباس مثل سائر الناس ، فمنعوه الا ان يدخل وحده لانهم اساءوا الظن به ، فدخل وسلم عليه بالخلافة •

وكان صالح يسمع اثناء ذلك انهم سيخرجون بالخليفة ليبايعوه في المسجد يوم الجمعة ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٢ هـ• فتنكر بلباس الفقهاء ووقف في طريق المسجد ، فرأى اهل الكوفة قد اصطفوا بأسلحتهم في الطريق • ثم رآه مارا على برذون أبلق وحوله اهل بيته على الخيول او البراذين ، والناس يتزاحمون ويتطاولون لمشاهدته والتبرك برؤيته • وما زال الموكب سائرا وصالح في أثره حتى بلغ دار الامارة ، فرأى رجلا

صعد المنبر فأنصت الناس وهم يتهامسون قائلين : «هذا هو الخليفة ، اسمعوا خطبته» . فنظر صالح الى ابي العباس ، فرأى رجلا طويل القامة ابيض اللون متجعد الشعر أقنى الانف حسن الوجه واللحية . ثم رأى رجلا اكبر منه سنا صعد المنبر في أثره ، ولكنه قام دونه ، فعلم انه داود ابن علي ، ثم أطل ابو العباس علـــى الناس والتأثر باد في وجهه ، وخطبهم فقال :

«الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه ، وكرمه وشرفه وعظمه ، واختاره لنا فأيده بنا ، وجعلنا اهله وكهفه وحصنه والذابين عنه والناصرين له ، فألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها ، وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته ، وأنبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته ؛ وجعله من انفسنا ، عزيزا عليه ما عنتنا ، حريصا علينا ، بالمؤمنين رؤوفا رحيما . ووضعنا من الاسلام وأهله بالموضع الرفيع ، وأنزل بذلك على اهل الاسلام كتابا يتلى عليهم ، فقال تبارك وتعالى فيما انزل من محكم كتابه : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا). وقال تعالى : (قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) . وقال : (وأنذر عشيرتك الاقربين) . وقال : (وما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى) . فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا ، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا ، تكرمة لنا وفضلا علينا والله ذو الفضل العظيم .

«زعمت الشامية الضلال ان غيرنا أحق بالرسالة والسياسة والخلافة منا ، فشاهت وجوههم ، ولم ايها الناس ؟ وبنا هدى الله الناس بعـــد ضلالتهم ، وبصرهم بعد جهالتهم ، وأظهر بنا الحق ودحـض الباطل ، وأصلح بنا منهم ما كان فاسدا ، ورفع بنا الخسيسة ، وأتم بنا النقيصة، وجمع الفرقة ، حتى عاد الناس بعد العداوة اهل التعاطف والبر والمواساة

في دنياهم ، واخوانا على سرر متقابلين في آخرتهم •

«فتح الله ذلك منة وبهجة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فلما قبضه الله اليه وقام بالامر من بعده اصحابه وأمرهم شورى بينهم ، حووا مواريث الامم فعدلوا فيها ، ووضعوها موضعها ، أعطوها اهلها ، وخرجوا خماصا منهـا •

«ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فانتبذوها وتداولوها . فجاروا فيها واستأثروا بها ، وظلموا اهلها بما ملأ الله لهم حينا ، حتى آسفوه • فلما آسفوا انتقم منهم بأيدينا ، ورد علينا حقنا . وتدارك بنا أمتنا . وولى نصره القيام بأمرنا ، ليمن بنا على الذين استضعفوا في الارض ، وختم بنا كما افتتح بنا •

«واني لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير ، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ، وما توفيقنا اهل البيت الا بالله •

«يا اهل الكوفة ، انتم محل محبتنا ومنزل مودتنا . انتم الذيـن لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم عنه تحامل اهل الجور عليكم ، حتى ادركتم زماننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا • وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المنيـح » •

ولما بلغ ابو العباس الى هنا ، غلب عليه الضعف واشتد به الوعك ، فجلس على المنبر • وقام عمه داود فأتم الخطبة عنه بنحو هذا المعنى ، وطعن في بني أمية وسوء سيرتهم ، وامتدح اهل خراسان لانهم نصروا الحق • ثم نزل ابو العباس وعمه عن المنبر ، وذهبا الى دار الامارة • وظل ابو جعفر المنصور في المسجد يأخذ البيعة على الناس • فلم يزل يأخذها حتى صلى بهم العصر ثم المغرب ، وجن الليل ، فدخل وصالح منزو يتأمل فيما جرى بين يديه وهو يكاد يتميز غيظا لحبوط مسعاه في أبطال البيعة

العباسية ، ولكنه توسم الفرج من جهة اخرى فانه رأى في ابي العباس ضعفا لا يأذن ببقائه طويلا ، وتحقق انه اذا مات فالخليفة بعده صاحبه ابو جعفر ، لانه أرشد اخوته ، ولانه تولى اخذ البيعة على الناس •

* * *

خرج صالح من المسجد منقبض الصدر ، فذهب الى جلنار وأخبرها بما رأى ، وان الامر استتب لبني العباس ولا حيلة في ذلك ، ولما بكت قال لها : «اننا لا يهمنا قيام هذه الدولة او سقوطها ، وانما يهمنا ان نقتل ذلك الرجل ، وما سعينا في افساد امرها الا لافساد امره ، فاذا لم يتيسر لنا ذلك من هذا السبيل فان لنا سبلا اخرى !»

فسكتت وتنهدت ، وفي نفسها سر تحرص على كتمانه وتخجل من اظهاره حتى لريحانة لما فيه من دليل على ضعفها • فانها كانت رغم كل ما اصابها من ابي مسلم لا تزال تشعر بالميل اليه ، واذا تذكرته احست بشيء يحسنه في عينيها ، وكأن مر الزمان أذهب ما في نفسها من الحقد عليه ، ولكنه لم يذهب ما في قلبها من الانعطاف اليه • فكانت تشعر بذلك الانعطاف وتغالط نفسها مجاراة لتيار الغضب الذي دفعها الى الانتقام ، وكان صالح يحرضها على الثبات ويحبب اليها الا[illegible]ذ بالثأر • فلما طال جهاده وتوالى الفشل ، اخذت نقمتها تتقلص وتصغر ، وحبها ينجلي ويظهر ، ولاسيما بعد ما قاله لها ابراهيم اليهودي • فلما جاءها صالح بنبأ استتباب الامر للعباسيين ، أحست بانقشاع سحابة الحقد عن قلبها ، وتجلت لها صورة ابي مسلم كما كانت على عهد شغفها به ، فخيل اليها انه لم يفعل ما فعله الا جريا على سياسته في نصرة العباسيين وليس كرها لها ، فلعله وقد تم له ما اراده من تأييد دولتهم ان يصغي لنداء

قلبه او يشفق على انكسار قلبها ، ولهوى النفوس سريرة لا تعلم .

وكان رأيها قد ضعف في قدرة صالح على الانتقام من ابي مسلم ، لكنها اظهرت الارتياح لوعده بذلك وقالت : «وأي طريق تتوقع ان يبلغنا ما نسعى اليه من الانتقام ؟»

قال : «تمهلي يا مولاتي وعلى تدبير ذلك ، فاصبري قليلا ايضا والله مع الصابرين» . فسكتت وأطرقت وتنهدت ، فشعر بأنها تضمر شيئا . وخاف ان يكون الفشل قد أضعف عزمها ، وهو يحتاج اليها في تنفيذ ما اعتزمه من قتل ابي مسلم ، فقال لها : «يلوح لي يا مولاتي ان حبوط سعينا هذه المرة قد أثر في عزمك ، فلا تيأسي من الفوز ، وأنا عبدك ورهين اشارتك ، أبذل نفسي في سبيلك ، وأنت تعلمين انني تركت العالم وانقطعت الى خدمتك ، وعاديت شر الناس وأدهاهم لارضائك ، ولا ريب في انه قد علم بسعينا وعرف مقاصدنا من خازنه اليهودي ، فاذا رجعنا عن عزمنا فهو لن يرجع عن الفتك بنا . ولو علمت انه يكتفي بقتلي ويستبقيك لهان الامر ، لاني احب اللحاق بأبيك رحمه الله» . قال ذلك وأجهش بالبكاء ، فأوهم جلنار انه متفان في خدمتها . وذكرها بمقتل ابيها فحرك عواطفها . فندمت على ما مر بذهنها من الميل الى مسالمة ابي مسلم او استعطافه ، ولاسيما بعدما سمعته من تلميح صالح الى ان اطلاع ابي مسلم على امرهم انما كان بسبب غفلتها ، فلم تر بدا من مسايرة صالح ، فأنكرت ما توهمه فيها من ضعف العزيمة ، وأكدت له انها باقية على قصدها ، وأنها لا يمكن أن تتنازل عن الانتقام ، ولكن يشق عليها ما يكابده هو من العذاب في سبيل ذلك .

* * *

قضت جلنار في دير العذارى زمنا ، وصالح يتردد اليها بالاخبار ،

وأهمها في تلك السنة انهزام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية . وكان قد جاء بجيشه لمحاربة العباسيين في العراق ، فغلبوه في بلد يقال لـــه «الزاب» ففر الى مصر وقتل ببلدة بوصير . ثم جاءها بعد ايام بخبر قتل من بقوا من بني أمية . وذلك ان ابا سلمة اغرى شاعرا باسماع ابـــي العباس السفاح بيتا من الشعر ، حرضه فيه على قتلهم مرة واحدة ، وكان عددهم نحو التسعين . وكان ذلك بعد ان أمنهم وأذن لهـم في شهود مجلسه ، ففيما هم على مائدته يأكلون مطمئنين ، أمر فضربوا بالعمد حتى قتلوا ، وبسط عليهم الانطاع، فأكل عليها وهو يسمع أنينهم حتـــى ماتوا جميعا !»

فلما سمعت جلنار ذلك قطعت كلام صالح ، وصاحت قائلة : «أعوذ بالله !. يغدرون بأضيافهم ثم يأكلون الطعام فوق جثثهم وهم يسمعون أنينهم ؟ »

فقال : «هذا ما حدث ، فهل يركن الى مثل هؤلاء او يرجى عفوهم؟»

ثم جاءها صالح بعد قليل بخبر قتلهم ابا سلمة ، فعظم مصابه عندها . لانه كان يحبها ويكرمها ، فسألت صالحا عن سبب قتله فقال : «وهـــل تجهلين السبب ؟. ان القوم شكوا فيه فقتلوه ونسوا ما بذله من الاموال في سبيل نصرتهم» .

فقالت : «اني لم اسمع بمثل هذا البطش والفتك . ولا اظن بني أمية كانوا أشد فتكا من هؤلاء ، وكيف قتلوه ؟»

قال : «علمت انهم اتهموه في اخلاصه لهم ، وكان قد بايع ابا العباس، وجعله هذا وزيره حتى ابتز بقية أمواله . ثم كتب الى ابي مسلم فـــي خراسان يستشيره في امره ، فأشار بقتله وأرسل رجلا من عنده قتله سراً، وأشاعوا ان بعض الخوارج قتلوه ، فصدق اهل الكوفة ذلك» .

قالت : «قبحهم الله ما اقسى قلوبهم ، ان أبا سلمة رجل ليس فيهم

مثله » .

فقطع صالح كلامها وقال : «وأغرب من ذلك قتلهم سليمان بن كثير، مع انه لم ينو الغدر بالعباسيين قط !» . فأجفلت وقالت : «قتلوه ايضا ؟ وكيف كان ذلك ؟»

قال : «لما قتلوا ابا سلمة ، اتفق ان ابن كثير قال كلمة نقلها بعضهم الى ابي مسلم ، فقتله على تلك الشبهة !»

- ١٥ -

خلافة المنصور

أيقن صالح ان جلنار ثابتة على عزمها ، فأخذ في تدبير الوسيلة للفتك بأبي مسلم اسوة بما فعلوه بأبي سلمة . وأخذ يترقب الفرص لذلك ، فلما مات ابو العباس السفاح سنة ١٣٦ هـ وأفضت الخلافة الى اخيــه المنصور ، ذهب الى جلنار وامارات السرور بادية في وجهه ، وكانت جلنار تنتظر مجيئه بفارغ الصبر ، فلما رأت سروره استبشرت وابتدرته قائلة : «هل من جديد ؟» . فقال : «لقد دنا وقت النجاح ، اذ مات ابو العباس، وخلفه المنصور ، وكنت قد بشرته بالخلافة منذ بضعة اعوام . فأرجو ان يكون نيل المرام على يده ، ولاسيما ان في نفسه حزازات على ابي مسلم من قبل » .

فقالت : «وأي حزازات في نفسه ، وأبو مسلم هو الذي مهد الخلافة للعباسيين . ولو اراد تحويلها الى سواهم لما لقي معارضا ؟»

فاستغرب صالح تصدي جلنار للدفاع عن ابي مسلم ؛ وفاته ان الحب اذا تأصل في قلب الكريم ، لم تنزعه الكوارث ولكنها قد تضغط عليه فتخفيه ، فاذا أزيحت عنه عاد اقوى مما كان • على انه تجاهل وقال : «لا يخفى على مولاتي الدهقانة ان طلاب السيادة هذا شأنهم ، فانهم لا ينفكون يتناحرون ويتحاسدون ويتخاصمون • فأرى الان ان أذهب الى المنصور فهو لا شك سيرحب بي ويستبقيني عنده ؛ وأنا احب البقاء هناك للسعي في امرنا ، فهل تبقيان هنا ؟ ام تذهبان معي الى الانبار مقر الخلافة الانْ

فقالت جلنار : «كيف نبقى هنا وأنت بعيد عنا ؟ ارى ان ننتقل الى الانبار نقيم ببعض بيوتها ، ولا خوف علينا فان الناس نسوا امرنا وكفانا سجنا هنا» •

وبدا الفرح في وجه ريحانة ، لانها كانت قد ملت الانزواء في الدير، ثم قال صالح : «ارى ان أذهب وحدي اولا ، ثم اعود اليكما فنذهب معا» • فوافقته على ذلك ، وقالت : «اذا ابطأت علينا ، فاننا نلحق بك ونبحث عنك في بلاط الخليفة» • قال : «حسنا» • وخرج يتأهب لمقابلة المنصور فصبغ لحيته وبدل ثيابه ، فعاد الى هيئته التي قابله بها في الحميمة منذ بضع سنوات ، وزاد على ذلك انه غطى عينيه بعصابة ، مبالغة في التنكر ، لعلمه ان في دار المنصور اناسا يعرفونه ولاسيما خالد ابن بُرمك •

وفيما كان المنصور جالسا ذات يوم في داره بالانبار ، دخل عليه حاجبه الربيع ، وأنبأه بأن رجلا مكفوف البصر يطلب المثول بين يديه على انفراد • فأشار المنصور الى من في حضرته من القواد فخرجوا وأذن بدخوله ، فدخل مطرقا يتوكأ على عصاه ، وقد غطى عينيه بعصابة وتظاهر بالضعف • فلما أقبل على الخليفة سلم وقال : «اشكر الله الذي أراني

صاحب القباء الاصفر على كرسي الخلافة وان كنت أرمد» •

فعرفه المنصور ، فوقف له وأخذ بيده حتى اجلسه على وسادة بين يديه وهو يقول : «مرحبا بالصديق القديم ، اني ما برحت أفكر فيك وأتمنى قدومك ، فاطلب ما تريد» •

قال : «لا أريد يا امير المؤمنين سوى تأييد دولتك وطول بقائك ، وقد اخبرتك يوم التقينا في الحميمة اني سآتيك على غير انتظار ، فها قد جئتك » •

فقطع المنصور كلامه قائلا : «وما الذي اصاب بصرك ؟»

قال : «لا ادري ما اصابه ، ولعله عقاب لي على اني لم اقم بالمهمة التي جئتكم بها هناك في الوقت المناسب ، فقتل الامام ابراهيم • ولكنني لم أتعمد ذلك ، وعلى كل حال لست في حاجة الى البصر لولا رغبتي في رؤية امير المؤمنين» •

قال : «ادعو لك طبيبا يصف لك دواء ؟»

قال : «كلا • فاننا معشر الزهاد لا نستعين على الامراض بالعقاقير ، وانما ندفعها بالادعية» •

فقال المنصور : «عسى ان يكون قدومك للاقامة عندنا هذه المرة» •

قال : «لقد دعيت لأكون في خدمتك الى ان تستغني عني او اموت• فاني لا ارجو البقاء طويلا ، ومثلي لا يليق بمعاشرة الخلفاء او مخاطبتهم، ولكنني علمت بما يحيق بدولتك من الاخطار لكثرة اعدائك وحسادك، فأحببت ان يكون لي يد في تأييدها على عجزي وقصر باعي» •

فقال المنصور : «بل انت صاحب الفضل الاكبر ، لانك بشرتني بالخلافة وأنت لم تعرفني • فأحب ان تكون عندي الان ، واذا شئت جعلتك رئيس المنجمين» •

فقال : «لا اراني اهلا لهذا المنصب ولا املك ان أسمي نفسي منجما ،

لاني لا أحمل ادوات التنجيم ، وانما أنطلق بما يلقيه الي الهاتــف او يلهمنيه الله . ولقد كنت أستعين بالنجوم قبل ان يذهب بصري ، فاذا اردتني في خدمتك ، فضعني في حجرة من حجرات دارك او في مكان اخر لا يراني فيه احد ، لاني لا ارى احدا» .

فقال : «بل تقيم بداري لتكون قريبا مني» . وصفق فجاء حاجبــه الربيع فأمره ان يأخذ الزاهد الى حجرة منعزلة في داره وان يقوموا على خدمته ، ففعل .

ولما خلا المنصور الى نفسه ، عاد الى دهائه وذكائه وشدة حذره وسوء ظنه . فرأى اقامة الزاهد الغريب بداره لا تخلو من مخاطرة ، وأراد ان يختبر كرامته وولايته لئلا يكون دسيسة من اعدائه ، فأرسل الى خالد بن برمك وكان موضع ثقته ، فأخبره بأمر الرجل وانه يؤثره على سائــر المنجمين ، ويود ان يستعين به عند الحاجة ، ثم قال له : «ولكنني اخاف ان يخدعني فأدخل عليه وأمتحنه ، وأبق الامر سرا بيننا» .

* * *

قصد خالد الى حجرة الزاهد فدخلها ، وظل المنصور والربيع بالباب بحيث يسمعان . فلما سمع صالح وقع الاقدام ، تظاهر بالتفكير ، حتى دخل خالد وألقى عليه السلام ، فعرفه من صوته فأجابه بقوله : «وعليك السلام يا ابن برمك . انك خير الوزراء لخير الخلفاء» .

فبغت خالد لمعرفته باسمه ، وسر لتلقيبه اياه بالوزير ، فالتفت الى المنصور ، فرآه يشير اليه ان يغالطه . فقال خالد : «وما ذنبي عندك حتى جعلت ابي مجوسيا ؟ أما كان السكوت أجدر بك اذا كنت لم تعرفني» .

فضحك صالح وقال : «وما ذنبي انا اذا كنت خالدا ، وقد ولدك برمك

المجوسي ؟ على ان مجيئك من صلب رجل غير مسلم لا يمنع فضلك . واذا كنت تختبرني ، فاسأل اجبك بما لا يدع عنك شكا في اخلاصي» .

فأعجب خالد بالجواب ، وسره وجود مثل هذا الرجل في بلاط الخليفة . وكان ميالا الى الاعتراف بمهارته لانه تنبأ بوزارته ، ولكنه خاف ان طلب اليه قراءة ما في ضميره ان يصرح بأمور لا يرضاها المنصور ، والفرس لا تخلو افكارهم يومئذ من شيء على آل العباس . فأجل ذلك حتى يخلو اليه . وأشار المنصور بالانصراف ، فرجعا وقد رسخ في ذهنيهما صدق الزاهد . وأمر المنصور الربيع بألا يأذن لاحد بالدخول عليه . فظل صالح وحده ، وقد سره ان يكون الممتحن خالد بن برمك لانه مطلع على كثير من احواله ويعرف صوته منذ رآه في منزل دهقان مرو قبل بضع سنين !

ولما سمع خالد وصية الخليفة للربيع بمنع الناس من مقابلة الزاهد استأذن في مقابلته صباح الغد ، ليسأله في اشياء تهمه ، فأذن له الخليفة في ذلك .

وبكر خالد في الصباح بالذهاب الى صالح ، فرحب به هذا وبشره ومناه استجلابا لرضاه . فجلس خالد بين يديه وقال : «لقد جئت اليك في امر يهمني الاطلاع عليه ، فاذا كشفته فرجت كربة كثيرين» .

قال : «قل لعلي استطيع ذلك باذن الله» .

قال : «لي صديق وقع في مشكلة لا دخل لها بالسياسة او الحرب ، وانما تتعلق بشخصه وشخص آخر يحبه . وقد اضاع ذلك الحبيب ، وهو يريد ان يعرف مكانه» .

فمد صالح يده حتى قبض على يد خالد ، وقال : «صرح او اعطني أثرا من آثار الضائع فأعرفه» .

قال : «لا سبيل لي الى أثر من آثاره .. ولكنني ازيدك تصريحا ،

أتعرف أبا مسلم الخراساني ؟»

فقال : «ومن لا يعرف صديقك ابا مسلم ؟»

فقطع خالد كلامه قائلا : «لا تقل صديقك ، لان الخليفة متغير عليه وقد اتهمه ، ولا احب ان تكون لي يد في هذه التهمة . ولذلك قلت لك انه سؤال لا علاقة له بالسياسة ولا بالحرب . فان مسألة ابي مسلم تتعلق بفتاة احبته ولم يحبها فأساء اليها ، ثم ندم فأحب ان يسترضيها فلم يقف لها على اثر ، وَما زال يبحث عنها ، فهل تعرف مكانها ؟»

فلما سمع كلامه تذكر ما قالته جلنار عن ابراهيم الخازن ، فعلم انه انما جاء للبحث عنها ، وتذكر ما لحظه من انتعاش آمالها وتحرك قلبها ، وأيقن ان أبا مسلم ينوي قتله وأخذ جلنار منه ، فقال في نفسه : «لقد آن وقت العمل» . وكان ما زال قابضا بيده على يد خالد ، فأطرق كأنه يفكر ثم رفع رأسه وقال : «مسكينة جلنار ! . كم احبت هذا الخراساني وخدمته ، وكم اساء اليها وعذبها ، فما الذي غيره ؟»

فدهش خالد لذكره اسم الفتاة وخلاصة قصتها ، وقال : «ايا الذي غيرته ، لاني كنت عالما بحبها له وتفانيها في خدمته حتى قتلت زوجها لاجله ، ثم اتهم ابو مسلم أباها بالخيانة وقتله ، وجاءت لتعاتبه فأهانها وسجنها ، ولم اكن حاضرا حينذاك ، فلما كان اليوم التالي توسمت فيه ندما على ما فرط منه على غير عادته ، فأخذت في تأنيبه وحببت اليه التزوج بها ، فرضي وبعث يستقدمها من السجن ، ولكننا لم نقف لها على أثر . وكنت شديد الرغبة في الوقوف على خبرها لاعتقادي بأنها مظلومة، فحسنت لابي مسلم البحث عنها في الاطراف البعيدة ، ففعل . وقد اخبره جاسوس له بأنه عثر عليها في الكوفة بمنزل ابي سلمة ، وأوشك ان يظفر بها ولكنها ما لبثت ان اختفت مرة اخرى . فغضب عليه ابو مسلم وأرجعه للبحث عنها . وقد جاءني منذ بضعة ايام وأخبرني انه لم يعثر عليها .

فهل تستطيع انت ان تعرف مكانها ؟»

وكان خالد يتكلم وصالح يتابعه في الحديث كأنه مطلع على القصة، فاذا توقف خالد أعانه بكلمة مما يعلمه ، وخالد لا يستغرب ذلك لما سبق الى ذهنه من براعته في التنجيم •

وأدرك صالح من سياق الحديث أنهم لم يعلموا ببقائه حيا ، فقال في نفسه : «لا بد ان ابراهيم الخازن لم يطلعهم على ذلك خشية ان يتهمه ابو مسلم بالاهمال» • وسره ان يكون عدوه ابراهيم على مقربة منه، وربما كان في بلاط الخليفة ، فأحب ان يتحقق ذلك فقال : «انها سالمة على قيد الحياة ، ولا يصعب علي معرفة مكانها ، انما يحتاج ذلك الى بعض الوقت • ويلوح لي انها ليست في مكان بعيد من هنا ، ألم تسأل المنجمين عن ذلك ؟»

قال : «سألت كثيرين : فاختلفوا وتناقضت اقوالهم ، وليس فيهم من ينفع مع رغبة امير المؤمنين في الاستكثار منهم للاستعانة بهم ، ولم اجد بينهم احدا مثلك» •

فقال : «ان اكثر منجمي هذا الزمان ينتحلون الصناعة لابتزاز الاموال، وانما هي موهبة يختص الله بها من يشاء من عباده ، وقلما يستطيعها احد بالاجتهاد • على ان بعضهم يتخذها وسيلة لغرض خاص كما يفعل المنجم حاييم ! »

فضحك خالد لمعرفة صالح بذلك الاسم الجديد ، وقال : «مسكين حاييم ، اين هو من التنجيم ، ومع ذلك فهو منخرط في جملة منجمي الخليفة يأخذ من أعطياتهم» •

فعلم صالح ان صاحبه بين منجمي المنصور ، فسكت وتزحزح من مكانه ، فأدرك خالد انه قد آن وقت انصرافه فنهض وودعه وأوصاه بأن يكتم ما دار بينهما ، فوعده بذلك وبأنه سيخبره بمكان جلنار بعد بضعة

ايام • فخرج خالد وقد تولته الدهشة ؛ اذ لم يكن يظن ان مثل هذا الرجل يوجد على وجه الارض • فذهب توا الى داره ، وبعث الى ابراهيم اليهودي • فلما جاء سأله : «هل وجدت الفتاة ؟» • فقال: «كلا» •

فقال : «اما انا فقد وجدت منجما يستطيع معرفة مكانها» •

فقال : «ومن هو ؟ أريد ان أراه» •

قال : «لا سبيل لاحد اليه ، فان امير المؤمنين لا يأذن في الدخول عليه • وقد رأيته انا فوجدت منه مهارة غريبة • ولم اكد اسأله عن الفتاة حتى قص علي خبرها ، وعرف مساعيك وانك انتحلت صناعة التنجيم لهذه الغاية ، وان اسمك المنجم حاييم ونحو ذلك مما ادهشني • وكنت أود ان تلقاه لولا ما ذكرته لك من حظر الخليفة مقابلته» •

وكان ابراهيم يسمع كلام خالد وهو يفكر فيمن عساه ان يكون هذا المنجم ، فلما سمع ما قصه عليه من معجزاته تبادر الى ذهنه انه منجم كاذب مثله ، ثم رجح ان يكون هو الضحاك ، ولاسيما بعد ان تحقق بقاءه حيا في الكوفة حين التقيا بباب ابي سلمة • فسأل خالدا عن شكل الرجل ولباسه فأخبره ان على عينيه عصابة وان لحيته محناة ، فسأله عن قامته فقال : «لم اره واقفا ، ولعله طويل» • فلم يشك ابراهيم في انه هو الضحاك • ولكنه تجاهل وبقي صامتا ، وقد عزم على الحذر • فصرفه خالد وعاد وهو عالق الذهن بذلك الزاهد • وأحب ان يلقاه ثانية ، فبكر اليه في الغد وأخبره بأنه لقي حاييم ، وأطنب له فيما تبينه من مهارته • فاستاء صالح من ذلك مخافة ان يفطن ابراهيم الى حقيقة امره • على انه كتم استياءه وأثنى على خالد ، وعمد الى اجتذاب قلبه اليه كما اجتذب قلب المنصور قبله بتبشيره بما تتوق اليه نفسه • وكان خالد طامعا في الوزارة وهو أولى حاشية الخليفة بها • فقال له صالح : « ان الله سيكافئك على سعيك في التوفيق بين هذين المحبين بأكبر منصب تطمح

اليه الابصار بعد الخلافة» .

فأدرك خالد انه يبشره بالوزارة ، فانشرح صدره . ولكنه تذكر ما يحول دون ذلك من تغير المنصور على ابي مسلم ، وخاف ان ينقم المنصور عليه ايضا ؛ ثم اراد ان يستفتي الزاهد في ذلك فقال له : «احب ان استفتيك في مسألة اخرى اقلقتني ، وأرجو ان يكون ذلك سرا بيني وبينك » .

قال : «قل ولا تخف» .

فقص عليه سبب غضب المنصور على ابي مسلم ، وانه اصبح يخشاه وينوي القبض عليه . وأطلعه على تفاصيل لم يكن يعرفها ثم سأله : «هل تظن ان المنصور سيعمم نقمته فتشمل جميع رفاق ابي مسلم ؟»

فأطرق صالح مفكرا ، ثم قال : «كلا ، فان المنصور لم يتغير على ابي مسلم الا لانه طمع في الامر لنفسه ، وهب انه نقم على سائر الخراسانيين فانه لا ينقم عليك» .

فاطمأن قلبه وخرج مسرعا مخافة ان يأتي المنصور فيراه هناك .

- ١٦ -

مصرع ابي مسلم

ولبث صالح ينتظر قدوم المنصور فما عتم ان جاءه وحده ، ودخل عليه خلسة حتى دنا منه وقبض على يده ، فعلم انه لا يجسر احد على ذلك غير الخليفة . وكان قد سمع صوته قبيل ذلك بجوار حجرته ، فابتدره قائلا:

«السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله» .

فقال : «وعليك السلام ، كيف حالك ؟»

قال : «اراني في نعيم والحمد لله على صدق فراستي ، ويسرني ان ارى أمور المسلمين في يد امير المؤمنين أيده الله . فهل تذكر عبارة قلتها لك يوم البشرى ؟»

قال : «أذكر كلامك كله ولم أنس منه حرفا ، أظنك تعني الظلمة التي تحدق بخلافتي» .

قال : «نعم ، هذا ما أعنيه . وقد عرفته قبل وقوعه ، وأظنه وقع فلماذا تكتمه عني ؟»

قال : «لم أكتمه ، وقد جئت الان في شأنه . ولكن ما هي الظلمة التي تعنيها ؟»

قال : «لم أكتمه ، وقد جئت الان في شأنه . ولكن ما هي الظلمة التي تعنيها ؟»

قال : «أتمتحنني يا ابا جعفر ؟ ان الظلمة التي أعنيها هي مطامع الناس في خلافتك ، وبعضهم في الحجاز والبعض الاخر في خراسان ، وآخرون في هذه المدينة بل في قصرك يؤاكلونك ويشاربونك» .

فجاء كلام صالح مطابقا لما في نفس المنصور ، لانه كان يخاف العلويين في الحجاز بعد ان بايعهم على ان تكون الخلافة بعد بني أمية لمحمد بن عبد الله الحسني ثم حصر الخلافة في بني العباس . وكذلك كان يخاف ابا مسلم في خراسان لانه قادر على نقل الخلافة والناس يطيعونه . كما كان يخاف بعض أعمامه وأبناء عمه ممن يقيمون معه . فلما سمع كلام صالح ازداد ايمانا بمهارته ، فقال : «صدقت ، اني اخاف على الخلافة من كل هؤلاء» .

قال : «ليس أدعى للخوف من ذلك الخراساني الفتاك» .

قال : «أتعني ابا مسلم ؟»

قال : «اياه أعني •• فان نجمه في اسمى المطالع ، ولو انه استنهض الحجارة لنهضت معه ، ولو حارب الابالسة لغلبهم • هذا الذي يخشى بأسه ، ولكنني ارى نجمك أسمى من نجمه وسعدك ابقى من سعده !»

فقال المنصور : «لا اخفي عليك ما في نفسي من هذا الخراساني ، فقد كنت أخشاه ايام اخي السفاح فأشرت عليه بأن يحبسه فلم يطعني، فلما افضت الخلافة الي رأيت منه انحرافا ، وعلمت عنه أمورا اغضبتني فاستخدمته في محاربة عمي عبد الله الطامع في الخلافة . وضربت احدهما بالآخر فمن قتل منهما نجاني الله منه ، ففر عمي وفاز ابو مسلم بما كان في معسكره من الغنائم • فبعثت اليه اطاب الغنائم فغضب ، وعلمت انه شتمني • فلما رأيت هذه الجرأة . خفت اذا سار الى خراسان ان يعصاني• فبعثت اليه وهو في الجزيرة اني وليته الشام ومصر ، وطلبت اليه ان يأتيني فأجابني بما يدل على خوفه مني ، اذ كتب الي يقول : (لم يبق لامير المؤمنين أكرمه الله عدو الا مكنه الله منه ، وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان ان أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء ، فنحن نافرون عن قربك حريصون على الوفاء لك ما وفيت . حريون بالسمع والطاعة ، غير انها من بعيد حيث تقارنها السلامة • فان ارضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك ، وان أبيت الا أن تعطي نفسك ارادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضنا بنفسي) •

فكتبت اليه ذاكرا له انه مخطىء ، فأصر على الامتناع ومضى الى حلوان وجاءني منه كتاب جمع بين الاحتجاج والاعتذار ، قال فيه : (أما بعد ، فاني اتخذت رجلا اماما ودليلا على ما افترض الله على خلقه• وكان في محلة العلم نازلا ، وفي قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا ، فاستجهلني بالقرآن فحرفه عن موضعه طمعا في قليل قد نعاه الله

الى خلقه ، فكان كالذي دلاني بغرور ، وأمرني ان أجرد السيف ، وأرفع الرحمة ، ولا أقبل المعذرة ، ولا أقيل العثرة • ففعلت توطئة لسلطانكم، حتى عرفكم الله من كان يجهلكم • ثم استنقذني الله بالتوبة ، فـان يعف عني فقد فعل ما عرف به ونسب اليه ، وأن يعاقبني فيما قدمت يداي وما الله بظلام للعبيد) • فأشكل علي امر هذا الكتاب ، وجمعت المنجمين منذ بضعة ايام لاستطلاع ما في نفس الرجل ، فأحسنوا الثناء عليه وقالوا: (انه تاب عما كان فيه ، واذا احسنت الظن به وقربته نفعك) • فأمسيت في حيرة من الامر لا ادري أأصدق هؤلاء ؟ ام ابقى على عزمي فـي القبض عليه ؟ وكنت وأنا في حيرتي هذه أفكر فيك وأطلب الى الله ان يرسلك الي لعلك تطلعني على الصواب» •

وكان صالح يسمع كلام المنصور وهو جالس الاربعاء ، متكـىء بكوعيه على فخذيه ووجهه الى الارض كأنه ينظر فيها • فلما فرغ المنصور من كلامه ، رفع صالح رأسه وقال : «لا تصدق من يقول ان الرجل تاب وان استبقاءه ينفعك ؟» ان صوت قلبك يا امير المؤمنين أصدق من تكهن المنجمين ، ولاسيما اذا كان فيهم منجم يهودي اسمه حاييم» •

فاستغرب المنصور معرفته ذلك الرجل وقال : «قد لحظت من حاييم هذا رغبة شديدة في تبرئة ابي مسلم واثبات حسن نيته» •

فقال : «لانه صنيعته وهو عين له عليك» •

فدهش المنصور لصحة كل ما قاله الزاهد ، وكأن الغيب كتاب مفتوح بين يديه يقرأ منه ما شاء • وكان المنصور قد اساء الظن باليهودي اذ لمح فيه الرياء والمكر فقال : «سينال هذا اليهودي عاقبة سعيه ، فماذا ترى انت في مقاصد ابي مسلم ؟»

قال : «كما ترى انت يا امير المؤمنين ، ان بقاءه خطر عليك وعلـى دولتك • ولا تعبأ بما جاء في كتابه من الاعتذار ، فانه يلقي التبعة على

اخيك الامام رحمه الله ، او هي حيلة يحتال بها عليك ريثما يتمكن منك فيخرج عليك وتندم حيث لا ينفع الندم • وكأنني فهمت من كلامك انك اذا قبضت على ابي مسلم تنوي الاكتفاء بحبسه • وقد قلت لك ان بقاءه خطر عليك وعلى دولتك لان الرجل لا تقصر مطامعه على ولاية خراسان بل هو طامع في الخلافة» •

فضحك المنصور مستخفا وقال : «لا أظنه يبلغ به الجنون الى هذا الحد ، لعلمه ان نسبه أقصر من ان يتطاول الى هذا المقام . وهو مولي أعجمي والخلافة لا تكون في غير قريش» •

قال : «أتوسل الى مولاي امير المؤمنين ألا يكذبني اذا قلت قولا . لاني لا اقول شيئا من عند نفسي • فأبو مسلم طامع في الخلافة ؛ ولم يغفل عن انها لا تكون الا في قريش . ولذلك انتحل لنفسه نسبا فيهم فزعم انه من نسل سليط بن عبد الله بن العباس جدكم» •

فلما سمع المنصور قوله وثب من مكانه وثبة الاسد . وغلب عليه الغضب وقال : «يا للجرأة والقحة ! صدقت انه طامع في الخلافة ؛ فقد كتب الي يخطب عمتي وجعل اسمه في ذلك الكتاب قبل اسمي ، فبقاؤه عثرة في طريق دولتنا ولا بد من قتله • ولكنني يئست من استقدامه بالحسنى ، وهو مقيم بحلوان وينوي الشخوص الى خراسان» •

قال : «أهديك الى وسيلة ناجعة لاستقدامه ؛ اكتب اليه كتابا مع رجل لين اللسان يخاطبه بلطف ويرغبه في القدوم اليك ؛ ويؤكد له حسن قصدك وانك تنوي اتخاذه وزيرا لك • وتوصي رسولك اذا لم يفلح بالحسنى ؛ ان يهدده بأنك تحمل عليه بحلوان بعيدا عن رجاله الخراسانيين » •

فقطع المنصور كلامه قائلا : «هذا الذي كنت عازما عليه» •

فقال صالح : «بقي عندي رأي ؛ وهو ان تستكتب حاييم اليهودي

كتابا الى ابي مسلم ويختمه بخاتمه ، يدعوه فيه الى المجيء ويطمئنه ويؤكد له حسن قصدك وانك تنوي تقديمه . اكتب انت ما تراه من هذا القبيل على لسان اليهودي الى ابي مسلم واجعله يختمه بخاتمه — وسترى اسمه على خاتمه (ابراهيم) فلا تستغرب لان هذا هو اسمه الحقيقي — ثم ابعث بهذا الكتاب مع رسول اخر يدفعه الى ابي مسلم ، على انه مرسل من صاحبه هذا . وبعد ان تهيىء هذا التدبير . انتقل الى بلد اخر وابق جندك الخراسانيين هنا ، وأوص رسولك بأن يأتي بأبي مسلم الى ذلك البلد . فاذا سار اليك فأسرع في قتله ، واحذر ان تبقي عليه . وهذه وصيتي ، وليست هي من عندي وانما اقول ما يوحي به الي» .

قال : «حسنا ، ولكن لا بد من ذهابك معي فقد اصبحت لا أستغني عنك» .

قال : «سمعا وطاعة وانما تأذن لي في ان اعرج اثناء ذهابي على مكان مبارك لي فيه نذر ، ثم آتيك الى حيث شئت» .

قال : «افعل ما شئت . وما رأيك في المكان الذي انتقل اليه» .

قال : «ارى ان تنتقل الى (المدائن) لتوسطها بين البلدين . ولانها المدينة التي غلب فيها الفرس في اول الاسلام ، وسيغلب فيها هذا الفارسي ايضا باذن الله» .

فأعجب المنصور بهذا التعليل وتفاءل به ، وقال : «سأفعل ، ومتى عدت فوافني الى هناك» . ثم تذكر المنصور ان الزاهد مكفوف البصر ، فقال له : «ألا ارسل معك من يتولى خدمتك في الطريق ؟» . فلم يسع صالحا الا القبول وأخذ في التأهب ، فخرج المنصور من عنده وأمر الحاجب ان يعد له فرسا ويرسل معه رجلين من الخدم يكونان معه حتى يعود .

* * *

كان صالح ينوي الذهاب الى جلنار ليطمئنها ويحسن لها البقاء في الدير ريثما تهدأ الاحوال ، لانه تذكر قلقها ورغبتها في اللحاق به اذا ابطأ عليها ، وخشي على نفسه اذا اتت الى دار الخلافة وعلم بها خالد او ابراهيم ، ان يخبراها برسالة ابي مسلم .

اما المنصور فكتب الكتاب الذي اشار صالح بكتابته الى ابي مسلم على لسان خازنه ابراهيم . ثم بعث الى المنجم حاييم . فلما دخل عليه دعاه الى الجلوس فجلس وهو خائف من تلك الدعوة ــ ولاسيما بعد علمه بوجود الزاهد (صالح) في دار الخلافة ــ فلما جلس بين يديه لحظ المنصور خوفه فقال له : «لقد دعوتك لتساعدني في اقناع امير بني العباس (ابي مسلم) بأننا لا نريد به شرا ، لاننا كاتبناه غير مرة ندعوه الينا وهو يأبى ، مع انك تعلم حسن ظننا به ، كما تعلم صدق توبته ورجوعه الى الصواب . فاكتب اليه كتابا اذكر له فيه حسن نيتنا وان ليس له عندنا الا كل ما يحب» .

فعلم ابراهيم ان المنصور لم يكلفه بذلك الا لعلمه بصداقة بينه وبين ابي مسلم فقال : «وما قدر كتابي بالقياس الى كتب امير المؤمنين ؟»

فقال : «انه نافع باذن الله» . وكان المنصور قد أمر الكاتب فأعد كتابا يرغب فيه ابا مسلم بالقدوم ويؤكد له حسن ظن الخليفة ، فدفعه الى ابراهيم وقال له : «هات خاتمك» .

فارتبك ابراهيم في امره ولم ير مندوحة عن الطاعة ، فمد يده الى منطقته وأخرج كيسا صغيرا من جانب الدواة دفعه الى الكاتب ، فأخرج الكاتب من الكيس خاتما طلاه بالمداد وختم به الكتاب ودفعه الى المنصور فقرأه فاذا هو (ابراهيم) فضحك وقال : «يلوح انك ذو اسمين: اسم داخلي واسم خارجي ، لا بأس عليك !» . وأبقى المنصور ذلك الخاتم عنده ، وأقام الارصاد على ابراهيم لئلا يخرج من الانبار . وفي

اليوم التالي ، ذهب الى المدائن مع جماعة من خاصته وترك بقية الجند في الانبار ، ولم يظهر غرضه لاحد ، واصطحب بعض المنجمين ، ولبث ينتظر قدوم ابي مسلم . ويود مجيء الزاهد قبله ليستعين برأيــــه اذا مست الحاجة .

اما صالح ، فانه ركب الى دير العذارى فلما وصل اليه ابقـــــى الخادمين مع الفرس خارجه : ودخل وقد رفع العصابة عن عينيه حتى دخل على جلنار في غرفتها ، فوجدها في حالة يرثى لها من البكاء : وريحانة الى جانبها تخفف عنها . ولما وقع نظرها عليه صاحت قائلة : «آه يا صالح لقد طال سجني في هذا الدير ونفد صبري ، وقلبي يحدثنـــي بخبر اذا خرجت منه : وقد تراكست علي الاحلام على غير عادة . وما اظن ابا مسلم باقيا كما كان : فقد رأيته في منامي جاثيا بين يدي يلتمس العفو ، ويبكي ويتوسل . تأمل يا صالح ، رأيت ابا مسلم الخراساني بطـــل المسلمين يبكي بين يدي ، فهممت بأن أقبله . فاستيقظت وذهب خياله من أمامي . ولا ازال ابكي الى الان» . قالت ذلك وهي تشرق بدموعها .

فاستغرب صالح مطابقة حلمها للواقع ، ولولا فظاظة قلبه لبكـــى لبكائها لانه لم يسمع منها مثل هذا التصريح من قبل . ولم ير خيرا من تسكين ما بها بالكلام اللين وتكذيب الاحلام لتبقى في الدير بضعة ايام اخرى . ريثما يتم ما بدأ به من السعي لقتل ابي مسلم ، فقال لها : «مالي اراك على غير ما أعهده فيك من التعقل والرزانة .. أمن اجل حلم لا معنى له تبكين وتنتحبين وتصدقين المستحيل ؟ ومتى كانت أضغاث الاحلام مما يعول عليه في تصاريف الزمان ؟ دعي الاوهام وارجعي الى رشدك . اذا كنت تتوقعين من ابي مسلم حبا فانك تطلبين من النار ماء ، لانه رجل لا قلب له يحب به احدا حتى امرأته !»

فلما سمعت كلامه ، صاحت فيه : «ألم تكن انت اول من نقل الي

خبر حبه ، وأسررت الي بما في نفسه من الشغف بي ؛ وانه انما يمنعه من التصريح خوفه ألا يكون عندي مثل ما عنده . فكيف تقول الان انه لا قلب له يحب به وتستغرب بكائي شوقا اليه وتستبعد ان اخطر بباله ؟ قد رأيته الليلة رأي العين كأني في يقظة او كأن روحه ناجت روحي ؛ لا شك انه يحبني . فكيف يمكن ان يبلغ مني حبه هذا المبلغ حتى اراه في المنام كاليقظة ، وأتلقى عذابه كالراحة ، وأنسى سيئاته وان كثرت ؟. أأموت وأحيا بكلمة منه ويكون هو بلا قلب ولا عقل ؟ انه ان لم يلتفت الي حبا فانه قد يرق لي شفقة !» . قالت ذلك وقد بح صوتها وخنقتها العبرات وتكسرت أهدابها واحمرت عيناها من البكاء ، فأخذت ريحانة تضمها وتقبلها وتخفف عنها ، ودموعها تتساقط تأثرا .

فأعجب صالح لتفاهم القلوب ومطابقة الرؤيا للحقيقة ، وحدثته نفسه بأن يبوح لها بحب ابي مسلم لها ، وندمه على ما كان منه . ولكنه خشي ان تفسد عليه امره ، فأمسك وقال معاتبا : «لا بأس يا مولاتي ، انـــي أحتمل هذه الاهانة اكراما لك ولابيك رحمه الله ، ولا أعتب عليك لانك فتاة لم تعرفي أمور الدنيا . أهذه عاقبة سعيي في خدمتك طوال هــذه الايــام ؟ »

فخجلت جلنار ، وتقدمت ريحانة تقول : «لا عتب على مولاتي فيما قالت وهي على ما تراه من التأثر ، لا ادري ما الذي اصابها منذ ألقى اليها ذلك اليهودي تلك العبارة ، ليته مات قبل ذلك الحين» .

فقال صالح : «أاذا أذنب اليهودي أعاقب انا ؟ اقد حملت المشاق في هذه البراري لأطمئن عليكما وأبشركما بقرب النجاح ، فبدلا من ان تلاقياني بالترحاب وتسألاني عما جرى تسمعاني هذا التوبيخ ؟! لا بأس يا سيدتي ، هل عندكما طعام فاني لم آكل منذ امس ؟»

فأطرقت جلنار ، وبادرت ريحانة وأتته بما وجدته من الطعام ، فأكل

وهم سكوت • وقد هدأ روع جلنار ، فندمت على ما اظهرته من الحدة ولكنها استنكفت ان تعتذر ، وشعرت بتغير قلبها وأحست لسبب لا تعلمه بما ينفرها من صالح ، وأصبحت اذا نظرت في عينيه اعتراها نفور فلم تعد تستطيع المكث معه ، فنهضت الى غرفة اخرى واستلقت على الفراش من التعب والنعاس ، وظلت ريحانة مع صالح تعتذر عما فرط من سيدتها. وسألته عما جرى ، فأظهر انه متأثر مما سمعه وقال : «سأخبرك عن ذلك في المرة القادمة ، فاني ساع جهدي في نفعها ولا أبالـــي غضبها او رضاها ، فاسمحي لي ان أنصرف الان ، ومتى افاقت مولاتك فأهديها سلامي» • قال ذلك وخرج فأصلح عصابة عينيه وعاد الى ما كان عليه ، فوجد الخادمين في انتظاره بالجواد : فركب وعاد •

اما المنصور فنزل في قصره بالمدائن : ومكث ينتظر قدوم ابي مسلم او جوابه • وبعد بضعة ايام وصل صالح وقد سمع ما سمعه من جلنار . وصمم على تعجيل قتل ابي مسلم جهد الطاقة لئلا يعترضه معترض، وهو يعلم انه اذا لم يقتله قتل هو ، اذ ليس من يعرف حقيقة حاله الا ابو مسلم وخازنه ابراهيم ، واستبطأ المنصور ابا مسلم ، فسأل صالحا عن سبب الابطاء فقال : «لا بد من قدومه ، واذا لم تنجح فيه هذه الحيلة فعندي حيلة اخرى لا شك في نجاحها » • وكان يريد ان يزور كتابا على لسان جلنار ، ردا على كتابه اليها ، فهذا لا شك يحمله على المجيء •

على انه لم يجد حاجة الى ذلك ، فبعد بضعة ايام جاء البشير بأن أبا مسلم قادم فبعث المنصور من يستقبله ويرحب به ويبلغه سلامه وشوقه • فاطمأن ابو مسلم وكان لا يزال حزينا كئيبا لارتيابه في هذه الدعوة • فسار في موكبه حتى أقبل على قصر المنصور : فأذن له في الدخول • وكان صالح عنده على وسادة في بعض جوانب القاعة ، فتقدم ابو مسلم وقبل يد المنصور ، فأظهر له ارتياحه وأمره ان ينصرف ويروح عن نفسه

ثلاثة ايام ويدخل الحمام ، فانصرف •

وشق هذا التأجيل على صالح مخافة ان يحدث ما يمنعه من قتله ، فقال للمنصور : «ارى مولاي يماطل فيما يدعو الى المبادرة» •

فقال : «تركناه ليطمئن قلبه ثم نرى» •

فلما سمع قوله خاف ان يكون في نيته غير القتل ، فقال : «ثم ترى ماذا ؟ أقتل ثم اقتل . واذا لم تقتله قتلك» •

فضحك المنصور وقال : «لا تخف . لا يلتقي فحلان في اجمة الا قتل احدهما صاحبه» • فاطمأن صالح •

* * *

مكث ابو مسلم ثلاثة ايام لم ير في اثنائها خازنه ابراهيم ، ولا خالد ابن برمك ، فقلق لغيابهما وانقطاعهما عنه وعاد الى هواجسه ، وفي اليوم الثالث جاءه رسول المنصور فصحبه ومعه بعض رجاله • وكان المنصور قد أعد خمسة من حَراسه مدججين بالسلاح خبأهم خلف الرواق ، وقال لهم: «اذا صفقت فاهجموا عليه جميعا واقتلوه» • فلما وصل ابو مسلم الى الباب ترجل ودخل وحده حتى مر بالرواق الى القاعة ، وفي صدرها سرير جلس عليه المنصور ، وليس في القاعة الا ذلك الزاهد جاثيا مطرقا • فلما دخل ابو مسلم ، حيى ووقف وقد تقلد سيفه وعلى رأسه قلنسوة طويلة ، فلم يدعه المنصور الى الجلوس ، فازداد قلقه ، ثم احتال المنصور لانتزاع سلاحه منه فقال له : «اخبرني عن نصلين اصبتهما مع عمـي عبد الله» • فمد ابو مسلم يده الى سيفه ، وقال : «هذا احدهما» •

قال : «ارني اياه» •

فأنضاه ودفعه اليه ، فوضعه المنصور تحت فراشه ، ثم أقبل يعاتبه على أمور كثيرة ساءته منه ، وهو يرد ردا جميلا حتى قال المنصور : «ألست

الكاتب الي تبدأ بنفسك وتخطب عمتي آمنة بنت علي ، وتزعم انك ابن سليط بن عبد الله بن عباس ؟، قد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا» .

فكانت هذه الكلمة اول ما حرك غضب ابي مسلم ، ولكنه كظم الغيظ وظل ساكتا . فقال له المنصور : «ما الذي دعاك الى قتل سليمان ابن كثير ؟ مع اثره في دعوتنا وهو احد فتياننا ، بل هو الذي ادخلك في هذا الامر» .

قال : «اراد الخلاف وعصاني فقتلته» . ولما طال العتاب على هذه الصورة ، لم يعد ابو مسلم يطيق صبرا فقال : «لا يقال مثل هذا القول لمثلي بعد بلائي ونصرتي وما كان مني» .

فقال المنصور : «يا ابن الخبيثة ، والله لو كانت امة مكانك لفعلت ما فعلت ، انما عملت في دولتنا بريحنا وجاهنا ، فلو كان ذلك اليك ما قطعت فتيلا» .

فأحس ابو مسلم الغدر في عين المنصور ، ورأى نفسه وحيدا هناك، فتقدم الى المنصور وأخذ بيده يقبلها ويعتذر . فقال المنصور : «ما رأيت كاليوم ، والله ما زدتني الا غضبا» .

فعادت الانفة الى ابي مسلم فقال وصوته يرتجف من الغضب : «دع هذا ، لقد اصبحت ولا اخاف احدا غير الله» . فغضب المنصور وصفق بيده ، فخرج الحراس فضرب احدهم ابا مسلم على حمائل سيفه ، فصاح ابو مسلم : «استبقني لعدوك يا امير المؤمنين» . فقال : «لا أبقاني الله اذن ، اي عدو أعدى لي منك ؟» . فصاح : «العفو العفو يا امير المؤمنين» . ولكن السيوف تساقطت عليه ، فخر على الارض .

ونهض المنصور ليتحقق موته ، فرآه لا يزال يتخبط بدمه ويزأر كالاسد الجريح ، فحول بصره وهو يتجلد . فسمع ضوضاء في غرفة مستطرقة الى تلك القاعة ، ثم رأى بابها دفع بقوة ودخلت منه فتاة

مكشوفة الرأس محلولة الشعر سافرة الوجه يتدفق وجهها جمالا وهيبة، وقد هرعت ويداها ممدودتان وصاحت : «العفو يا امير المؤمنين ! العفو عني وعنه ، او اقتلني معه» . ورأى في اثرها خادمتها تصيح مثل صياحها . فلما سمع صالح الصوتين عرف انهما جلنار وريحانة ، فسقط في يده . واستغرب قدومهما في تلك الساعة وجمد الدم في عروقه ، ولكنه تجلد ووقف ، أراد ان ينسل اثناء الضجة ، فاذا برجل دخل في اثرهما وأمسك بطوقه وصاح : «امكث هنا يا خائن ، قد خدعت امير المؤمنين وحملته على قتل كبير قواده ، فلا تطلب الفرار ؟»

فدهش المنصور لتلك الضوضاء ،واستغرب جرأة الداخلين عليه بغير استئذان ، وأراد ان ينادي الحراس ليسألهم عن ذلك ، فاستوقف انتباهه منظر تتقطع له الاكباد ، اذ رأى جلنار اقبلت على ابي مسلم وهو مطروح ارضا والدم يسيل من جوانبه ، وقد توسط البساط معارضا ووجهه نحو المنصور كأنه يتوعده ، قد انتثرت قلنسوته عن رأسه فبان شعره وتلوث بالدم . فلما رأته على تلك الحال ، صاحت : «ابا مسلم !» فالتفت ونظر اليها بعينين تكادان تجمدان من الاحتضار ، وقال بصوت مختنق : «سامحيني يا جلنار» . ثم ارتج عليه وأخذ يبكي بكاء الطفل فسقطت وقد أغمي عليها . فاشتغل الحضور بها ورشوها بالماء ، فلما افاقت لم يكن همها الا ان تنظر الى ابي مسلم ، فاذا به قد فارق الحياة وشخصت عيناه وجمدتا وهما متجهتان اليها والدمع لا يزال فيهما ، فرمت نفسها عليه وجعلت تتمرغ بردائه وتغمس كفيها بدمه وتمسح وجهها ، ثم همت بيديه وصدره وأخذت تقبل ثوبه وتستنشق ريحه وتبكي وتلطم حتى لم يبق في الغرفة الا من تقطع قلبه تأثرا . فلما رأى المنصور ذلك أمر الحراس بأن يلفوا جثة ابي مسلم بالبساط ويخرجوه من القاعة ، ففعلوا وجلنار تحاول دفعهم عنه ، وخرجوا جميعا ولم يبق هناك الا جلنار

وخادمتها اذ استبقاهما المنصور ليسأل عن سبب ما حدث • ثم تقدم الى الفتاة وأنهضها وهو يقول لها : «ما بالك يا بنية ، ما الذي اصابك ؟»

فانتبهت والتفتت الى ما حولها ، فلم تجد جثة ابي مسلم فقالت : «اين هو ؟ دعوني أودعه او خذوني معه» •

فقال لها المنصور : «اعلمي يا صبية ان امير المؤمنين يكلمك» •

فوقفت وتأدبت ثم التفتت تبحث عن ريحانة ، فرأتها ممسكة بثوب صالح وابراهيم قابض على طوقه وهو يحاول الفرار فصاحت فيه : «أهذا جزاء الثقة يا صالح ؟• ايأتيك كتاب ابي مسلم بالتوبـــة والمصالحة ، وأخبرك بأن قلبي يحدثني بذلك وأنت تخفي علي حبه ، كأنك خفت ان يفلت هذا الاسد من القتل فيقتلك • وما كفاك ذلك حتى حرضت امير المؤمنين على قتله ، وأقنعته بأنه يضمر له الشر وان التوبة التي بعث بها اليه زائفة • وهذا كتابه الي كتبه منذ بضع سنوات يشهد بصـــدق توبته عن كل شيء» • قالت ذلك وأخرجت من جيبها منديلا من الحرير الاحمر فيه كتاب من رق دفعته الى المنصور • فتناوله وهو في حيرة مما يشاهده ، وقد دهش لما رآه من قبض ابراهيم اليهودي على طـــوق الزاهد • وكان المنصور لا يزال ممسكا بيد جلنار ، فأجلسها علـــى السرير وقعد الى جانبها وقال لابراهيم : «ويحك ما هذه القحة ؟ كيف تهين هذا الرجل الصالح في حضرتي ؟»

قال : «لا تدعه صالحا يا امير المؤمنين فانه شر خلق الله • انه شرير يستوجب القتل لانه حرضك على قتل ابي مسلم وأنكر توبته ، وخدعك بما يظهره من التقوى والزهد وهو من اكبر اعداء امير المؤمنين» •

فبهت المنصور حتى ظن نفسه في حلم ، وقال : «دعه وأخبرني بما تعرفه عنه» •

قال : «لا اتركه حتى تأمر من يقبض عليه» •

فقالت ريحانة: «اتركه فاني قابضة عليه، ولا يتمكن من الفرار مني».

فتركه ابراهيم ووقف بين يدي الخليفة ، وقال : «ان هذا الـــذي يتظاهر بالزهد ويسمي نفسه تارة صالحا وطورا الضحاك وآونة الزاهد ، رجل من الخوارج الاشرار كان في جملة رجال شيبان بقرب مرو عندما حاصرها ابو مسلم . وقد قام في نفسه ان يساعد حزبه بالمكائد والحيل، فالتحق بخدمة ابي هذه الفتاة وهو من دهاقين خراسان ، واحتال حتى استخدم الفتاة في قتل اعدائه وهي تطيعه عن سذاجة وسلامة نية ، وكان قد اقنعها بأن ابا مسلم يحبها ، فلما صرح لها ابو مسلم بأن هذا لــم يحدث ، وقتل أباها لممالأته العرب اعداء الدعوة ، عدت ذلك خيانة منه، واستمعت لتحريض هذا الشرير اياها على قتله . فمضى بها في الآفاق يترقب الفرص لبلوغ غرضه . ثم ندم ابو مسلم على جفائه ورأى هذه المسكينة مظلومة فبعثني اليها بكتاب منه هو هذا الذي بيد امـــير المؤمنين ، وكلفني ان اطوف البلاد للبحث عنها فوجدتها في الكوفـــة وهممت بأن اخبرها بالامر ، فحال هذا اللعين بيننا ، لانه لما علم بمجيئي هرب بها الى دير خارج الكوفة ، واحتال على امير المؤمنين حتى اقـام بقصره وأظهر انه يشير عليه ويطلعه على الغيب . ثم بلغه انني أبحث عن الفتاة لابلغها هذه الرسالة ، فكتم ذلك عنها مع انه رآها بالامس وشكت اليه غربتها وقالت له ان نفسها تحدثها برضى حبيبها عليها . وهو ينكر ذلك مخافة ان يكون في اطلاعها على فحوى الكتاب ما يخفف ذنب ابي مسلم عند امير المؤمنين . ولا شك عندي ان امير المؤمنين لو اطلع على هذا الكتاب قبل فتكه بهذا القائد العظيم لأبقى عليه ، اذ يتحقق توبته وتعلقه بالخلافة العباسية . وقد عرفت بوجود هذا الخارجي في دار امير المؤمنين منذ امرتني بكتابة ذلك الكتاب الذي كان سببا في مقتل هذا الرجل . وعلمت انه ما من احد يعرف مكان جلنار سواه ، فما زلت أترقبه

حتى خرج اليها ، فأرسلت غلاما عرف مكانها وعاد الي قبل رجوعه وأنا مع امير المؤمنين في هذه المدينة • فلما جاء ابو مسلم منذ ثلاثة ايـــام فرحت بمجيئه وأحببت ان أفاجئه بمجيء حبيبته ؛ فلم أجيء للسلام عليه بل اسرعت الى الدهقانة ودفعت الكتاب اليها فجاءت معي وقلبها يكاد يطير فرحا • فلما وصلنا الى القصر قيل لنا ان ابا مسلم في مجلس الخليفة، فالتمسنا من قيم الدار ان يدخلنا لنقيم ريثما يفرغ من المقابلة • فأدخلونا الى هذه الحجرة المستطرقة الى هنا فجلسنا ننتظر خروجه ، ثم سمعنا صوته واستغاثته وعلمنا ان المسكين يقتل ؛ فهجمت هذه الفتاة وهي لا تعي ولا استطعت ردها وفعلت ما رأيتموه • واذا شـــاء امير المؤمنين فليطلع على هذا الكتاب ليتحقق صدق قولي» •

فأخفى المنصور الكتاب لئلا يكون فيه ما يثبت توبة ابي مسلم ، فيذاع انه قتل مظلوما •

* * *

لما فرغ ابراهيم من كلامه صاحت جلنار بصالح : «ويلك يا خائن•• انت من الخوارج وتغشني كل هذا الزمن وأنا أعدك بمنزلة ابي ؟» • وحرقت اسنانها ، وأطرقت وهي تبكي •

فقالت ريحانة وهي لا تزال ممسكة بثوب صالح : «اعلم ايها الامير ان هذا الرجل ، هو الذي سعى في مقتل الامام ابراهيم عند مروان ، ثم جعل نفسه زاهدا فجاءكم في الحميمة وخدعكم ولا يزال يخدعكم الى الان • واذا كنت لا تصدق قولي ، فمره ان يزيل هذه العصابة عـــن عينيه فيظهر لك انه سليم البصر وهو يتظاهر بالعمى» • قالت ذلك ومدت يدها فحلت العصابة فبانت عيناه ، فأجال نظره في الحضور وهو ثابت الجنان رابط الجأش كأنه واقف على ضفاف دجلة للنزهة !

فلما سمع المنصور ذلك انفطر قلبه على تلك الفتاة ، ولكنه لم يندم على قتل ابي مسلم • ثم التفت الى صالح فرآه واقفا لا يتكلم ولا يرتعد ولم تظهر عليه علامة الخوف ، فأراد ان يسأله عما سمعه فقال له : «ماذا تقول فيما سمعته ؟»

قال : «كل ما قالوه صحيح» •

قال : «تقول ذلك ولا تخاف غضبي ؟»

قال : «وما يخيفني من غضبك • هل تقدر على شيء شر من القتل ، وأنا لا أبالي ما يصيبني بعد ان بلغت مرامي بقتل هذا الظالم ، غير اني أنصح لك بأن تقتل هذا اليهودي ايضا لانه من اكبر المنافقين» •

فقال المنصور : «اما القتل فانه قليل على ذنوبك لانها كثيرة وكل واحد منها يستحق القتل» • ثم نظر الى جلنار فرآها مطرقة غارقة في احزانها ، فأراد ان يشفي غليلها فقال لها : «ان هذا الجاني لك، فاختاري الطريقة التي تريدينها لقتله» •

فرفعت بصرها الى الخليفة والدمع ملء عينيها وقالت : «هل اذا بالغت في عذابه يحيا حبيبي ؟ لا أبالي كيف يموت» • قالت ذلك وقد خنقتها العبرات وعاد اليها رشدها •

فأعجب المنصور بتعقلها والتفت الى صالح وقال : «كل ضروب القتل قليلة على ذنبك ، ولكني سأقتلك كما قتل الحجاج فيروز» • ودعا الحراس فأمرهم ان يشقوا القصب الفارسي ويعروا الرجل ويشدوا القصب المشقوق على بدنه ثم يسلوه قصبة قصبة فيجرحه ، ثم يصبون عليه الخل والملح حتى يموت من الالم» • فأخذوه وفعلوا به ما أمر الخليفة •

فلما سمعت جلنار ذلك الوصف اقشعر بدنها ، والتفت المنصور اليها وقال : «وأنت يا بنية عظم الله اجرك •• لقد نفذ القدر ولا خيرة في

الواقع . فاذا شئت ان تنزلي دار امير المؤمنين كبعض اهله نزلت مكرمة معززة ، واذا اخترت الاقامة بمكان اخر كان لك ما تريدين» .

فأثنت على فضل المنصـــور . وقالت : «اذا أحب امير المؤمنين ان يسرني فليلحقني بهذا» . وأشارت الى مكان ابي مسلم وعادت الـى البكـاء .

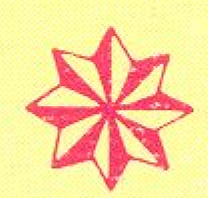
فقال : «ان البكاء لا ينفعك ، فاذهبي الان مع حاضنتـــك الى دار النساء للاستراحة» .

فنهضت وأخذت تبحث عن جثة ابي مسلم في اقصى القاعة فلم تجدها لانهم كانوا قد لفوها بالبساط ، ثم التفتت الى المنصور ووجهها ملوث بالدم وقالت : «أوصيك بجثمانه خيرا» . وخرجت وهي تبكي وكفاها على عينيها . وقد جمد الدم عليهما وريحانة تتبعها .

اما ابراهيم فان وصية صالح بقتله أثرت في المنصور . فأمر بقتلـه سرا . وأما جلنار فقضت تلك الليلة تندب حظها وتبكي حبيبها . وأصبح اهل الدار في اليوم التالي فلم يجدوها بينهم ولا عرفوا مكانها . لانها كرهت معاشرة الأحياء واختارت الاقامة بالدير الذي كانت فيه مـــع حاضنتها بعيدة عن الناس .

سلسلة روايات تاريخ الإسلام

تأليف جرجي زيدان



١ ـ فتاة غسّان
٢ ـ أرمانوسة المصرية
٣ ـ عذراء قريش
٤ ـ ١٧ رمضان
٥ ـ غادة كربلاء
٦ ـ الحجاج بن يوسف
٧ ـ فتح الأندلس
٨ ـ شارل وعبد الرحمن
٩ ـ أبو مسلم الخرساني
١٠ ـ العبّاسة أخت الرشيد
١١ ـ الأمين والمأمون
١٢ ـ عروس فرغانة
١٣ ـ أحمد بن طولون
١٤ ـ عبد الرحمن الناصر
١٥ ـ فتاة القيروان
١٦ ـ صلاح الدين الأيوبي
١٧ ـ شجرة الدرّ
١٨ ـ الانقلاب العثماني
١٩ ـ أسير المتمهدي
٢٠ ـ المملوك الشارد
٢١ ـ إستبداد المماليك
٢٢ ـ جهاد المحبّين